أسامة الباز

مسيرة حياة

الطبعة الثانية

السفير

هاني خلاف

دار نهضة مصر للنشر

أسـامـة البـاز..
مسـيـرة
حيـاة

بقلـم

السفيـر هـانـي خــلاف



العنوان:

أسـامـة البــاز..
مسيرة حياة

تأليف:

السفيـر هـانـي خــلاف

إشراف عام:

داليا محمد إبراهيم

جميـع الحقـوق محفـوظـة © لدار نهضة مصر للنشر

يحظــر طبـــع أو نـشـــر أو تصــويـــر أو تخـزيـــن
أي جــزء مــن هــذا الكتــاب بأيــة وسيلــة إلكترونيـة أو ميكانيكية
أو بالتصويــر أو خــلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريــح من النـاشــر.

الترقيم الدولي: 978-977-14-4905-8
رقـم الإيـداع: 9931 / 2014
الطبعة الثانيـة: ينايـــر 2015

تليفـون: 33466434 - 02 33472864
فاكـــس: 02 33462576
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

صفحات من حياة وأعمال الرجل
الذي جمع في مزيج نادر بين نضال الثائرين..
وحكمة المصلحين.. ودهاء السياسيين..
وحرفية الدبلوماسيين.. ونقاء الزاهدين
وجمع بين القرب من السلطان
والاستقلال عنه وحب الناس
في آن واحد

المحتويات

تقديم

بقلم: السفير الدكتور مصطفى الفقي

سعدت بقراءة هذه الصفحات الثرية لهذا الكتاب الرصين الذي أعده صديقي وزميلي السفير هاني خلاف - وهو رجل سياسة وثقافة في ذات الوقت- حول رجل عظيم هو «أسامة الباز» الذي عاد إلى مصر بعد سنوات قضاها طالبًا للدكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية وكان ذلك في أواخر عام 1967 والشباب المصري ينزح إلى خارج وطنه في أعقاب الهزيمة النكراء والأجواء الخانقة لنكسة يونيو التي أطبقت على أنفاس جيل بالكامل وسحقته تحت وطأة الغضب والحزن والإحباط وبعد سنوات المد القومي والحلم العربي عاد إلينا ذلك الشاب المثقف الذي يتحدث الإنجليزية بلكنة أمريكية وفيه من حيوية النشاط السياسي الذي مارسه في الولايات المتحدة الأمريكية رئيسًا لاتحاد الطلاب العرب، وفيه من انفتاح وليبرالية سنوات وجوده في الغرب، وفيه من تعددية مصادر المعرفة التي حازها من تجارب في حياته التي بدأها «وكيلًا للنيابة» تمرس بحياة الشارع ومعاناة الناس ثم التحق بالسلك الدبلوماسي في منتصف الخمسينيات وفقًا لدرجته التي وصل إليها في النيابة العامة، وقد ربطته حينذاك صلات مباشرة ببعض الثوار من الضباط الأحرار من خلال أخيه الأكبر الذي كان ضابطًا في القوات المسلحة وقد رأوا في «أسامة الباز» -ذلك الشاب النجيب رفيع الثقافة غزير المعرفة متوهج الذكاء- نموذجًا يلتقون به

ويستمعون إليه ويستعينون بخبراته حتى إنه شارك في صياغة بعض منشورات الضباط الأحرار ثقة فيه وإيمانًا بقدراته المتميزة، وظل في وزارة الخارجية لعدة أعوام فيما كان يسمى الإدارة العامة للأبحاث حيث تولى موقعه إلى جانب رجل وزارة الخارجية القوي في ذلك الوقت السفير «إبراهيم صبري» - ابن أخت الزعيم الراحل «مصطفى كامل» - وذاع اسم «أسامة الباز» بين أقرانه نموذجًا للجرأة والبساطة والكفاءة في وقت واحد.

ومن خلال معايشتي للدكتور الباز واقترابي منه على مدى الأربعين عامًا الماضية أستطيع أن أزعم أنه شخصية استثنائية بجميع المعايير فهو ابن عالم أزهري من محافظة «الدقهلية» تلقى دراسته الأولى في مدينة «دمياط» بحكم عمل والده في سلك التعليم، ومع ذلك فإن درجة تأقلمه - هو وشقيقه عالم جيولوجيا الفضاء «فاروق الباز» - مع مناخ الغربة توحي بالقدرة الرائعة على التكيف الذكي من بيئة البيت الأزهري إلى طبيعة الحياة المختلفة تمامًا في الغرب، كما أن إجادته الواضحة قواعد اللغة العربية لم تكن على حساب تفوقه أيضًا في اللغة الإنجليزية، ولعل الكثيرين لا يعلمون أنه يتميز بخط جميل للغاية في اللغتين معًا.

جاءنا ذلك الشاب الرائع ونحن طلاب في معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية في أجواء 1967 وما بعدها فإذا به يأتينا بالعالم كله عندنا ونحن مبهورون به مشدودون إليه، لقد أتحفنا بأساتذة مرموقين من أمثال «جورج أبو صعب» و«تحسين بشير» و«يحيى العزبي» و«عبدالوهاب المسيري» واستقدم لنا من رجال السياسة والفكر والثقافة والإعلام في العالمين الغربي والعربي، فهذا هو «لويس عوض» وذلك هو «أحمد بهاء الدين» ومعهما كوكبة من صفوة العقول في المنطقة كلها فاستطاع «أسامة الباز» أن يربي أجيالًا في الخارجية المصرية وأن تتكون له مدرسة دبلوماسية متميزة تجمع بين السياستين الداخلية

والخارجية على اعتبار أن كلا منهما امتداد للأخرى، وقد شرفت شخصيًا ولا أزال بالانتماء إليها، وعندما اختارني للعمل في مكتبه فور عودتي من خدمتي في «الهند» ألمت به وعكة صحية طارئة أرسل لي أثناءها كتابًا من مستشفاه يطلب مني القيام بما أستطيع من أعماله والوفاء بما أقدر عليه من المسئوليات الملقاة على عاتقه، عندئذ سنحت لي الفرصة أن أعمل مباشرة مع رئيس الدولة إلى أن عاد هو معافًى من مرضه يواصل دوره المرموق إلى أن التحقت أنا بمؤسسة الرئاسة سكرتيرًا للرئيس للمعلومات بعد ذلك بعامين. وأريد أن يعلم الجميع أن شخصية «أسامة الباز» تقوم على أسس أخلاقية رصينة فما رأيته يومًا يدق إسفينًا في شخص أو يطعن في مكانة غيره فإذا سئل عن إنسان قال خيرًا أو صمت، وللدكتور «أسامة الباز» دائرة واسعة من المعارف والأصدقاء في أعلى المستويات عربيًا ودوليًا وما زلت أتذكر الصورة الرئيسية في الصفحة الأولى في صحيفة «الأهرام» للرئيس الأمريكي السابق «جيمي كارتر» و«أسامة الباز» وحدهما يراجعان معًا بعض ملفات الصراع العربي الإسرائيلي، فهو من أخبر الناس بتفاصيل القضية الفلسطينية ودهاليز السياسة العربية وطبيعة العلاقات المصرية الأمريكية، ولقد سمعت بأذنيَّ حديثًا لرئيسة وزراء بريطانيا السابقة «مارجريت تاتشر» وهي تشير إليه باحترام وإعجاب شديدين.

....إني أكتب هذه المقدمة عن «أسامة الباز» اعترافًا بفضله على جيلي كله وتقديرًا لمدرسته في الدبلوماسية المصرية واعتزازًا بدوره الوطني فقد كان دائمًا هو المفاوض البارع طوال عمله في مجال العلاقات الدولية المعاصرة، ومن ثم فإنني أنضم إلى غيري من أبناء مصر وبناتها في تحية رجل عاش زاهدًا في المناصب مترفعًا عن الصغائر، خادمًا أمينًا للوطن، وعندما فكرنا في تكريمه بمناسبة عيد ميلاده «الماسيّ» فإننا لم نجد مكانًا أفضل من معهد الدراسات الدبلوماسية الذي

علمنا هو فيه، إنه ذلك المعهد الذي تشرفت شخصيًّا بأن أكون مديرًا له في مطلع التسعينيات من القرن الماضي....

إن هذه السطور هي تحية لمواطن مصري دخل إلى «المطارات» دائمًا مع العامة ولم يطلب يومًا فتح «صالة كبار الزوار»، وركب «مترو الأنفاق» مع كل الطبقات المصرية، وتمشى وحيدًا على «شاطئ النيل» دون أدنى حراسة، إنه نبت الأرض الطيبة وابن الكنانة البازُّ الذي تواصل دائمًا عطاؤه وعلت دومًا مكانته....رحمه الله رمزًا شامخًا في تاريخ مصر الحديثة.

د. مصطفى الفقي

فبراير 2014

مقدمة المؤلف

هناك في تاريخ الأمم والشعوب شخصيات تظهر بين الحين والآخر لتكون معبرًا أو جسرًا يصل «الفكر والثقافة» بـ «السلطة»، وهناك آخرون يصلون «السلطة» بـ «الإنسان» و«الأخلاق».. وقليلة هي الحالات التي تظهر فيها شخصيات تعقد الصلة بين «الفكر» و«الإنسان» و«الأخلاق» و«السلطة» في آن واحد.

والدكتور أسامة الباز يعتبر من بين تلك الحالات النادرة التي قيضها الله للظهور في تاريخ مصر المعاصر كي تغذي النظام السياسي القائم على مدار أربعة عقود تقريبًا بروافد من العلم والثقافة والأخلاق والواقعية، وتحاول أن تضفي على مخرجات هذا النظام في ذات الوقت طابعًا منهجيًّا براجماتيًّا يخفف بعض الشيء من غلواء الثقافة السياسية الحافلة بالشعارات الراديكالية والأحلام الواسعة، والتصنيفات والأحكام المطلقة. ورغم أن أسامة الباز لم يملك في أي يوم من الأيام سلطة اتخاذ القرار السياسي النهائي، ولم يسع قط إلى ذلك، فإنه استطاع في مراحل كثيرة - ومن خلال دوره الاستشاري بالقرب من القيادة السياسية العليا ومن دوائر اتخاذ القرار الأخرى - أن يؤثر إلى حد ما في صياغة بعض السياسات والقرارات والتوصل إلى تسويات تتسم بقدر معقول من التوازن والمقبولية والتأثير.

نعم. قد يكون صحيحًا أن بعض رجال الفكر لايرضون لأنفسهم - وقد لايستطيعون في أغلب الأحوال - بأن ينزلوا إلى تفاصيل الحياه اليومية والمزاحمة

في مطابخ السياسة والتعامل مع المتربصين ومشتهي السلطة والثروة، إلا أن أسامة الباز تمكن من مغالبة هذا الموقف الشائع بين بعض رجال الفكر، وارتفع فوق الهواجس والمخاوف المرتبطة به، وفضّل أن ينتقل من أبراج الفكر النظرية والتحليلات الأكاديمية المجردة والمهارسات الدبلوماسية التقليدية إلى حيث التعامل المباشر مع قضايا الوطن وهمومه الشائكة في الداخل والخارج، انطلاقًا من ثقة كبيرة في نفسه وفي قدراته على مقاومة إغراءات المناصب وشهوات الحكم والسلطة والثروة.

ورغم أن أسامة الباز قد نجح - وكما يحكم الكثيرون - في الاحتفاظ لنفسه على مدار العقود الأربعة بمسافة باعدت بينه وبين دوائر الشبهات وصراعات مراكز القوى وما يرتبط بها في بعض الأحيان من دسائس ومناورات.. فإن أحدًا لا يستطيع أن يعرف على وجه الجزم واليقين - السبب الحقيقي الذي أدى إلى انزواء دوره السياسي في السنوات الأخيرة التي سبقت سقوط النظام في 25 يناير 2011 ولا شعوره الحقيقي قبل ذلك حين كانت تغالبه في كثير من الأحيان عقبات الإدارة البيروقراطية من حوله، أو حين كانت أفكاره المنهجية ورؤاه المستقبلية تتعثر وسط ركام الموروثات التقليدية والرؤى قصيرة النظر، وصراعات المصالح الآنية، والأحابيل التي يضعها ناصبو الفخاخ وأعداء النجاح.

تنوعت أدوار ومساهمات المرحوم أسامة الباز بين مجالات السياسة الداخلية في مصر وعلاقاتها الخارجية. وقد ساعده في هذا العطاء المزدوج تفضيله البقاء في الوطن وعدم الانتقال للعمل في أي من السفارات المصرية بالخارج كما هو متبع في نظام السلك الدبلوماسي. وأصبح د. أسامة بذلك حالة فريدة ليس فقط في تاريخ وزارة الخارجية بل في تاريخ الإدارة المصرية ونظامها السياسي.

وعلى صعيد السياسة الداخلية أسهم الدكتور الباز في تطوير مواقف وعلاقات الكثير من القوى السياسية والوطنية وإثراء تجربة التعددية الحزبية، كما ساعد في تطوير التعليم الجامعي وأوضاع البحث العلمي، وفي إدماج الأبعاد الاجتماعية ضمن سياسات التنمية والإصلاح الاقتصادي، وفي تعزيز الحريات النقابية، واستقلال القضاء، وتطوير سياسات السفر والهجرة ورعاية المواطنين بالخارج. وكان له أيضًا دوره غير المنكور في إرساء سياسات جديدة لتمكين المرأة وتعزيز دور الشباب ومنظمات المجتمع المدني، وفي الانتصاف لآلاف من أصحاب المظالم والشكاوى الفردية والفئوية وغير ذلك مما نفصله في هذا السجل.

وأما علاقات مصر وسياساتها الخارجية فقد أضفى إليها المرحوم أسامة الباز سمات جديدة من الواقعية والانفتاح والبراجماتية وكان له دوره في إدارة الدبلوماسية المصرية قبل وبعد حرب أكتوبر 1973 وفي صياغة مواقف مصر التفاوضية التي أدت إلى استرداد سيناء عام 1982 وإدارة المعركة القضائية الدولية التي انتهت باسترداد طابا عام 1987. وأما دوره في إدارة علاقات مصر العربية فقد كان محوريًّا ومؤثرًا حتى في أصعب أوقات القطيعة الصعبة منذ عام 1979 وحتى عام 1989. وأما القضية الفلسطينية وجوانب الصراع العربي الإسرائيلي الأخرى فقد ظلت بؤرة اهتمامه الدائم ومحورًا لأغلب اتصالاته وجهوده مع مختلف القوى العربية والإقليمية والدولية حتى قال عنه أحد الأمريكيين ذات يوم: «إن أسامة الباز يمثل سببًا من أسباب بقاء المشكلة وبابًا أساسيًّا من أبواب تسويتها في نفس الوقت».

تميز منهج الدكتور أسامة الباز في معالجاته القضايا الداخلية والخارجية التي تصدى لها أو التي أسندت إليه بتجاوز المنطق الأيديولوجي الجامد أو التقيد بالمثاليات و«التابوهات»، واعتمد بدلًا من ذلك على الاعتبارات البراجماتية التي تقيس الخيارات وصحة القرارات بمدى قابليتها للتطبيق، ومدى

توافـر القبـول العام لها، وحجـم النفع والـضرر منها... وكان حريصًـا أيضًا في معالجاته على إقامة الاعتبار المناسـب لما يسـمى بـ «الثقافة السـائدة» و«التداخل المتعاظـم بين الظـروف المحلية والخارجية». وهذه الطريقـة البراجماتية في العمل السـياسي وفي التفكير عمومًا هي في الواقع ما يمكن تسـميته الحرفية السياسـية Political Proficiency أو فنِّيـات صنع القرار وإدارة الحكم Decision Making Techniques وهي ما تميز بها عطاء أسـامة الباز طوال مشـواره الطويل في الحياة السياسـية والدبلوماسية المصرية، وهي ذاتها السبب الرئيس في احتفاظه بموقعه الاستشـاري ومواصلة عطائه لأربعة عقود متصلـة تغيرت فيها قيادات الحكم، وتبدلـت خلالها توجهات النظام السـياسي والفلسـفات الاقتصاديـة والإدارية السائدة وأجواء التشريع والعمل الحزبي.. لكنه استمر بمهنيته ومنهجيته العلمية والفنية عاملًا على تنقية الخيارات وترشـيد القرارات ومحاولًا تحصينها بأسـباب التوازن والمشروعية والفاعلية قدر الإمكان.

■■■

تمسـك أسـامة الباز طوال حياته الدراسـية والمهنية والسياسية بالانفتاح على مختلـف الثقافات والنظم والتجارب. فرغم نشـأته الدينيـة في بيت عالم أزهري، واعتـزازه بما يحتويه التاريخ الإسـلامي والثقافة الإسـلامية مـن جوانب تقدمية وحضاريـة في مجالات التربية وأصول الحكم والإدارة ونظم التشريع والاقتصاد والإعـمار ومبـادئ العدالة الاجتماعية وغيرها فإن ذلـك الاعتزاز لم يحجب لديه تقدير جوانب العطاء الإيجابي للحضارات والديانات الأخرى. وهو في إسلاميته يتمسك بالجوهر والأصول لا بالفروع والقشور، ولم يعرف عنه التخندق داخل مذهـب فقهي أو فكري واحـد، بل راح يجوب كل المذاهب والأفكار والشروح المطروحـة ويختار من بينهـا في معالجاته السياسـية والاجتماعية مـا يلائم الزمان والمـكان والطبائـع والمسـتجدات.ورغم إقامتـه الطويلـة أثنـاء دراسـاته العليا

بالولايات المتحدة الأمريكية، واختلاطه الواسع بمختلف الشرائح الاجتماعية والقوى السياسية، ورغم تقديره لكثير من جوانب الحياة اليومية هناك فإنه لم يقع أبدًا في براثن الانبهار المطلق بالنموذج الأمريكي، ولم يمنعه تقديره لبعض الجوانب في هذا النموذج من الإعجاب بنماذج اجتماعية ونظم سياسية واقتصادية أخرى في العالم سواء في روسيا أو في الصين أو اليابان أو الهند وفي بعض البلدان الأوروبية والإفريقية.

وإذا كان «الانفتاح» و«الواقعية» و«تجنب الأحكام والإطارات المطلقة» تمثل معالم أساسية في عقلية أسامة الباز ومنهجه السياسي فقد يضاف إلى ذلك أيضًا مجموعة من القيم الأخلاقية والاجتماعية التي حكمت كثيرًا من سلوكه السياسي والإنساني، حيث لم يعرف عنه قط أية نظرة شوفينية ذكورية تجاه المرأة على نحو ما كان سائدًا في العديد من الدوائر العربية والشرقية، ولم تظهر في حياته أبدًا أية علامة تدل على التمييز في النظرة أو في المعاملة بين المسلمين والأقباط ولا حتى مع أصحاب الديانة اليهودية. ويدل مسلكه المتواضع مع العمال والسائقين في مكتبه ومع شباب الجامعات الذين يلتقيهم في مناسبات مختلفة، وارتياده الأماكن العامة دون حراسة، واستخدامه أحيانًا وسائل المواصلات الجماعية في تنقلاته، وتفضيله الترجل على الأقدام إذا ما كانت الجهة التي يقصدها قريبة، وقيامه بالتسوق لبيته وأسرته بنفسه.. يدل كل ذلك -وعشرات من الأمثلة الأخرى- على تحرره من الإطارات النمطية التي تشيع في سلوك «الدبلوماسيين» و«المسئولين السياسيين». والعجيب أن أسامة الباز لم يكن ينتهج هذا المسلك بطريقة مفتعلة أو انطلاقًا من خطة لتحسين صورة المسئولين أو لاكتساب شعبية.. بل كان يصدر عن فطرة وأخلاق جُبل عليها بتأثير من بيئته الأسرية وعناصر تكوينه الأولى في طفولته وشبابه، وربما بتأثير أيضًا من بعض أنماط الحياة التي عاشها وأعجب بها في الخارج أثناء دراسته.

لم تقتصر صفة «الزهد» في شخصية أسامة الباز على ما يتصل بمظاهر السلطة وطقوسها البروتوكولية والأمنية وما قد يصاحبها من أعمال الظهور الإعلامي والدعاية والتسابق نحو الترقية والاستوزار، بل امتدت لتشمل أيضًا كثيرًا من مباهج الحياة العادية كالمأكل والملبس والمسكن. فقد كان معروفًا بزهده غير العادي في الغذاء والطعام عمومًا. ولم يسع أبدًا إلى تغيير مسكنه المتواضع في منطقة حمامات القبة بالقاهرة الذي ظل مقيمًا به لأكثر من أربعين عامًا حتى تزوج وانتقل - بناء على رغبة زوجته - إلى مسكن آخر في العجوزة ثم المعادي. ومع ذلك فقد ظل مسكنه الأول مع والدته بمثابة الملاذ الآمن الذي كان يعود إليه بين الحين والآخر لإعادة شحن طاقته الذهنية والنفسية بكل ما كان يمثله هذا المسكن القديم من معاني البساطة والأصالة والدفء والفطرة الطبيعية، وبكل ما كان يحمله له من ذكريات عزيزة عن الوالدين والأهل ورفقة الشباب.

لم يفكر د. أسامة الباز في اقتناء أي من الكماليات التي صارت بمرور الزمن من الضروريات كالتليفون المحمول، والسيارة الخاصة، والحاسوب الشخصي. والأعجب أنه لم يعرف في أي يوم من الأيام مفردات راتبه الشهري الذي يحصل عليه من وزارة الخارجية ولا مستحقاته الأخرى عن الأسفار أو المهام الإضافية أو العلاوة الدورية أو غير ذلك. وعندما تولى منصب وكيل أول وزارة الخارجية وترأس بذلك مجلس السلك الدبلوماسي لاحظ الكثيرون من أعضاء الوزارة تبرمه عند النظر في بعض الطلبات التي يتقدم بها بعض الدبلوماسيين لتغيير مواقعهم أو لرفع مخصصاتهم المالية، أو طلبات السفراء لشراء قطع أثاث أو سيارات وأجهزة جديدة لبعثاتهم في الخارج، وكان يرى أن مثل هذه الاهتمامات تضعف من صورة الدبلوماسي عمومًا، وتكشف عن انفصال غير صحي بينه وبين ظروف الوطن الاقتصادية وأولوياته الأهم.

واليوم...وبعد أن رحلت عن دنيانا في سبتمبر 2013 تلك الشخصية الفذة ذات العطاءات المتنوعة والأخلاق الفريدة وبعد أن جاء رحيلها الصامت وسط أمواج صاخبة من الثورات الشعبية والحراك السياسي والاجتماعي الواسع في مصر وغيرها من بلدان عربية، وما صاحبها - ولا يزال يصاحبها - من مظاهر عنف وتطرف واستقطابات حادة وتحركات خارجية ظاهرة وخفية...راح المخلصون في بلادنا يبحثون عن نموذج فكري وسياسي وأخلاقي يستطيع أن يجمع البلاد والعباد مرة أخرى، وأن يجسر الفجوات ويرأب الصدوع ويكفل التغيير المنشود للشعوب بتكلفة أقل...وراحت تقفز في أذهان المنصفين من المؤرخين صورة الراحل الكريم أسامة الباز ومنهجه البراجماتي العاقل والمتوازن في معالجة المعضلات، ورؤاه الفكرية المبكرة عن ضرورات التغيير وضوابطه وشروطه وآلياته الصحيحة التي كان يبثها في كلماته المكتوبة والمسموعة، وفي تحركاته السياسية والدبلوماسية، وفي مشورته لأصحاب السلطة والقرار.

ويأتي هذا الكتاب عن حياة وأدوار أسامة الباز كمحاولة من أحد تلاميذه المقربين إليه الذين تابعوا أفكاره وأعماله على مدار العقود الأربعة الماضية - لتأصيل منهجه العام وطرائق مقاربته للقضايا الوطنية والقومية والدولية. ولعل في هذا التأصيل والاستجلاء ما قد يفيد في معالجة بعض التطورات والقضايا المستجدة التي تمر بها حاليًا مجتمعاتنا المصرية والعربية، ولعل فيه أيضًا ما قد يشير على المستوى الاجتماعي والإنساني والأخلاقي إلى مقومات التنشئة الصحيحة للشباب، وإلى مؤهلات النجاح العلمي والمهني، وأخلاقيات السلوك السياسي القويم، وطرائق الاقتراب النزيه من السلطة بغير التماهي الكامل معها وبغير الوقوع في شهوات التحكم والاستحواذ المرتبطة بها.

ومهما كان صدق الدوافع التي تحدونا إلى هذه المحاولة، وحرصنا على بذل كل ما يمكن في سبيل إخراج هذا العمل على نحو رصين يليق بمكانة ودور أسامة الباز في تاريخنا الحديث، إلا أن هناك عددًا من الاعتبارات والإشكاليات الفنية والقانونية والأخلاقيه التي تحكم هذا الجهد وتحيط به، والتي يلزم توضيحها في هذا الاستهلال.

ولعل أولى وأصعب هذه الإشكاليات تكمن في الطابع الانفرادي الذي اتسم به أداء الدكتور أسامة الباز في معظم أدواره وأنشطته. فرغم أن كثيرًا من المقربين إليه - ومنهم السيد عمرو موسى - كانوا حتى وقت قريب يرون فيه «مؤسسة متكاملة» بمعنى أنه يفكر ويكتب ويقترح ويتحرك ويتابع الأمور بنفسه كوحدة مستقلة ومنفردة، وأن اهتماماته لا تقتصر فقط على الشئون السياسية والدبلوماسية بل تشمل أيضًا مسائل الفكر والثقافة والإبداع الفني، ومسائل الأديان والقانون والاقتصاد والشئون الاستراتيجية والأمن.. فإنه لم يسع أبدًا إلى أن تكون له مدرسة أو تلاميذ ومريدون، ولم يحاول قط تأطير جهوده وتقنين اختصاصاته بشكل واضح وجامع ومانع، أو توثيق أنشطته على نحو يكفل الرجوع إليها بطريقة ميسورة ومتكاملة كما يفعل أغلب أصحاب المدارس الفكرية والمهنية وأصحاب المواقع السياسية والرسمية. ورغم الجهود الكبيرة التي كان يبذلها معاونو الدكتور الباز من الدبلوماسيين والإداريين في وزارة الخارجية ورئاسة الجمهورية من أجل تنظيم برامج عمله ولقاءاته، وأرشفة مكاتباته الرسمية وبريده الشخصي، فإن هذه الجهود لم تستطع - وباعتراف الكثيرين منهم - ملاحقة كل أنشطته الدبلوماسية والسياسية والفكرية والاجتماعية، فظل العديد منها رهينًا بذاكرته الشخصية وذاكرة المخالطين له - على اختلاف المراحل والظروف التي تجمعهم به.

ويرتبط بهذه الإشكالية العامة إشكالية فنية متعلقة بتعدد وتوزع المتاح من مراجع ومصادر تلزم لإنجاز مشروع كمشروع بحثنا الراهن عن حياة وفكر أسامة الباز، وصعوبة التمييز في تلك المصادر بين ما يعتبر «وثائق رسمية للدولة» يلزم التعامل معها بحذر وفق قواعد أمن المعلومات وضوابط النشر، وبين ما يعتبر محررات ومخطوطات شخصية تخصه مما يمكن التعامل معها واستخدامها بغير حرج كبير. وقد يدهش القارئ حين يعلم أن عملية الحصر والفرز والتبويب والتجنيب التي قمنا بها قبل إعداد هذا الكتاب قد استغرقت قرابة عام كامل، طالعنا خلاله مئات المحررات والمحاضر والرسائل المخطوطة يدويًّا والمطبوعة، ومئات أخرى من القصاصات والتصريحات والتحقيقات الصحفية والصور الشخصية التي يعود بعضها إلى الستينيات والسبعينيات، بالإضافة إلى مراجعة العشرات من الأوراق المتراكمة في مكتبته الخاصة، ومئات الرسائل والمحررات والملاحظات الشخصية والمطبوعات المخزونة في منزله القديم، فضلًا عما يحتويه أرشيف المعلومات بمؤسسة الأهرام، وعدد من مراكز البحث والمؤسسات الأخرى من بيانات عن بعض كتاباته وأنشطته الثقافية ولقاءاته السياسية والإعلامية.

وأما الإشكالية الثالثة فقد كانت في عدم توافر التوثيق الكافي لبعض الأدوار والأنشطة التي قام بها الدكتور الباز في مراحل زمنية معينة كمرحلة عمله في سلك النيابة العامة عقب تخرجه في كلية الحقوق في أوائل الخمسينيات، ومرحلة نشاطه السياسي بالقرب من اللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكي العربي في أواخر الستينيات، ومنظمة الشباب التابعة لهذا التنظيم السياسي في أوائل السبعينيات. ونظرًا للظروف الصحية التي مر بها الدكتور أسامة الباز في الفترة الأخيرة من حياته - فقد تعذر علينا الاستناد إلى ذاكرته الشخصية عن تلك المراحل والأدوار، فجاءت تغطيتها في هذا البحث مشوبة ببعض وجوه النقص، رغم

أهميتها في تأكيد مدى الاتساق الفكري وتجانس المواقف السياسية لهذا الرجل عبر مراحل حياته المختلفة.

وأما الاعتبار الرابع الذي ينطلق منه هذا الجهد الراهن فهو يتعلق بجوهر النقاط المطلوب كشفها والتركيز عليها، فهذا الكتاب لا يقدم -وليس مقصودًا منه أن يقدم- تأريخًا كاملًا لكل الأحداث والتطورات التي مرت بالبلاد خلال فتره العقود الأربعة التي شغل الدكتور الباز خلالها مواقعه الرسمية في وزارة الخارجية ورئاسة الجمهورية، وإنما يقدم لمحات وإضاءات عما كان لهذا الرجل من رؤى ومواقف أو مساهمات في بعض هذه الجوانب والمراحل، بما يعكس منهجه العام ويكشف عن وسائل اقترابه وطرق معالجاته.

ثم يأتي بعد ذلك الاعتبار الخامس وهو يتعلق بالصلة التي تجمع بين الكاتب والمكتوب عنه ومدى تأثيرها في موضوعية المعالجة المفترضة في مثل هذا المشروع. وهنا يلزم الاعتراف بأن صلة «التلميذ» «بأستاذه» فضلًا عما يربطهما من صلات المصاهرة قد تجعل بعض التحليلات والأحكام الواردة في هذا العمل -من وجهة نظر البعض- «مجروحة» مسبقًا، إلا أنها من ناحية أخرى تجعل للكاتب ميزة نسبية وتمكنًا معرفيًا قد لايتأتى لأي باحث آخر، خاصة عند تناول الجوانب الشخصية والمؤثرات الاجتماعية في حياة أسامة الباز وعناصر تكوينه الأولى التي أثرت في تشكيل بعض جوانب فكره ومواقفه وسلوكه. وقد يزداد القارئ اطمئنانًا حين يعرف أننا لا نقدم على هذا العمل من فراغ أو انتهازًا لصله مهنية أو عائلية جمعتنا بالدكتور الباز -وإنما يسبق ذلك ويلحق عليه أعمال علمية وأدبية منشورة لنا في مجالات التحليل والأدب السياسي بالعديد من الدوريات ودور النشر الكبرى.

وبعد...

فإذا كانت الكتابة عن حياة وأعمال رجل عظيم كالدكتور أسامة الباز تستثير الهمة في نفوس المتطلعين إلى نماذج التميز والنجاح، وتجدد الثقة في بقاء قيم الوفاء والعرفان بين الناس في هذا الزمان الصعب فلا شك أن تفضل الدكتور مصطفى الفقي بتقديم هذا الكتاب يعزز من ذلك الشعور ويضيف إليه أبعادًا جديدة ليس فقط لما كان بين الرجلين من علاقات فكرية ومهنية وإنسانية وطيدة وإنما لأن خبرات وتجارب الدكتور مصطفى الفقي في الحياة الوطنية والسياسية والثقافية تحمل في ذاتها إضافات نوعية مهمة ومتميزة... وتستحق أن تكون هي أيضًا موضعًا للرصد والتأريخ والتوثيق والتحليل في مستقبل الأيام.

وبالله التوفيق من قبل ومن بعد.

هاني خلاف

الفصل الأول

النشأة.. والتكوين

في أول يناير عام 1989 تلقى أسامة الباز من زميله السفير أحمد سمير مختار رسالة تهنئة بالعام الميلادي الجديد، وأرفق بها صورة منسوخة من الصفحة الأولى لجريدة الأهرام الصادرة في السادس من يوليو عام 1931 - وهو يوم ميلاد أسامة الباز - وكتب صاحب الرسالة يقول: [ترى كيف كان العالم يفكر وقت ميلادك السعيد؟ وكيف لم تشر الأهرام إلى أن الدنيا استقبلت في هذا اليوم شخصية عظيمة جدًّا.. نعتز بها جميعًا.. وتفخر بها مصر؟].

كانت الصفحة الأولى من جريدة الأهرام تحمل في يوم 6 يوليو 1931 عناوين عديدة عن «سفر صاحب المعالي علي باشا ماهر وزير الحقانية من محطة العاصمة إلى الإسكندرية تمهيدًا لسفره إلى أوروبا لقضاء إجازته»، وخبرًا آخر عن الفرنسية مدام «ماري باستييه» التي «سجلت فوزًا جديدًا في الطيران بعيد المدى بطائرتها الخفيفة المجهزة بمحرك سالمسون الذي يعمل بقوة أربعين حصانًا. ويتم تزييتها بزيت موبيل أويل» إلا أن هناك موضوعين آخرين أكثر أهمية شغلا مساحة معتبرة من تلك الصفحة الأولى، كان الأول بعنوان «نفقات التعليم وغلاء المعيشة» وفيه دعوة من محرر الجريدة لأن يكون نظام التعليم المدرسي متوافقًا مع ظروف الحياة وصعوباتها. وكتبت الأهرام تحت هذا العنوان: [لاشك أنه يسر كل مصري أن يشهد سريان روح التعليم ونمو الحركة

العلميـة وتضحية الآباء بـكل ما يملكون وتفانيهم في الحصـول على المال بالكد وتحمـل المشـاق وأحيانًا معانـاة الأهوال في سـبيل الإنفاق على أبنائهـم وبناتهم في المدارس سـواء بسـداد أقساط الأجور المدرسـية، أو اقتناء الكتب أو في شراء الملابـس. غير أن هذه التضحية المحمودة الباعث وهذا التفاني الكريم الروح قد أنتـج إسرافًـا انقلب في بعض الأحيان إلى مضرة وخسـارة] وبعد أن يسـتعرض المقال في لغته الركيكة جوانب قسـوة الحياة التي يواجهها البسـطاء من الناس في سـعيهم لتعليـم أبنائهـم ينتهـي إلى [أن فريقًا كبيرًا من هذه الأمة يعاني في سـبيل المعيشـة التعليميـة مشـقات كبيرة، وأن هنـاك تطلعًا من خريجي المـدارس جميعًا إلى وظائـف حكومية.: ولا بد أن يكون هناك نظام يكفل مسـاعدة العائلات في مواجهة هذه الاحتياجات الهامة..»].

وأمـا الموضوع الثاني الذي تصدر صفحة الأهـرام في ذلك اليوم فكان حول ضرورات «تعديل قوانين الصحافة والنشر» المعمول بها في تلك الفترة «وتعديل العقوبات الخاصة بالسجن السـياسي لأصحاب الرأي والقلم من الصحفيين». مع إشـارات أخرى إلى [ضرورة إصلاح أحوال السـجون المصرية ونقد الفكرة السائدة فيها التي هي فكرة التعذيب علمًا بأن هذه الفكرة قد قضي عليها في بلاد أخرى سواء في السجون أو في المدارس لأنها لا تتفق مع الطبيعة البشرية ولا مع المراد من العقوبة ولا مع الغاية من القوانين] كما تقول الأهرام في ذلك التاريخ.

وحين يقارن المرء بين تلك الاهتمامات التي كانت تشغل المجتمع المصري وقت ميلاد الدكتور أسـامة الباز عام 1931 وبين الاهتمامات والأولويات السياسـية والاجتماعية التي تصدى لها الدكتور الباز بعد بلوغه مراحل النضج وانخراطه في العمل العام فسوف يجد تطابقًا عجيبًا ربما يعيد إلى الأذهان التساؤل حول صحة تأثير الأبراج الفلكية وتقاطعاتها لحظة الميلاد في تشكيل نفسية الإنسان واتجاهاته الذهنية والسـلوكية. فقد ظهرت لدى الدكتور أسـامة فيها بعد اهتماماته بدراسة الحقـوق والقانون وقضايـا «الإصلاح القضائي» و«حريـة الصحافة»، واهتمامه

أيضًا «بنظم التعليم» و«العدالة الاجتماعية» و«تمكين الفقراء والضعفاء». ومع ذلك فمن المؤكد أن الظروف الموضوعية التي تتعلق بالنشأة وطرق التربية في المنزل والمدرسة وطبيعة النظام السياسي وظواهر توزيع الثروة وطبيعة الوجود الأجنبي ظلت كلها صاحبة التأثير الأكبر في تشكيل اهتمامات الدكتور أسامة الباز ورؤيته للحياة.

النشأة الأسرية

ولد أسامة الباز في قرية طوخ الأقلام بمحافظة الدقهلية في السادس من يوليو عام 1931 . وكان والده فضيلة المرحوم الشيخ السيد محمد الباز يعمل مدرسًا ثم شيخًا بالمعاهد الأزهرية، أما والدته المرحومة السيدة زاهية أبو العطا حمودة فقد كانت تنتمي إلى أسرة ميسورة الحال وذات نفوذ في نفس القرية، وقد تزوجت الشيخ السيد ولم يكن عمرها قد تجاوز السادسة عشرة، وأنجبا تسعة من الأولاد والبنات - كان ترتيب «أسامة» الثاني بينهم.

كانت النشأة في بيت يجمع بين علم الأزهر الشريف ومكانته من ناحية، وعزوة عائلة الأم ومكانتها الاجتماعية من ناحية أخرى، كفيلة بأن تحفز الأنجال نحو التفوق وامتلاك الجرأة والحرص على حفظ المكانة المتميزة بين الأقران. وقد عزز من ذلك هدوء الشخصية والتفكير المستنير اللذين اتسم بهما الوالد، إلى جانب طموح الأم وسعيها الدءوب من أجل تطوير إمكانياتها الذاتية وإمكانيات أسرتها.

كيف يربي العالم الأزهري أبناءه؟

تنقل فضيلة المرحوم الشيخ السيد الباز بين أكثر من معهد ديني مدرسًا ثم وكيلًا ثم شيخًا في أكثر من مدينة مصرية. (الزقازيق - المنصورة - دمياط - شبين الكوم) حتى عين مديرًا لإدارة البعوث الإسلامية بالأزهر الشريف. وكان في تدريسه للغة العربية والفقه الإسلامي يحرص على استخدام طرق تسمح للطلاب بالمشاركة والتفاعل مع الدرس وعقد مقارنات وطرح أسئلة. ولم يكن يكتفي بشروح يستمدها من مذهب فقهي واحد بل كان يعتمد في شروحه للقرآن والسنة على عدة مذاهب وتفاسير، وكان يميل إلى ترجيح أكثرها تلاؤمًا مع ظروف الحياة واحتياجات الناس وإمكانياتهم.

وكما يروي عنه نجله الدكتور أسامة فيما بعد - كان يعتز اعتزازًا كبيرًا بكتابات الشيخ الإمام محمد عبده وكتابات المصلحين المجددين أمثال جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا. ورغم أن الشيخ الباز كان معروفًا بهدوئه في عموم الأحوال فإن فضيلة المرحوم الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي تتلمذ على يديه لفترة من الفترات وصفه «بالمعلم الحازم» الذي لم يكن يرضى لتلاميذه التهاون في تحصيل الدروس أو التكاسل في الرد على الأسئلة. ومن تواضع فضيلة الإمام ما ذكره في أحد مؤلفاته عن أن الشيخ السيد الباز قد وبخه ذات مرة ووصفه «بالبجم» حين لم يستطع الإجابة عن أحد الأسئلة.

ويروي أبناء الشيخ السيد الباز أنه كان داخل المنزل مثالًا للوداعة والهدوء وسماحة النفس، وكان يجمع أطفاله حوله قبل نومهم ليروي لهم جوانب من سيرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وقصص غيره من الأنبياء موضحًا لهم ما قد يخفى على مداركهم الصغيرة من دروس أو دلالات. وكان يحرص على تبجيل والدتهم وامتداحها أمامهم لغرس قيم الاحترام والمحبة والعرفان فيهم.

وعن سماحته في فهم الدين وعدم تزمته تحكي إحدى كرياته عن زيارة قام بها إلى منزلهم أحد الشيوخ الكبار في الأزهر الشريف - وهو فضيلة المرحوم الشيخ محمد الأودن - وكان معروفًا بتشدده والتزامه المبالغ فيه، وحين استدعاها والدها المضيف لتحيي وتسلم على ضيفه- ولم تكن قد تجاوزت بعد التاسعة من عمرها- وجدت الشيخ الضيف ينتفض مستعيذًا بالله ومبسملًا ومحوقلًا ثم راح يلف يده بجزء من ردائه ليحول دون ملامسة يدها الممدودة إلى يده، فارتعدت الطفلة خوفًا وخرجت من الحجرة مسرعة، وعلمت من والدها بعد رحيل الضيف أنه تلقى من شيخه سيلًا من المؤاخذة بسبب عدم ارتداء ابنته الطفلة رداءً طويلًا أو غطاء للرأس. وهكذا ترسخت في أعماق ابنته الصغيرة وأشقائها حجم المفارقة بين التدين السمح الذي يتسم به والدها مقابل تشدد المتشددين الذين لايراعون الترفق بالأطفال وأصول الدعوة بالحسنى.

وحين شب أنجال الشيخ السيد الباز عن الطوق، وظهرت في بعضهم علامات نبوغ مبكر كان - رحمه الله - يشجعهم ويمدهم بالكتب والمجلات التي تلائم أعمارهم. وحين وجد في نجله «أسامة» استعدادًا موهوبًا لدراسة الفقه والشريعة وقدرة على الفهم والتحليل أتاح له فرص اصطحابه إلى المنتديات الدينية والحلقات العلمية التي كان يرتادها في مقار جمعيات الشبان المسلمين والجمعية الخيرية الإسلامية، وفي مؤتمرات الأزهر الشريف.

كذلك شجع الشيخ الباز ولده «فاروق» عندما قرر السفر إلى الولايات المتحدة للحصول على شهادة الدكتوراه، وكانت رسائل الوالد إلى ولده في الغربة بمثابة نماذج رفيعة للأبوة المستنيرة، والنصح الرقيق، والحرص على محافظة الابن المغترب على الأخلاق العربية والشرقية بغير تشدد أو تكلف (انظر إحدى هذه الرسائل في القسم الخاص بالملاحق).

كانت الأسرة تصاحب الشيخ الباز في كل موقع ينتقل إليه. وفي دمياط حيث انتقل شيخًا للمعهد الأزهري التحق ولده أسامة بالمدرسة الثانوية عام 1944، وتزامل معه فيها المهندس حسب الله الكفراوي الذي أصبح فيما بعد وزيرًا

للتعمير والإسكان وعبد الرءوف الريدي الذي أصبح سفيرًا لمصر بواشنطن. وعندما قامت الثورة المصرية في عام 1952 كان الشيخ الباز قد انتقل مديرًا لمعهد شبين الكوم بمحافظة المنوفية، وحصل من الرئيس جمال عبدالناصر على وسام الاستحقاق من الطبقة الرابعة بتاريخ الثالث من ذي الحجة عام 1374 هجرية. وفي مارس 1958 أحيل إلى التقاعد وبعدها بعامين توفي في مارس 1960 إثر أزمة قلبية مفاجئة. بعد أن اطمأن إلى نجاح أبنائه في دراساتهم وانخراط الأربعة الأوائل منهم في أعمالهم.

وتروي صغرى كريماته كيف جاءت وفاة الوالد في هدوء وسكينة مثلما عاش حياته، فتقول إنه كان يستند إلى كتف زوجته الأم الفاضلة زاهية أبو العطا في أمسية هادئة من أمسيات الربيع المصرية.. وكان الاثنان يستمعان معًا إلى إحدى حفلات السيدة أم كلثوم الغنائية، وإذا به يسلم الروح إلى بارئها بعد دقائق من تعرضه لذبحة صدرية. ولعل أشد ما أزعج الأم الملتاعة وباقي أبنائها وبناتها أن أحدًا من أنجاله الكبار لم يكن موجودًا بمصر عند وفاته، فقد كان الابن الأكبر محمد وشقيقه «عصام» يخدمان في القوات المسلحة المصرية الموجودة آنذاك في سوريا، بينما كان الشقيقان «أسامة» و«فاروق» يستكملان دراستهما العليا في الولايات المتحدة الأمريكية.

الوالدة.. و«جينات» الطموح والتفوق

كانت المرحومة السيدة زاهية أبو العطا حمودة شخصية غير عادية في كثير من جوانبها. فقد كانت تجمع في أمومتها بين الغريزة والعقلانية في توازن نادر، وكانت في تدينها نموذجًا للإيمان العاقل والسماحة والبعد عن الدروشة والتهويمات. وكانت في وطنيتها تدرك بفطرتها -وبغير طريق التعلم والفلسفة- حقيقة المصالح العليا للبلاد وحقيقة الثوابت التي لا يصح التفريط

فيهـا أو المسـاومة عليهـا، وكانت أقرب ما تكـون دائمًا إلى صفوف البسـطاء من الكادحـين والفقراء والأرامل واليتامى. ورغـم عدم انخراطها في قنوات التعليم النظاميـة فـإن اقترابها الشـديد من زوجها العـالم الأزهري في حياتـه، ومتابعتها لنـشرات الأخبـار في الإذاعـة والتلفزيـون، وحرصها على الاسـتماع إلى خطب الزعـماء والقـادة ومناقشـات مجلـس الشـعب... كل ذلك مكنها من اسـتيعاب كثير من الحقائق السياسـية والتطورات الاقتصادية والاجتماعية في البلاد. وكان لهـا إلى جانـب ذلك حـس قومي عروبي رفيـع، وكان مما يحزنهـا أن ترى مواقف الفرقـة والتشرذم بين البلاد العربية. وقد بلغ بها الحزن على أحوال الفلسـطينيين والعذابـات التـي تعرض لها الزعيم يـاسر عرفات في أواخر أيامـه درجة تركت آثارها على شهيتها للطعام لأيام طويلة..

جـادت رحمها الولود بتسـعة مـن الأولاد والبنات الذيـن أفاضوا على البلاد بعطـاءات متنوعة في مجـالات العلوم والسياسـة والقانون والعسـكرية والطب والهندسة والبنوك، ولكن قلبها الكبير شمل بأمومته مئات من الأحفاد والشباب الآخريـن الذين نهلـوا من فيـض رعايتها وإنسـانيتها، وراح هـؤلاء ينقلون إلى ذويهـم ومخالطيهم نفـس القيم التربويـة والأخلاقية والوطنية التـي كانت تبثها فيهم بالقول الطيب والموعظة الحسنة والقدوة العملية. ولأنها كانت تعرف قيمة العلم والتعلم وتحقيق الذات فقد شـجعت أبناءها وبناتها على شـق طريق الحياة والتعلم حتى ولو كان ذلك يقتضي أسفارًا بعيدة. ولم تقف أبدًا موقف اعتراض أو تردد أمام رغبة البعض منهم في الإقامة والعمل خارج البلاد إيمانًا منها بحرية كل منهـم في اتخاذ ما يناسـبه من قرارات، وثقة منهـا - قبل ذلك وبعده - في أن القيم التي زرعتها فيهم جميعًا سوف تحفظهم وتباعد بينهم ومواضع الزلل.

سـافر ولدها الأكبر محمد الطاهر الباز وشـقيقه عصام الباز في مهام عسكرية ضمن القوات المسـلحة المصرية الموجودة في سـوريا واليمن وذلك في الفترة من 1959 حتى 1965، وسافر نجلها فاروق ثم لحق به شقيقه أسامة إلى الولايات

المتحدة الأمريكية للحصول على درجة الدكتوراه، وطرق الابن الخامس المهندس حازم الباز فيها بعد نفس الأبواب الأمريكية للحصول على الدكتوراه أيضًا. وحين تزوجت الابنة الوسطى السيدة ثريا الباز المهندس المعماري محمد حافظ منتصر سافر الاثنان للعمل في وزارة الأشغال العمومية بالمملكة العربية السعودية، وتكرر الأمر نفسه مع الابنة الصغرى الطبيبة صفاء الباز التي تزوجت الدبلوماسي هاني خلاف وراحت تنتقل معه بين بعثات مصر الخارجية في كل من نيويورك وأستراليا وسويسرا والمغرب ويوغسلافيا وليبيا. ولم تكن المرحومة الوالدة تبدي أي تململ أو تبرم من أسفار أبنائها وبناتها وطول إقامتهم بالخارج، بل كانت تحرص دائمًا على إشعارهم بأنها قوية وقادرة على مواصلة الحياة، وأن عليهم فقط الاهتمام بدراساتهم وأعمالهم وعائلاتهم.

ولأن رغبة التعلم لديها كانت قوية فقد حفزها ذلك على السؤال الدائم والاستفسار عن الظواهر والأحداث الجديدة. وكانت الأسفار -من بعد وفاة زوجها- إحدى وسائلها إلى المعرفة والتعلم. ويروي نجلها الدكتور فاروق الباز أنها كانت في زيارة له بالولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تزوج واستقر هناك وأصبح مسئولًا عن الشئون الجيولوجية في برنامج أبوللو لاستكشاف القمر بوكالة ناسا. وقد طلبت منه الترتيب لزيارة أحد مواقع العمل في هذا البرنامج كي ترى بنفسها كيف يتم تجهيز رواد الفضاء وتصنيع المركبات الفضائية، وعندما عرض الأمر على المسئولين في وكالة ناسا رحب الجميع بزيارتها وأعدوا لها برنامجًا حافلًا اطلعت خلاله على كثير من الأجهزة والمعدات، وخرائط للقمر وعدة كواكب أخرى، وفي زيارتها كانت تستفسر عن كل كبيرة وصغيرة، مما نال إعجاب المسئولين الأمريكيين فقدروا لها هذا الاهتمام ومنحوها شهادة تقدير وامتنان بمناسبة هذه الزيارة.

وقد حظيت تلك الأم الفاضلة بترحيب واسع من أبناء الجاليات المصرية في كافة البلاد التي زارتها، كما حصلت في عام 1998 على لقب «الأم المثالية» في مصر وقامت عدة مؤسسات مصرية بتكريمها والاحتفاء بها في هذه المناسبة.

وكما تأثر الدكتور أسامة الباز في تكوينه الأساسي بشخصية والده ومنهجه الديني المستنير، وتعامله مع المختلفين وعدم انتظار المثوبة على أي فعل طيب، تأثر أيضًا بشخصية والدته ونظرتها الذكية للحياة، وطموحها غير المحدود لمزيد من التعلم والمعرفة المستمرة، كما أخذ عنها عادة إتقان ما تكلف به من عمل، والفراسة في الحكم على الآخرين. فقد كانت - رحمها الله - ذات بصيرة نفاذة في الحكم على الأشخاص بمجرد تعاملها معهم، وكانت تستطيع أن تقرأ شخصية السياسي أو الحاكم من خلال نبرة صوته واختياره لألفاظه.

«هرمون» التميز يتوزع بين الأشقاء

كان لنشأة الدكتور أسامة الباز في أسرة كبيرة العدد تأثير في نظرته إلى بعض الظواهر والتقاليد الاجتماعية المتعلقة بالزواج والإنجاب والتربية عمومًا. ورغم أن أسرته كانت ميسورة الحال بالتناظر مع غيرها من العائلات المصرية في هذا الزمان المبكر، فإن إنجاب تسعة أفواه لا يفصل بين كل اثنين متتاليين منهم إلا عامان أو ثلاثة أعوام لم يكن أمرًا سهلًا وخاصة بالنسبة لطاقة الأم وصحتها، وبالنسبة أيضًا لمساحة الحركة المتاحة أمام الأبناء والبنات داخل البيت.

وإذا كانت بعض علوم النفس والتربية والاجتماع ترجح -إحصائيًا- أن يكون الابن الثاني أو الابن الثالث وسط أشقاء متعددين هو الأقرب إلى التميز والنبوغ بالتناظر مع أشقائه السابقين واللاحقين عليه... فإن حالة أسرة الشيخ السيد الباز قد أثبتت أن هذا التميز والنبوغ يمكن أن يوزع على أكثر من شخصين أو ثلاثة في الأسرة الواحدة.

فالشقيق الأكبر اللواء محمد الطاهر الباز كان متميزًا في دراسته العسكرية التي تزامل فيها مع المشير عبد الحليم أبو غزالة. وقد كلف عقب تخرجه في الكلية الحربية بالتدريس فيها، ثم حصل على دراسات عليا في التخطيط الاستراتيجي من أكاديمية ناصر العسكرية. وقد تولى طوال مدة خدمته بالقوات المسلحة عدة مواقع قيادية وإدارية عليا، وتدرج في عدة مناصب على مستوى الجيش والقيادة العامة، كما شارك في عمليات حربية ميدانية أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، ثم في جمهورية اليمن الشمالية في الفترة من 63 / 1965، ثم شارك في معارك سيناء عام 1967، ثم في حرب الاستنزاف من 1968 حتى 1970، كما شارك في حرب 1973 وعين بعدها مديرًا لإدارة الشئون المعنوية.

وقد ظل اللواء محمد الطاهر يعيش حياته العسكرية بالطريقة التقليدية التي درج عليها أغلب ضباط الجيش المصري حتى أحيل إلى التقاعد عام1976، ثم عين في عام 1978 مستشارًا للتخطيط وتنشيط المشروعات بوزارة الدولة للتنمية الشعبية بصحبة الوزير اللواء سعد الشربيني.

وأما الشقيق الثاني اللواء عصام الباز فقد تخرج أيضًا في الكلية الحربية وتم توزيعه على سلاح المدفعية، وقد اختير ضمن القوة المصرية المسلحة التي عملت في اللاذقية أثناء فترة الوحدة بين مصر وسوريا من 1959 حتى 1961. وعندما عاد إلى مصر بعد وفاة والده استأنف عمله في قيادة سلاح المدفعية، ثم سافر مرة أخرى إلى اليمن ضمن بعثة القوات المصرية المسلحة هناك، وعاد ليشترك أيضًا في حرب 1967.

وقد عرف اللواء عصام الباز وسط زملائه بعسكريته الشديدة، وبطموحه المتقد وسعيه الذي دفعه إلى الانتساب إلى كلية الحقوق بجامعة عين شمس حيث حصل فيها على ليسانس القانون بعد أن بلغ في الجيش رتبة العقيد، وبعدها تم اختياره للعمل بإدارة جهاز المشروعات الوطنية التابع للقوات المسلحة.

وأما الشـقيق الثالث فهـو الدكتور فـاروق الباز - الذي عـرف منذ طفولته وشـبابه بالنبـوغ والتفـوق ثم عرفـت مصر كلها بعـد ذلك قصـة اصطدامه مع بيروقراطية الإدارة بعد حصوله على الدكتوراه.

ولد فـاروق الباز في الزقازيق بمحافظة الشرقية عام 1938، حيث كان والده يعمـل آنـذاك مدرسًـا بالمعهـد الأزهري. وحـين التحـق بكلية العلـوم في جامعة عين شـمس لاحـظ العديد من أسـاتذته تفوقًا غـير عادي في تحصيلـه للدروس، وحرصًـا على توسـيع دائرة معارفه بقـراءات عديدة وزيـارات ميدانية خارجية.. وتقـول شـقيقاته إنه ومنـذ اليوم الأول له في قسـم الجيولوجيـا بالكلية كان يخرج في رحـلات استكشـافية ببعض القرى والنجوع المصريـة وفي المناطق الصحراوية بالذات لتجميع أنواع الصخور ووصفها وتصنيفها في مجموعات، والاحتفاظ بها بعد ذلك في مخزن خاص أقامه بنفسه في أحد أركان حديقة المنزل بحمامات القبة.

وعندمـا تخـرج فـاروق الباز في كليه العلـوم عام 1958 عين معيـدًا بجامعة أسـيوط، ثم سافر في بعثة علمية إلى الولايات المتحدة لاستكمال دراساته العليا، وحين عاد ومعه شـهادة الدكتوراه في العلوم الجيولوجية فوجئ بتعيينه مدرسًـا للكيميـاء بأحـد معاهـد البـترول في مدينـة السـويس بعيدًا عن مجـال تخصصه. وعبثًـا حاول هذا الشـاب الطموح أن يجد وظيفة تلائـم تخصصه العلمي إلا أن بيروقراطيـة الإدارة المصريـة في ذلك الوقت لم تتح له هـذه الفرصة، فقرر حينئذ السـفر مـرة أخـرى إلى الولايات المتحـدة الأمريكية حيـث التحق بوكالة ناسـا لأبحاث الفضاء وترقى في مدارجها العلمية والوظيفية حتى بلغ موقع الإشراف على برنامج الأبحاث الجيولوجية الخاصة بسـطح القمر، وشارك من هذا الموقع في إطلاق القمر الصناعي أبوللو.

وبعـد سـنوات طويلـة مـن الاغـتراب.. تطـورت خلالهـا سياسـات مصر الرسـمية إزاء الهجـرة والمهاجرين وفتح خلالها الرئيس السـادات الأبواب أمام

كل من يرغب في تحقيق أحلام السفر والهجرة، وبدأت الدولة تستعيد صلاتها مع أبنائها المهاجرين وخاصة المتميزين منهم.. عاد الدكتور فاروق الباز إلى وطنه في النصف الثاني من السبعينيات ليقدم بعضًا مما تعلم في الخارج من علوم الاستشعار عن بعد، ورصد أنواع التربة ومجاري المياه الجوفية تحت الأرض باستخدام صور الأقمار الصناعية. وقد احتفل به المصريون -حكومة وشعبًا وعلى مستوى الجامعات والمراكز العلمية- واختاره الرئيس السادات في عام 1979 مستشارًا له للشئون العلمية مع احتفاظه بموقعه كمدير للأبحاث بمركز دراسات الأرض والكواكب بمتحف الطيران والفضاء في واشنطن.

لم يقتصر التقدير للدكتور فاروق الباز على الدوائر الأمريكية التي منحته في عام 2004 «ميدالية ولاية نيفادا»، ومنحة مالية قدرها عشرون ألف دولار من معهد أبحاث الصحاري، لكنه قدر أيضًا في مسقط رأسه بمصر حيث قررت محافظة الدقهلية إطلاق اسمه على إحدى المدارس الإعدادية الجاري إنشاؤها في مسقط رأس العائلة - طوخ الأقلام - بمركز السنبلاوين، وذلك «تقديرًا له واعتزازًا بعلمه ودوره في رفع اسم البلاد عاليًا» كما كان أيضًا موضع تقدير من عدة دوائر علمية في كل من السعودية وقطر ودولة الإمارات العربية.

ولا يزال الدكتور فاروق يقدم عطاءاته العلمية لمصر من خلال موقعه في الولايات المتحدة، وآخرها ما تقدم به للحكومة المصرية من أفكار لمشروع جديد أطلق عليه (ممر التنمية) والذي يقوم على تنمية مساحات واسعة من الأراضي الصحراوية الموازية لنهر النيل غربًا وذلك على أساس ما تكشف عنه الخرائط الجيولوجية الملتقطة بالأقمار الصناعية لمصادر المياه الجوفية والمواقع الممكن استصلاحها زراعيًا ابتداء من الساحل الشمالي الغربي للإسكندرية حتى منخفض توشكى وبحيرة السد العالي في جنوب مصر، مع ربط هذا المحور التنموي الجديد بوادي النيل من خلال عدة محاور عرضية في مناطق البحيرة والفيوم وأسيوط وقنا وأسوان.

وأما الشـقيق الرابع فهو المهندس حازم الباز الذي ولد عام 1947، وظهرت لديـه أيضًا علامـات نبوغ علمي مبكر حيث حصل على المركز الأول في الشـهادة الإعدادية عام 1962 ثم على مجموع مرتفع في شهادة الثانوية العامة أهله لدخول كلية الهندسة -قسم الطيران- بجامعة القاهرة وتخرج فيها عام 1970. وبعد قضائه فترة الخدمة العسـكرية الإلزامية سـافر «حـازم» إلى الولايات المتحدة لاسـتكمال دراسـاته العليا والحصول على درجة الدكتوراه من جامعة «ميسوري». وبعد عدة سنوات عاد إلى مصر ومنها إلى دولة الإمارات العربية حيث التحق بوظيفة مدرس مساعد ثم مدرس بكلية الهندسة بالجامعة الأمريكية في «الشارقة».

أما الشقيق الخامس فهو المحاسب نبيل الباز الذي تخرج في كلية التجارة بجامعة عين شـمس عام 1979، وقضى بعدها فترة خدمته العسـكرية التي أبدع أثناءها في كتابة بعض المنظومات الزجلية والخواطر الشاعرية الساخرة التي تدل على ملكات إبداعيـة غـير عاديـة. وحين أنهى فـترة التجنيد التحـق بإدارة الائتـمان في المصرف العربي الدولي، وهو الموقع الذي استمر فيه حتى تقاعده الطوعي عام 2010.

وأما شقيقات الدكتور الباز فهن ثلاث: كبراهن السيدة «ليلى» التي تخرجت في كليـة الفنـون وتزوجت اللواء أحمد الخـولي بالقضاء العسـكري، والثانية هي السـيدة «ثريـا» التي تخرجت في كليـة العلوم وتزوجت المهنـدس المعماري محمد منتصر، وأخيرًا الشـقيقة الصغرى «صفـاء» التي تخرجت في كلية الطب بجامعة عين شـمس، وكانت أقرب أشقاء وشـقيقات الدكتور أسامة إلى قلبه، وأكثرهم تفاهمًا معه، وكانت تصحبه في الندوات العلمية والأنشـطة الثقافية التي يشـارك بها، وفي حضور بعض المحاضرات التي يلقيها في معهد الدراسات الدبلوماسية وفي مؤسسـة الأهرام. ومن خلال هذه المشاركة تعارفت الدكتورة صفاء في عام 1972 إلى صاحـب هذا الكتـاب - الذي وجد فيها مواصفـات الشريك المثالي لحيـاة الدبلومـاسي. وقـد بـارك الدكتور أسـامة زواجهـا عـام 1975 واعتبره اختيارًا موفقًا من جانب الطرفين.

أسامة الباز ودراسة القانون

بعـد أن أتم أسـامة البـاز مرحلة الدراسـة الثانوية في مدينة دميـاط، انتقل إلى القاهرة عـام1948 ليلتحق بكلية الحقوق في جامعة القاهرة (فؤاد الأول آنذاك) وسـط ظـروف كانـت البـلاد فيها حبـلى بأحـداث وتغـيرات كبيرة. فقـد كانت القـوات البريطانيـة لا تزال جاثمـة في مواقع عديدة مـن الأرض المصرية، وكان وجودهـا وتدخل سـفارتها في كثير من الشـئون الداخلية مصـدر ضيق وانزعاج لـدى كل الوطنيـين الشرفـاء. وكانـت الحركـة الصهيونيـة العالمية تنشـط لدعم مشروعها الخاص بإنشـاء دولة إسرائيل على أرض فلسـطين العربية بالتواطؤ مع دولـة الانتداب (المملكـة المتحدة)، وكانت هناك عمليات فدائية شـعبية يقودها أعضاء مصر الفتاة وجماعة الإخوان المسـلمين وغيرهم ضد معسكرات الإنجليز الرابضة في الإسـماعيلية والسويس وبعض مواقع أخرى. وحين دخلت الجيوش العربية إلى فلسـطين عام 1948على أثر إعلان قيام دولة إسرائيل التهب الحماس في صدور أبناء مصر وسـائر الشـعوب العربية، ولم يكن طـلاب الجامعة المصرية بمنـأى عن هذا الحماس. فخرجت منهم جموع المتظاهرين تنادي بالثأر وبإحداث التغيير اللازم في أوضاعنا الداخلية والعربية المهترئة التي تسببت في هذه النكبة.

وعـلى خلفية هذه الظـروف تأكدت لدى الطالب أسـامة الباز أهمية دراسـة الحقـوق والقانـون باعتبارها الحقـول المعرفيـة والأدوات الضرورية للانتصاف فرديًا وجماعيًا.

كانت أبرز المواد التي درسها أسامة الباز في كلية الحقوق مادة القانون الجنائي التي تلقاها على يد الأسـتاذ الدكتور علي أحمد ردشـة، وعلم الإجراءات الجنائية للأسـتاذ الدكتـور توفيق الشـاوي، ومـادة القانـون الإداري للأستاذ الدكتور عثـمان خليـل عثـمان، والقانون المدني للأسـتاذ الدكتـور وديع بك فـرج، ومادة الشريعـة الإسـلامية وأصـول الفقـه لفضيلة الشـيخ عبدالوهاب خـلاف. وقد

لوحظ احتفاظ الدكتور أسـامة الباز بكراساته ومذكراته التي نقل فيها بخط يده ملخصات المحاضرات التي ألقاها هؤلاء الأساتذة كل في مادته، وربما يكون قد نقلها نسخًا عن كتبهم ومؤلفاتهم حيث إنها كتبت وتم تبويب كل منها في فصول وأقسـام وأجزاء بطريقة غاية في الوضوح والترتيب. وفي بعض هذه الكراسات كان الطالب أسـامة الباز يترك مسـاحة من الصفحات للتعليق على بعض ما يرد في نصوص المحاضرات، فنراه في الكراسـة الخاصة بقانـون الإجراءات الجنائية يعيد كتابة الحصر الوارد في مواد القانون «لجنح الصحافة والنشر التي يجوز فيها الحبس احتياطيًا» وهي: (الجرائم التي تتضمن طعنًا في الأعراض أو تحريضًا على إفساد الأخلاق، والإغراء على ارتكاب جنحة، والتحريض مباشرة على ارتكاب جنايـات القتل أو النهـب أو الحرق أو جنايات مخلة بأمـن الحكومة، والعيب في حـق الملك أو ولي العهـد أو أوصياء العرش، وتوجيه اللـوم إلى الملك على عمل مـن أعمال حكومته، والعيب في حق الملـك أو رئيس دولة أجنبية أو في حق ممثل دولة أجنبية معتمد في مصر بسـبب أمور تتعلق بأداء وظيفته)..... ثم نراه يعلق بعد هذا الحصر كاتبًا بخط يده «يبقى فاضل إيه؟!».

ولعـل الأكثـر طرافة فيـما ورد بمذكرات الطالب أسـامة الباز مـا ألصقه من قصاصة صحفية منزوعة عن إحدى الصحف اليومية بعنوان (القبلة الزجاجية)، وقد ألصقها أمام الصفحة التي كان الدكتور توفيق الشـاوي يتناول فيها حقوق المتهم وضرورات توفير كافة الضمانات لحمايتها أثناء التحقيق.

ورغـم عـدم وجود مذكرات منسـوخة بخط اليـد لمواد الشريعة الإسـلامية وأصـول الفقـه فإننـا وجدنا في المكتبـة الخاصة بالدكتور أسـامة البـاز عددًا من الكتـب والمراجع المتعلقة بهـذه المواد ومنها كتاب عن الأحوال الشـخصية لغير المسـلمين للدكتور جميل الشرقـاوي وكتاب فضيلة الشـيخ عبدالوهاب خلاف بعنوان (الشريعة الإسـلامية وأصول الفقه) وكتابه أيضًا عن (أحكام المواريث) وثالـث بعنوان (السياسـة الشرعية). ويذكر الدكتور البـاز في مراحل لاحقة أن

أهـم ما كان يميز محاضرات الشـيخ عبد الوهاب خلاف في الشريعة الإسـلامية أنهـا كانت تسـتقطب عددًا كبيرًا من طلاب الكليـات الأخرى في الجامعة الذين كانـوا يزاحمـون طـلاب الحقوق في حضـور تلك الـدروس للتعلم والاسـتزادة المعرفيـة، ويذكر أيضًا أن الشـيخ خلاف كان يتسـم بالهـدوء والوقار والصوت الخفيض والانفتاح على أسـئلة الطلاب، بينما كان فضيلة الشـيخ محمد أبو زهرة عالي الصوت وذا نبرة حادة وحاسمة.

ومـن أبرز زملاء وأصدقاء أسـامة الباز الذين زاملـوه في كلية الحقوق حتى التخـرج فيهـا عـام 1952 الإذاعيـة اللامعـة فضيلة توفيـق - صاحبـة برنامج الأطفال الشـهير «أبلة فضيلة» الذي كان يذاع حتى وقت قريب بالبرنامج العام للإذاعة المصرية، والمرحوم الأسـتاذ أحمد سلامة رئيس اللجنة التشريعية السابق في مجلس الشـعب والذي توفي في شـهر ديسمبر 2010، والأسـتاذ أحمد الحفني المحامي، والأستاذ حمدي المنباوي وكيل البنك المركزي سابقًا، والسيدة ثريا حرم الوزيـر المفوض التجاري المرحوم محمـود عبدالباري حمزة رئيس مكتب التمثيل التجـاري المصري في جنيف سـابقًا. كـما تضمنت بعض كراسـات المحاضرات الخاصة بالدكتور أسـامة الباز أسـماء عدد من زملائه الآخرين ومنهم إسـماعيل عباس السـيد هيكل الذي كتب اسـمه بالحبر الأخضر على كراسة القانون المدني ومعهـا عبارة «للذكـرى» بتاريخ 26/ 3 / 1950، وأيضًا الزميل أسـامة محمد حسن النجار الذي كتب بخط يده حوالي اثنتي عشرة صفحة عن «شروط المحل كركن من أركان العقود» وذلك في نفس الكراسة الخاصة بالقانون المدني.

ويبـدو أن ملكات التعبير والكتابة التي كانت قد ظهرت مبكرًا لدى أسـامة الباز أثناء المرحلة الثانوية قد وجدت طريقها إليه مرة أخرى أثناء دراسـته بكلية الحقوق حيث شارك في كتابة وإصدار صحيفة أسبوعية بالكلية تحمل اسم (ربع ساعة) وكان المقصود بهذا العنوان إقناع الطلاب بأن الاطلاع على هذه الصحيفة لن يشكل عبئًا ثقيلًا يتعارض مع واجباتهم الدراسية.

الفصل الثاني

بين القانون.. والدبلوماسية.. والسياسة

رحلة أسامة الباز من النيابة العامة إلى
السلك الدبلوماسي.. وإلى جامعة هارفارد
ومنها إلى المعترك السياسي في مصر.

تخرج أسامة الباز في كلية الحقوق عام 1952 وبعدها مباشرة تم تعيينه معاونًا بالنيابة العامة في ظروف كانت البلاد تمر خلالها بمرحلة من عدم الاستقرار السياسي والأمني بسبب تداعيات الهزيمة العسكرية للجيش المصري والجيوش العربية الأخرى في فلسطين وعودة الضباط إلى مصر محملين بمشاعر الاستياء والإحباط والغضب، وزاد على ذلك اندلاع حرائق مشبوهة الدوافع في أنحاء متفرقة من القاهرة، إلى جانب ظهور بعض جرائم القتل المسلسل في صعيد مصر والتي نسبت إلى سفاح مجهول مرة وإلى عصابات منظمة في مرات أخرى.

وعندما قامت ثورة الضباط الأحرار في مصر في 23 يوليو 1952 كان أسامة الباز يضع قدمه على أولى درجات الوظيفة العامة كمعاون نيابة في قسم الوايلي بالقاهرة. ويذكر زملاؤه في سلك النيابة العامة – ومنهم المستشار ماهر عبدالواحد – الذي تولى فيما بعد منصب النائب العام – أنهم كانوا يتقاضون راتبًا شهريًا لا يتجاوز اثني عشر جنيهًا، وكان هذا الراتب في هذا الزمان يكفي

معاون النيابة للظهور بمظهر وقور من حيث الملبس والمسكن والانتقال من وإلى العمل بوسائل كريمة، وقد يفيض من الراتب ما يكفي لقضاء إجازة الصيف في أحد المصايف الساحلية. ويروي أسامة الباز فيما بعد أنه كان ينفق الجزء الأكبر من هذا الراتب في شراء كتب ومراجع قانونية إلى جانب هوايته المبكرة في شراء كافة الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية التي كانت تصدر في ذلك الوقت وهي «الأهرام»، و«أخبار اليوم»، و«الجمهورية»- (وكانت الأخيرة قد بدأت في الصدور عام 1954 وأسندت رئاسة تحريرها إلى السيد / محمد أنور السادات عضو مجلس قيادة الثورة آنذاك) إلى جانب مجلات روز اليوسف وصباح الخير وآخر ساعة والمصور والهلال الشهري.

قضى أسامة الباز قرابة خمس سنوات في سلك النيابة تنقل خلالها بين أقسام الوايلي والظاهر والزيتون وفي نيابة الأحداث، ومن أبرز ذكرياته عن تلك المرحلة قصته التي نشرها في أحد أعداد مجلة روز اليوسف عام 1954 في مقال بعنوان «رأيت الله». وفي هذا المقال يروي أسامة الباز واقعة تعرض لها أثناء التحقيق مع أحد المتهمين في قضية قتل حدثت في أحد أحياء القاهرة. ففي أثناء التحقيق -ورغم الهدوء الذي حاول به وكيل النيابة ومعاونه أسامة الباز- توجيه الأسئلة إلى المتهم -فوجئ المحققون بمحاولة الأخير إخراج «موسى» صغيرة كان يخفيها تحت لسانه وراح يهاجم بها أسامة الباز وزملاءه من طاقم النيابة مهددًا بذبحهم ثم الانتحار إذا لم ينته التحقيق فورًا بإخلاء سبيله. وبعد فترة ذعر وارتباك سادت غرفة التحقيق تمكن رجال الشرطة الموجودون بالمبنى من السيطرة على المتهم وتقييده، واضطر المحققون إلى تأجيل استكمال التحقيق إلى تاريخ لاحق. ويستطرد الباز في روايته ليصف ضخامة جسم المتهم المتهيج، وعضلاته المفتولة، ومنكبيه العريضين، وصوته الجهوري الذي أدخل الرعب إلى المحققين وجعلهم يستشعرون خطرًا محدقًا على حياتهم. ثم راح الباز -في مقاله المنشور عن تلك الحادثة- يتناول بالتحليل فلسفة القتل ودوافعه

لدى المجرمين، واستخفافهم بأرواح الضحايا، وحالة الذعر والهلع والصدمة العصبية التي تصيب الضحية عند وقوعها فريسة في يد القاتل. وكأن أسامة الباز -بهذا المقال الروائي القصير والحافل بتقدير قيمة الحياة والروح والعدالة الإلهية- قد بدأ الكشف عن نفسه الشاعرة وحسه المرهف، وربما بدأ يدرك أيضًا أن قدراته الحقيقية ومكانه الملائم ليس في التعامل مع القتلة والمجرمين ولكن في مواقع أخرى يمكن أن يكون لها تأثيرها في منع ظواهر العنف وأسبابه عند المنبع أو التقليل منها على الأقل.

من النيابة إلى السلك الدبلوماسي

التحق أسامة الباز بوزارة الخارجية في منتصف الخمسينيات على وظيفة سكرتير دبلوماسي وبعكس بعض اتجاهات الترقب والتحفظ التي سادت لدى بعض الدبلوماسيين العاملين بالوزارة في ذلك الوقت -أظهر أسامة الباز حماسًا واضحًا للخطوات التي اتخذتها الثورة المصرية بزعامة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر فيما يتعلق بسياسات الإصلاح الزراعي، ومواجهة الأحلاف العسكرية وعلى الأخص مشروع حلف بغداد المشبوه، وفيما يتعلق بتنويع مصادر التسليح للجيش المصري، وتأميم قناة السويس عام 1956.

وكان أسامة الباز متحمسًا أيضًا لسياسة عدم الانحياز والحياد الإيجابي التي أعلنها جمال عبدالناصر والتي تمت متابعتها فيما بعد من خلال لقاءات منتظمة ضمت رؤساء مصر والهند ويوغوسلافيا، ثم اتسعت لتضم أطرافًا أخرى في آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية.

تابع أسامة الباز في أوائل التحاقه بالسلك الدبلوماسي عمليات الترتيب لاستقلال السودان، والدعم المصري للثورة الجزائرية ولحركات التحرر الوطني الأخرى في كل من غانا وغينيا، ومالي وكينيا وروديسيا الجنوبية وعدن، وشارك

في الترتيب أيضًا لزيارات قام بها عدد من قادة هذه الحركات التحررية إلى مصر ومنهم الزعيم المالي أحمد سيكوتوري، والزعيم الغاني كوامي نكروما، والزعيم النيجيري أبوبكر تيفاوا باليوا، والزعيم الكيني جومو كينياتا، والزعيم التنزاني جوليوس نيريري. ويذكر الدكتور أسامة الباز فيما بعد - أن عمله بالقرب من السفير الراحل كمال الدين صلاح قد أكسبه الكثير من المعرفة بالأوضاع الصومالية والمشكلات العديدة لهذا البلد، كما أتاحت له صلاته بعدد من السفراء ذوي الخلفيات العسكرية فرصة لمعرفة نقاط القوة والإضافات الحقيقية التي يمكن أن يقدمها هؤلاء داخل الحياة الدبلوماسية، وكذلك الصعوبات التي يمكن أن تواجههم بعد انتقالهم إلى العمل المدني عمومًا والدبلوماسي على وجه الخصوص.

كانت الإدارة العامة للأبحاث في وزارة الخارجية المصرية تعتبر أكبر وأهم إدارات الوزارة خلال الخمسينيات والستينيات نظرًا لأنها كانت تمثل نقطة الصلة بين الجهاز الدبلوماسي المصري من جهة، ورئاسة الجمهورية من جهة أخرى، وقد عمل أسامة الباز في هذه الإدارة منذ تعيينه ولمدة تقرب من أربع سنوات متصلة -تعرف خلالها على شخصيات عديدة في مجلس قيادة الثورة وفي رئاسة الجمهورية. وكان من بين هذه الشخصيات السادة عبدالمجيد فريد، وعلي صبري، ومحمد فائق، وسامي شرف، ومحمود الجيار، وصلاح الشاهد، وحسن كامل، وجمال منصور، وأحمد قدري، وحسن بلبل، وصلاح الداعور، وصلاح بسيوني، وأحمد أنور. وقد انتقل عدد من هذه الشخصيات في مراحل لاحقة للعمل بوزارة الخارجية كسفراء بناء على قرارات من رئيس الجمهورية.

ومن بين الأوراق التي أعدها أسامة الباز في تلك المرحلة، والتي ظل يعتز بها اعتزازًا خاصًا مذكرة أعدها حول (الآثار القانونية لقرارتأميم قناة السويس) وأخرى عن (مستقبل حركة عدم الانحياز) وثالثة عن (سياسة مصر الإفريقية) وهي - كما يتضح من عناوينها - موضوعات ذات طابع استراتيجي بعيد

المدى، وهو الطابع الذي تميزت به أغلب اهتماماته في سنوات عمله اللاحقة بوزارة الخارجية.

سنوات هارفارد.. وانطلاق هرمون «السياسة»

حصل أسامة الباز عام 1958 على منحة دراسية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية. ورغم أن ظروف العلاقات المصرية الأمريكية في تلك الفترة لم تكن مواتية تمامًا فإنه أقبل على هذا التحدي في حماس وسافر إلى بوسطن عام 1959 ليبدأ رحلته الطويلة من أجل الحصول على درجة الماجستير ثم الدكتوراه في القانون من تلك الجامعة الأمريكية المتميزة.

كانت جامعة هارفارد واحدة من أهم وأكبر سبع جامعات أمريكية في العالم من حيث تعدد التخصصات وارتفاع المستوى العلمي للأساتذة والمقررات الدراسية إلى جانب صلات التفاعل القوية بينها وبين المؤسسات العاملة في مجالات التشريع والقضاء والسياسة الخارجية والدفاع والإنتاج الصناعي والابتكارات العلمية، ويعتبر النجاح في الالتحاق بهذه الجامعة ميزة كبيرة وفرصة يصعب تحقيقها ما لم يكن لدى المتقدمين مؤهلات واستعدادات علمية وشخصية واجتماعية عالية المستوى، وبما يمكنهم من مواكبة المستوى المتميز للجامعة والتماشي مع معاييرها وتقاليدها.

وتعتبر كلية القانون في جامعة هارفارد - والتي يرجع تأسيسها إلى عام 1817 من أهم وأعرق المعاهد العلمية المتخصصة في تدريس القانون في أمريكا والعالم، وقد تتوازى مع كلية القانون العريقة في جامعة باريس أو قد تتفوق عليها من حيث أعداد الخريجين الذين يعملون في مواقع متنفذة في حكومات الدول وفي إدارة المنظمات الدولية وفي أرفع مستويات أجهزة التشريع والقضاء ومراكز التحكيم والبنوك والشركات العملاقة متعددة الجنسيات.

ومـن أشـهر الشـخصيات التي تخرجـت في هـذه الكلية الرئيـس الأمريكي التاسـع عـشر روث فـورد، والرئيـس الأمريكي الحالي بـاراك أوبامـا، وزوجته ميشـيل أوبامـا، ورئيـس جمهورية الصـين الوطنية ماينج تشـو، ورئيـس البنك الـدولي روبـرت زوليك، ومستشـار الأمـن القومـي الأمريكي الأسـبق هنري كيسـنجر، ورئيسة أيرلندا السابقة ماري روبنسون. كذلك تخرج في نفس الكلية العـشرات مـن السـفراء الأمريكيـين السـابقين والحاليين وأشـهرهم ريتشـارد هولـبروك، وسـتيفن كوهـن، وباتريـك موينهـان، إلى جانب العديـد من قضاة المحكمـة الأمريكية العليا ونسـبة كبيرة من العاملين فيهـا، فضلًا عن اثني عشر حاكمًا لعدة ولايات أمريكية، وسبعة ممن شغلوا منصب المدعي العام الأمريكي في فترات مختلفة.

ولاشـك أن هذه الخلفية التاريخية والسـمعة العلمية الكبيرة لجامعة هارفارد ولكليـة القانـون بها على وجه الخصوص قـد جعلت من إيفاد أسـامة الباز إليها عـام1959 فرصة كبيرة لتحقيق طموحاته الشـخصية من ناحية وللمسـاهمة في بناء جسـور للتواصـل العلمي بين مـصر والولايات المتحدة مـن ناحية أخرى، وخاصـة في تلـك المرحلة التـي كانت العلاقات السياسـية فيها بـين البلدين تمر بحـالات مـن التوتر والحـذر بسـبب النغمـة القومية العاليـة التـي كان الزعيم الراحل جمال عبدالناصر يقودها ضد مشروعات التحالف العسكري المطروحة مـع الولايات المتحـدة وحلف الأطلنطي، واقترابه النسـبي من معسـكر الدول الاشـتراكية في الاتحاد السوفيتي السابق ودول أوروبا الشرقية وكوبا، إلى جانب مسـاندته لحركات التحرر الوطني في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ومن بينها مسـاندته للمقاومة الوطنيـة في فيتنام ضد الوجود العسـكري الأمريكي هناك. وكان لدى أسـامة الباز ثقة في قدراته الشـخصية ومؤهلاتـه الاتصالية بما يمكنه من تحقيق تفهم أكبر للمواقف المصرية والعربية داخل المجتمع الدراسي والعلمي

في الولايات المتحدة الأمريكية، واكتساب صداقات جديدة لمصر وحضارتها بين المواطنين الأمريكيين المخالطين له داخل الجامعة وربما خارجها أيضًا.

تفاعل الباز مع التطورات داخل أمريكا

إلى جانب اهتمامه بدروسه في القانون الدولي وفروعه المختلفة المتصلة بالقانون التجاري، وقانون البحار، وأعمال القضاء والتحكيم الدولي، والعلاقات الدبلوماسية وقواعد التنظيم الدولي وتسوية المنازعات، والقانون الدولي الإنساني وغيرها، تابع أسامة الباز أيضًا التطورات والظواهر السياسية والاجتماعية التي كان المجتمع الأمريكي يمر بها في هذه الفترة، وأهمها تنامي حركة المطالبة بالحقوق المدنية من جانب جماعات الأمريكيين من أصل إفريقي، وتنامي الحركة النسائية المطالبة بمزيد من الحقوق والحريات للمرأة، فضلًا عن الاتجاهات الاحتجاجية الرافضة لاستمرار الوجود الأمريكي العسكري في فيتنام، وتنامي قوة وتأثير المنظمات الأهلية الداعية إلى وقف التجارب النووية، وحماية البيئة، وحماية المستهلك.

حماية البيئة وحماية المستهلك والاحتجاج ضد التجارب النووية

لاحظ أسامة الباز خلال إقامته في الولايات المتحدة في أوائل الستينيات - أن منطق التقدم الصناعي الدائم وبأي ثمن الذي ساد الحياة الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين قد أخذ في التراجع شيئًا فشيئًا، وراح يحل محله منطق آخر يدخل عنصر «الكيف» على هذا التقدم الصناعي العسكري المتسارع. وبدأ المفكرون -بل المواطنون العاديون- يتساءلون عن تكاليف هذا التقدم وتأثيراته السلبية على نوعية الحياة، وعلى تلوث البيئة، وصار التساؤل

الشائع في أوائل الستينيات يدور حول مدى سلامة المضي بالحضارة الصناعية الكمية بغير ضوابط كيفية تراعي حقوق الإنسان وكرامته، وحقوق المستهلك في سلعة آمنة وخالية من المواد الإشعاعية والسموم الضارة، وحقوق العاملين في بيئة عمل صحية وعادلة وخالية من قهر الآلة واستنزاف الجهد والوقت. وقد تشكلت حول هذه الأفكار والاتجاهات الجديدة جمعيات ومنظمات أمريكية عديدة، كان من أبرزها جمعية «رالف نادر» لحماية المستهلك، وجماعات أخرى تدعو للعودة إلى الطبيعة في المأكل والملبس والمسكن والعلاج. كما نظمت العديد من الوقفات الاحتجاجية والمظاهرات الحاشدة التي طالبت بوقف التجارب النووية في أمريكا والعالم، وبإبعاد كل المفاعلات النووية عن المناطق السكنية والزراعية، كما قامت عدة مراكز علمية وجامعية بأبحاث حول خطورة إعادة هندسة الخلايا النباتية أو الحيوانية على صحة الإنسان وطباعه، كما ظهرت أيضًا في الإصدارات الأدبية والأعمال الفنية أعمال جديدة تتحدث عن أخلاقيات مجتمع الآلة، وضرورة المزاوجة بين العلم والأخلاق والقيم الجمالية.

ولأن أسامة الباز - وغيره من الطلاب الوافدين من الشرق الأوسط والبلاد العربية والإسلامية - كانوا يحملون ثقافات حافلة بضوابط الموازنة بين الروح والمادة، وأخلاقيات الفطرة الطبيعية، فقد كان لديهم ما يسهمون به في إثراء تلك التوجهات الجديدة في أمريكا، والكتابة عما يمكن عمله من مزاوجات بين ثقافتي الشرق والغرب، وكانت لهم في ذلك عدة مقالات نشرت في دوريات صحفية وإصدارات جامعية. إلا أنهم جميعًا كانوا يشعرون في داخل أنفسهم بأسف شديد لأن بلادهم التي وفدوا منها -لم تكن قد بلغت حدًّا من التقدم العلمي والصناعي يسمح بإثارة مثل تلك التساؤلات، وأنها- أي البلاد العربية والإسلامية - كانت لا تزال تحتاج في حقيقة الأمر إلى ما ينقلها إلى عصر العلم التطبيقي النافع ويضعها على مشارف المجتمع الصناعي بأكثر من احتياجها إلى معالجة مشكلات ما بعد الثورة الصناعية.

حركة الأمريكيين السود..
وبروز النعرات القومية للأقليات

حين ظهرت حركات السود التحررية في الخمسينيات طالب الزنوج بالمساواة الاقتصادية والسياسية وحاولوا الاندماج في المجتمع الأمريكي على أساس أن اختلاف لون البشرة لا يرتب بالضرورة اختلافًا في الوعي أو الوجدان لدى الإنسان. إلا أن جماعات جديدة بدأت تظهر في بدايات الستينيات - ومنها جماعة «سينك» السوداء - التي طرحت برنامجًا ثوريًا جديدًا يرفض الاندماج كقيمة في ذاتها - ويطالب بالمساواة الاقتصادية والانفصال الثقافي والروحي في نفس الوقت. وظهرت في ذلك عبارات وشعارات جديدة مثل (القوة السوداء) و(السواد الجميل) واختفى مصطلح زنجي (نجرو) ليحل محله مصطلحات جديدة مثل (الأفرو أمريكان)، أو مجرد (أسود) (بلاك)، وهي مصطلحات تؤكد ازدواج الولاء، وأن انتماء السود الحضاري ليس انتماء أمريكيًا خالصًا. وراح البعض يعيدون كتابة تاريخ أمريكا من وجهة نظر «سوداء». ولاحظ أسامة الباز وغيره من الطلاب العرب والأفارقة الدارسين هناك في تلك الفترة ميلاد حركة واسعة لإحياء التراث الفكري والأدبي لأمريكا السوداء ولاكتشاف أبطال سود من المناهضين للاندماج. كما لاحظوا بداية مشروع جديد لربط حركة الأفرو أمريكان -أو على الأقل جزء منها- بالتراث الإسلامي والثقافة الإسلامية، وهي الحركة التي أسسها (أليجا محمد) وتزعمها فيما بعد(مالكولم الصغير).

وقد لاحظ أسامة الباز بوادر اصطدام بين هذا المنحى القومي الجديد الذي بدأت حركة السود تتجه إليه في الولايات المتحدة الأمريكية مع الفكر الصهيوني والجماعات اليهودية هناك، حيث كانت الأخيرة تعتبر نفسها صاحبة الاحتكار الوحيد والامتياز الأول في التوجهات القومية داخل المجتمع الأمريكي، وأن

التفـرد في الثقافـة حكر عـلى اليهـود دون الأغيـار. وكان هذا يفسر لـماذا كانت المنظـمات الصهيونية واليهودية تؤيد الأفكار والجماعات الاندماجية بين السـود وتمدهـا بالمعونـات الماليـة، بينما حجبت هـذا التأييد عن الجماعـات الثورية التي تطالب بالحفاظ على الثقافة والتراث الأسود وتنمية استقلاليته.

ولهذه الأسـباب أصبح اليهودي هو العدو المباشر والمرئي للجماهير السوداء المضطهـدة، فاضطرمـت حـدة الـصراع بين أهـم وأكـبر أقليتـين عنصريتين في المجتمـع الأمريكـي وزاد مـن وعيهـما بذاتهما القوميـة، وهو مـا أدى إلى سريان الوعـي الفئوي والقومي لدى جماعات وأقليات أخرى حيث تشـكلت جمعيات للدفـاع عن حقوق الأمريكيـين من أصل إيطالي، وأخـرى تضم ذوي الأصول الأيرلنديـة الذين بدءوا يمدون جيش التحرير الأيرلندي في الوطن الأم بالدعم والتمويـل. وقـد لوحظ أن صناعة السـينما قد أسـهمت أيضًا بدورهـا في إذكاء هـذا التوجه العرقي والفئوي في المجتمـع الأمريكي، وفي تكريس ملامح محددة لشخصية وسلوك كل من الفئات ذات الأصول الإيطالية والإفريقية والأيرلندية واليونانية والآسيوية.

وقد انعكسـت كل هـذه الظواهر الاجتماعيـة والثقافية المتناميـة في المجتمع الأمريكي على الدراسة بالجامعات الأمريكية، وشهد الدكتور أسامة الباز بنفسه تشكيل مجموعات من الطلاب داخل هارفارد تضم أفرادًا من ذوي الاهتمامات الإثنيـة المتباينـة، كما لاحظ تطورًا نوعيًـا في بعض مواد الدراسـة حيث أدخلت إليهـا موضوعـات تتعلـق بالحقـوق الثقافيـة للإنسـان، وآليـات الانتصاف في النزاعـات العرقية، كما أدرجت بعض المواد الخاصة بالتاريخ الإفريقي، والثقافة الإفريقية.

انعكاسات الصراع العربي الإسرائيلي داخل المجتمع الأمريكي

حين سقطت الأقلية اليهودية الأمريكية في قبضة الفكر الصهيوني العالمي وأدى ذلك إلى وقوف الولايات المتحدة إلى جانب مشروع إنشاء دولة إسرائيل في أرض فلسطين عام 1948 - بدأ اليهود الأمريكيون يعزفون نغمة جديدة تدور حول تفرد «الشخصية اليهودية» واستقلالها، وحول «وحدة الوجود اليهودي». وقد انعكس ذلك في مناهج التعليم التي حاولت تقوية الوعي اليهودي على حساب الوعي الأمريكي. وبدأت تثور هناك في بعض أعمال الأدب والمناقشات السياسية مسألة «ازدواج الولاء» لدى اليهود الأمريكيين، كما ظهرت في فترة الستينيات عدة مؤلفات أمريكية تناقش كيفية الجمع والانصهار في أرض إسرائيل الجديدة بين اليهود المهاجرين إليها من بلاد وجنسيات ومواقع جغرافية مختلفة، ومدى التماثل والتباين بين هذه التجربة اليهودية في إسرائيل وبين التجربة نفسها في المجتمع الأمريكي الذي تشكل أيضًا من جنسيات وأصول عرقية وفدت إليه من الخارج عبر التاريخ.

كانت مصر والبلاد العربية تعيش في تلك الفترة آثار الهزيمة العربية في فلسطين، وانعكاساتها المتمثلة في تهجير مئات الآلاف من أصحاب الأرض خارج أراضيهم، وإيواء بعضهم في مخيمات للاجئين تحت وهج الشمس الحارقة صيفًا وفي زمهرير البرد شتاء، وتعيش أيضًا في أجواء التحسب لمحاولات الانقضاض الإسرائيلي على أراض عربية أخرى في الجولان وطبرية والنقب وسيناء. وقد لاحظ أسامة الباز بحسه الوطني والقومي أن القضايا التي تثار حول «اليهود» و«الصهاينة» في المجتمع الأمريكي وفي منابره الإعلامية ودوائره السياسية ليست هي لب القضية كما يعرفها هو وزملاؤه من المواطنين العرب المقيمين في أمريكا، وأن مسائل «التفرد اليهودي»، و«العبقرية اليهودية في بناء

الدولة وصهر المهاجرين»، وما يثار حول مسألة «الولاء المزدوج» لليهود داخل المجتمع الأمريكي تأخذ في اهتمامات المواطن الأمريكي مساحة أكبر بكثير من الاهتمام المستحق بأبعاد العدالة والمشروعية الدولية، وحقوق شعب عربي بأكمله تم طرده وإهانة كرامته وآدميته على يد الصهيونية العالمية، وأوضاع شعوب أخرى قريبة أو بعيدة صارت مطمعًا لقوى دولية كبرى سواء من الغرب أو الشرق.

كذلك لاحظ أسامة الباز بحسه التحليلي أن العلاقات الأمريكية مع الدول العربية تحفل -منذ نهايات الحرب العالمية الثانية- بتباينات في النوع والدرجة مما قد لا يسمح بتعميم أحكام مطلقة على عموم المواقف الأمريكية تجاه العرب، وأنه -وإن كانت بلاده المصرية تمر في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات بحالات من الجفاء والتوتر في علاقاتها الثنائية مع الولايات المتحدة لأسباب تتعلق بالمشروطية السياسية المصاحبة للمعونة الأمريكية، خصوصا ما ظهر منها في واقعة سحب عروض التمويل لمشروع السد العالي عام 1955، أو لأسباب أخرى تتعلق برفض مصر الانضواء تحت المظله الأمريكية ومشروعاتها في بناء أحلاف عسكرية وسياسية في المنطقة - فإن جوهر السياسات الخارجية الأمريكية تجاه مصر في السنوات العشر الأولى للثورة المصرية كان في تقدير أسامة الباز يحمل في عمومه تقديرًا لمكانة مصر المتميزة في الشرق الأوسط، وحرصًا على الوساطة بين مصر وإنجلترا في نزاعهما حول وجود القوات البريطانية بمنطقة قناة السويس والمساهمة الأمريكيه في التوصل بين الطرفين إلى اتفاقية الجلاء عام 1954، ثم إدانة واشنطن الجريئة والصريحة للعدوان الأنجلوفرنسي على بورسعيد عام 1956 بعد تأميم القناة.

الاتحاد العام للطلاب العرب في الولايات المتحدة الأمريكية

كانت كل هذه الخلفيات والاعتبارات تجول في خلفية الذهن لدى أسامة الباز عندما فكر مع نخبة من زملائه الدارسين العرب بالولايات المتحدة في تشكيل أول اتحاد عام يجمعهم، وفي تخطيط أهدافه وتحديد أنشطته الإعلامية والتثقيفية والخدمية، والتي كان من أهمها -إلى جانب دعم اللحمة وتنسيق المساعدة الاجتماعية والعلمية للطلاب العرب الوافدين حديثًا إلى أمريكا- شرح حقوق الشعب الفلسطيني وأبعاد مأساته السياسية والإنسانية في الدوائر الإعلامية والدراسية داخل وخارج الجامعات، وإمداد الباحثين والكتاب ودوائر التأثير في صناعة القرار الأمريكي بالبيانات والوثائق والشهادات الحية عن الثقافة العربية وأبعادها، وعن القواسم المشتركة التي يمكن أن تسهم في تنمية العلاقات العربية مع الشعب الأمريكي ومؤسساته خاصة في مجالات الثقافة والعلوم والتبادل الطلابي، وتعزيز الآثار الإيجابية لظاهرة الهجرة العربية إلى الولايات المتحدة.

كانت نواة هذا الاتحاد الجديد تضم إلى جانب الدكتور أسامة الباز عددًا آخر من الشباب العربي المنتمين إلى جنسيات فلسطينية وسورية ولبنانية وأردنية وعراقية ومصرية ويمنية. وكان من بين هؤلاء اليمنيان محسن العيني وعبدالكريم الإيرياني، والفلسطيني وليد الخالدي، وشريف بسيوني (مصري)، وعامر قنديلجي (لبناني)، ورفعت الرميسي (أردني)، وعبدالوهاب المسيري (مصري) وأكرم الميداني (سوري) وفاروق أحمد شعبان (مصري)، وعبدالسلام الدجاني (فلسطيني)، وسليمان تربح (عراقي)، ود/ إبراهيم شحاتة (مصري).

ومع اتساع رقعة الأنشطة الثقافية والإعلامية لهذا الاتحاد الوليد وامتدادها إلى عدة ولايات أمريكية في الشمال والجنوب، وانضمام أعداد كبيرة إلى عضويته

من العرب الدارسين في جامعات هارفارد، وكولومبيا، وجورج تاون، وسانت بول، وألينوي، وميسوري، وبركلي، بدأت عدة مؤسسات أمريكية وعربية في التنسيق مع الاتحاد وإمداده ببعض أشكال الدعم المختلفة، وكان من بين تلك المؤسسات الأمريكية «مركز كارنيجي للأبحاث»، ومؤسسة فورد، ومعهد سميثونيان، والأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية، ومن المؤسسات العربية مكتب الجامعة العربية في نيويورك، والنادي العربي بالأمم المتحدة، والمركز الثقافي المصري في واشنطن وكذلك المركز الإسلامي في واشنطن. كما تواصل الاتحاد أيضًا مع مكتب الجامعة العربية في أوتاوا بكندا وكان يرأسه آنذاك السيد كلوفيس مقصود ثم خلفه الأستاذ يحيى أبوبكر.

ومن الذكريات التي رواها المرحوم السفير تحسين بشير عن دور أسامة الباز في هذا النشاط العربي المبكر داخل المجتمع الأمريكي في الستينيات -أن الشقة الصغيرة التي كان الباز يقطن بها في مدينة بوسطن كانت تعتبر بمثابة النزل أو الفندق المفتوح الذي يقصد إليه كل وافد عربي إلى المدينة وكل دارس جديد بجامعة هارفارد. وقد بلغ عدد النزلاء العرب في هذه الشقة (المحطة الأم) في بعض الفترات ما يزيد على أحد عشر طالبًا وزائرًا في آن واحد.. وكانت الإقامة فيها أشبه بمعسكر للكشافة أو بيت من بيوت الشباب، حيث يتناوب البعض أسرّة النوم ويفترش آخرون الأرض، بينما تتسوق مجموعة لاحتياجات الإعاشة وأخرى تقوم بطهي الطعام. وهكذا كانت حياة هؤلاء الدارسين العرب في شقة أسامة الباز التي تحولت مع مرور الوقت إلى مركز تجمع عربي تنطلق منه المشروعات والأنشطة التي تخدم احتياجات الدارسين العرب وقضايا الأمة العربية في عمومها.

ويذكر أسامة الباز كيف تفاعل هذا الاتحاد في تلك الفترة مع تطورات الوحدة العربية السورية ثم مع انفصالها في عام 1961، وكيف تفاعل أيضًا مع اندلاع ثورة اليمن، ومع ظاهرة الخطابات المفخخة التي كانت توجه إلى خبراء

الصواريخ الألمان العاملين في مصر، وكيف كانت ردود فعل أعضاء الاتحاد وغيرهم من المهاجرين العرب إزاء المشروعات الإسرائيلية التي أعلنت في عام 1964 لتحويل مياه نهر الأردن إلى الأراضي الإسرائيلية وما أعقبها من انعقاد قمة عربية عاجلة في مصر لبحث خطورة هذه المشروعات.

ويتوقف أسامة الباز طويلًا أمام فرحة الجموع العربية الموجودة آنذاك بالولايات المتحدة إزاء إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 واعتبارها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، وما أعقب ذلك الإعلان من تنشيط لبرامج «الاتحاد» الإعلامية داخل المجتمع الأمريكي، وردوده التي قدمها على الاتهامات الإسرائيلية والصهيونية ومحاولات تشويه كل نشاط فلسطيني يستهدف مقاومة السياسة الاستيطانية والتوسعية الإسرائيلية.

ويشرح الدكتور أسامة الباز المنطلقات التي كانت تنطلق منها أنشطة «اتحاد الدارسين العرب»، والتي كانت تركز على التمييز بين الانتماء للديانة اليهودية من ناحية وانتهاج الأفكار الصهيونية من ناحية أخرى، كما كانت تركز أيضًا على فضح الطابع العنصري والتوسعي في السياسات الإسرائيلية. وقد نجح أعضاء الاتحاد في ربط قنوات للتواصل مع عدد من الجمعيات ومنابر الإعلام والشخصيات اليهودية غير الصهيونية كمجلة (كومنتري)، ومجلة (ميد ستريم)، والعالم النفساني إيريك فروم، والعالم الاجتماعي ديفيد وايزمان، والعالم اللغوي ناعوم تشومسكي.

العودة إلى مصر والانخراط في العمل السياسي

وبعد حصول أسامة الباز على شهادة الماجستير ثم شهادة S.T.D في القانون من جامعة هارفارد عاد إلى القاهرة عام 1968، حيث باشر عمله في إدارة معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية وهو الموقع الذي أتاح له أيضًا فرصة المتابعه القريبة لأنشطة الاتحاد الاشتراكي العربي ولجنته المركزية ومكتبه السياسي. كما تم انتدابه للعمل مع الأستاذ محمد حسنين هيكل بوزارة الإعلام في غير أوقات العمل الرسمية.

عايش أسامة الباز من هذه المواقع المهنية والسياسية آثار ونتائج حرب يونيو 1967، ورغم عمق الوجيعة التي كانت تلم به خلال متابعته تلك النتائج فإنه كان من بين القلة المثقفة الواعية التي استطاعت أن ترتفع فوق الألم الشخصي والوطني وراحت تلملم أشلاء الفكر والثقافة في البلاد، وتبحث في عمق ومسئولية عن الأسباب الحقيقية للهزيمة، ثم تطرح تصوراتها لكيفية التعامل مع الحقائق المكتشفة والواقع الجديد. وفي إطار تلك الظروف جاء التعارف بين الدكتور أسامة الباز والأستاذ محمد حسنين هيكل ونخبة أخرى من مفكري الأهرام والكتاب المصريين أمثال الدكاترة زكي نجيب محمود، وفؤاد زكريا، وقدري حفني، ولطفي الخولي، والسيد ياسين، وعدد من الشباب الواعد كان منهم السادة حاتم صادق وجميل مطر وعبدالحميد رضوان ورشاد البحراوي. وحين تشكلت أمانة للعلاقات الخارجية بمنظمة الشباب الاشتراكي التابعة للاتحاد الاشتراكي العربي أسندت إلى الدكتور أسامة الباز مسئولية هذه الأمانة.

■■■

في عام 1973 انتقل المستشار أسامة الباز من المعهد الدبلوماسي إلى مكتب السيد إسماعيل فهمي، وزير الخارجية آنذاك، وهو نفس الموقع الذي ترقى فيه

إلى درجة وزير مفوض وحصل عام 1974 من الرئيس السادات على وسام الجمهورية من الطبقة الثانية «تقديرًا لحميد الصفات وجليل الخدمات» خلال المتابعات التي قام بها أثناء حرب أكتوبر وما جرى بعدها من مفاوضات لفك اشتباك القوات.

وفي عام 1977 تم انتداب الدكتور أسامة الباز للعمل مستشارًا سياسيًّا لنائب رئيس الجمهورية إلى جوار عمله الرسمي بوزارة الخارجية، ثم تمت ترقيته استثنائيًّا إلى درجة سفير عام 1979 ثم إلى درجة سفير ممتاز عام 1982 بمناسبة تعيينه وكيلًا أول لوزارة الخارجية ومديرًا لمكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية.

رئاسة مجلس السلك الدبلوماسي والقنصلي

تولى الدكتور أسامة الباز من موقعه كوكيل أول لوزارة الخارجية رئاسة مجلس السلك الدبلوماسي والقنصلي، وهو المجلس الذي يتولى تنظيم ومتابعة الأوضاع المهنية والوظيفية لأعضاء السلك الدبلوماسي والقنصلي بما في ذلك النظر في تقارير كفاءة الأداء واعتمادها، وتوقيع الجزاءات واتخاذ الإجراءات التأديبية في الحالات التي تقتضي ذلك، فضلًا عن التوصية بالترقيات، وحل المشكلات الإدارية للبعثات الخارجية والنظر في التظلمات وغير ذلك.

ورغم أن السفير الباز لم يعمل طوال حياته الدبلوماسية في أي سفارة أو بعثة خارجية ولم يتعرض بنفسه لطبيعة المشكلات التي تواجه الدبلوماسيين في حياتهم وممارساتهم بالخارج واحتكاكاتهم اليومية في مختلف المواقف والمواقع.. فإن تعدد أسفاره ومهامه الخارجية في إطار وفود مصر المرافقة للرئيس أو لنائبه، أو في اطار المهام السياسية التي أوكلت إليه منفردًا أو المهام العلمية والفكرية التي شارك فيها بناء على دعوة جهات خارجية.. وكذلك متابعاته المكتبية لتقارير

السفارات ورسائل الزملاء والأصدقاء من الدبلوماسيين المصريين بالخارج - كل ذلك أتاح له فرصة كافية لتكوين صورة واضحة عن أوضاع السفارات والقنصليات في الخارج ومشكلات الأداء فيها.

تشكلت لدى الدكتور أسامة الباز قناعة واضحة بأن هناك صنفين من الدبلوماسيين المصريين، الأول صنف يتخذ العمل كرسالة وطنية يؤمن بها وينمي إمكانياته الذاتية من أجل تحقيقها، وهو ما يستحق التشجيع المستمر لأصحابه وتصديرهم للمهام الكبرى والدقيقة. أما الصنف الثاني فهم الدبلوماسيون العاديون الذين يتخذون العمل الدبلوماسي كمجرد مهنة من بين المهن التخصصية، ويسعون فقط من أجل تحسين أوضاع هذه المهنة وأصحابها بدون أن يكون لهم بالضرورة رؤًى شاملة أو طموحات تتجاوز حدود المهنة التخصصية ودوائرها المباشرة. ومثل هؤلاء -في تقدير الدكتور أسامة الباز- يتم الاكتفاء بالتعامل معهم كمنفذين للسياسات، وتجري محاسبتهم في أدائهم وفق هذا الإطار المعياري.

وخلال رئاسته جلسات مجلس السلك الدبلوماسي لاحظ الكثيرون من أعضاء المجلس - وهم في العادة من كبار السفراء الذين يشغلون مناصب مساعدي وزير الخارجية - أن الدكتور أسامة الباز لايسعده كثرة الطلبات الواردة من رؤساء البعثات الخارجية لتعزيز ميزانيات السفارات مثلًا أو لاستبدال أعضاء دبلوماسيين بغيرهم، أو الشكوى من ضعف تجهيزات السفارات وطلبات تجديد مباني البعثات أو مقار إقامة السفراء وغير ذلك. وكان يبدو أكثر انزعاجًا وقلقًا حين ترد إلى المجلس بعض التقارير السلبية عن بعض حالات الخلل الإداري أو الشبهات الأمنية التي تحوط سلوك بعض الدبلوماسيين، وكان يميل في هذه الحالات إلى إجراء تحقيقات عاجلة للكشف عن الحقائق ومحاسبة من يثبت تقصيره.

وقد تميزت الفترة التي تولى فيها الدكتور الباز رئاسة مجلس السلك الدبلوماسي والقنصلي بعدة سمات هامة، من بينها مضاعفة عدد الفتيات المقبولات للالتحاق بالسلك، وزيادة عدد الموافقات على الإجازات الدراسية للحصول على شهادات عليا (ماجستير ودكتوراه لأعضاء السلك)، وارتفاع عدد المنتدبين والمعارين من الوزارة للعمل في منظمات دولية أو إقليمية، فضلًا عن افتتاح أكثر من سبع سفارات وقنصليات مصرية جديدة في عواصم ومدن مختلفة.

كذلك شهدت تلك الفترة إدخال نظام جديد للتأمين الصحي وعلاج أعضاء الوزارة من خلال شركات تأمين كبرى، وتصدي الوزارة لعرض بعض الحالات الخاصة بأعضائها والتي تخرج عن دائرة التغطية التأمينية الجماعية - على رئاسة مجلس الوزراء لاستصدار قرارات بتغطية باقي تكاليف العلاج.

كما شهدت نفس الفترة إدخال نظام جديد يتم بمقتضاه اقتطاع جزء من رواتب أعضاء السفارات بالخارج المصروفة بالعملة الأجنبية وصرفه بالجنيه المصري داخل الوطن، وذلك في إطار مساهمة وزارة الخارجية وأعضائها في تنفيذ سياسات التقشف وترشيد استخدام العملة الأجنبية والمساهمة في سداد الديون الخارجية، وهي الأهداف التي أعلنتها الحكومة المصرية مع بداية الثمانينيات حتى نهاية عقد التسعينيات تقريبًا.

أبرز بصماته في إدارة علاقات مصر الخارجية

وإلى جانب رؤية أسامة الباز الشخصية للوظيفة الدبلوماسية وبصماته الخاصة في تطوير بعض جوانب النظام الإداري والمهني للسلك الدبلوماسي المصري... كانت له -وهذا هو الأهم- بصماته المتميزة في تشكيل بعض اتجاهات السياسة الخارجية المصرية وفي إمدادها ببعض الإضافات المنهجية والأبعاد الفكرية التي استهدفت توفير قدر معقول من الرشد والمقبولية والتأثير. ويمكن إيجاز هذه الإضافات والأبعاد في أربعة مجالات على النحو التالي:

- الحفاظ على البعد العروبي لمصر وسياستها الخارجية حتى في أحلك وأحرج المراحل التي تعرضت لها البلاد في علاقاتها مع الأطراف العربية.
- الاعتماد في تسويق سياسة مصر الخارجية على مضمون رسالتها الحضارية والثقافية عبر التاريخ.
- الحرص على تشكيل السياسات والمواقف المصرية وعلاقاتها الخارجية في إطارات ديمقراطية أو على الأقل استمزاج الرأي لدى عدة قوى وأطراف وطنية عند تشكيل هذه السياسات.
- المزاوجة في المعالجات السياسية -وبقدر الإمكان- بين المنهج العلمي والاعتبارات البراجماتية.

ونظرًا لأننا سوف نفرد لموقع «العرب والعروبة في فكر وعمل أسامة الباز» فصلًا خاصًّا في هذا الكتاب؛ لذا سنركز الآن على النقاط الثلاث الأخرى.

السياسة الخارجية.. وهوية مصر الحضارية

حرص الدكتور الباز في أغلب المشروعات التي أعدها لخطب وكلمات رئيس الجمهورية على إبراز الأبعاد التاريخية والحضارية التي تستمد منها مصر منطلقات سياستها الخارجية وتعتمد عليها في بناء مواقفها إزاء الأحداث والتطورات الإقليمية والدولية. فنراه عند التحدث مع الأطراف الأوروبية بشأن مشروعات التعاون والشراكة في المستقبل يحيل إلى ما كان بين ضفتي البحر المتوسط في الشمال والجنوب من صلات متنوعة عبر التاريخ، وما كان لمصر بالذات من أدوار في استقبال المؤثرات الحضارية والثقافية الوافدة من أوروبا وإعادة صهرها في بوتقة مصرية محلية تسمح للمصريين باستيعاب أبعادها المفيدة، وما كان لها أيضًا من أدوار في صد ومقاومة المحاولات الأخرى التي كانت تستهدف الهيمنة من جانب واحد أو استلاب المزايا أو تغيير الهوية.

وفي المناسبات الصعبة التي شهدت فيها بعض المواقع الأوروبية والأمريكية بعض ظواهر العنف والإرهاب المنسوبة إلى جماعات عربية أو أشخاص مسلمين كان الخطاب المصري الذي يسهم أسامة الباز في إعداده يحرص على شرح المفارقات الكبيرة بين ما يجري من ناحية وما تحمله الأصول الإسلامية -فقهًا وشريعة وتاريخًا- من دعاوى للسلم ونبذ التعصب ومن نماذج للتعايش الهادئ، ومن مبادئ حضارية وملزمة تحكم التعامل بين المسلم وغير المسلم.

وعندما يكون الخطاب موجهًا إلى إفريقيا والإفريقيين يحرص أسامة الباز على توضيح جوانب اشتراك مصر مع إفريقيا في تاريخ واحد وفي الخضوع معهم لمشكلات متماثلة سواء في العلاقه مع القوى الاستعماريه السابقة أو في مواجهة مشكلات الأمراض والمديونية الحديثة. كما يحرص على التذكير بما كان بين مصر ودول حوض النيل من روابط حياتية ومصالح مشتركة يعود بعضها إلى عهود التاريخ القديم والأوسط.

وهكذا ظل هناك وضوح كامل في فكر أسامة الباز حول ما يمكن أن تلعبه الجذور التاريخية والحضارية بين الشعوب والدول في التأثير على شكل ومسارات العلاقات بينها، فالمسألة ليست فقط مجرد مصالح آنية أو ظرفية وإنما هي شبكة طويلة ومركبة تجمع بين انعكاسات التاريخ والقواسم الثقافية والحضارية المشتركة جنبًا إلى جنب مع مستجدات الظروف والمصالح.

وقد لاحظ أسامة الباز في بعض ما يُروى عنه أن هناك تباينًا بين الدول في درجة إيمانها وتقبلها لهذا الطرح المتصل بالبعد الحضاري في السياسات الخارجية، فقد وجد من خبرته الدبلوماسية العريضة أن فرنسا والصين وإيطاليا تتفهم هذه المعادلة جيدًا وتقيم لها حسابات مهمة، بينما توجد أطراف أخرى في ألمانيا والولايات المتحدة وربما في روسيا لاتقيم وزنًا كبيرًا لهذا الاعتبار.

إضفاء البعد الديمقراطي في صياغة السياسة الخارجية وتنفيذها

كذلك أسهم الدكتور أسامة الباز من خلال موقعه القريب من رئيس الجمهورية في اقتراح وتنفيذ خطة سياسية لإشراك ممثلي القوى الوطنية سواء الحزبية أو المهنية في تمثيل مصر بعدد من المؤتمرات واللقاءات الدولية جنبًا إلى جنب مع ممثلي الحكومة الرسميين. وقد بدأ هذا التقليد الذي عرفه النظام السياسي المصري فيما بعد الثورة -ولأول مرة- في عام 1974 حين شارك عدد من أعضاء مجلس الأمة المصري في تشكيل وفد مصر الرسمي بالدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك. وكان حضور النائبة المصرية الدكتورة ليلى تكلا وتمثيلها المشرف لمصر في أعمال اللجنة الثالثة المعنية بالشئون الاجتماعية والثقافية والإعلامية مظهرًا حضاريًّا وديمقراطيًّا ترك أثره لدى العديد من الدوائر الدبلوماسية والإعلامية في الولايات المتحدة الأمريكية

وخارجها، خاصة في تلك الفترة التي سبقت أول زيارة رسمية يقوم بها الرئيس الراحل أنور السادات إلى الولايات المتحدة والتي تمت بعد أقل من عام على مشاركة هذه البرلمانية المصرية في أعمال الأمم المتحدة، وبعد لقاءاتها الناجحة التي عقدتها مع العديد من أعضاء الكونجرس الأمريكي وأساتذة الجامعات ومراكز الأبحاث الأمريكية. وقد أصبح هذا التقليد متبعًا في كثير من المؤتمرات الدولية والإقليمية اللاحقة.

كذلك كان تشكيل وفد مصر إلى مؤتمر مدريد الأول للسلام في الشرق الأوسط عام 1991 المحطة الثانية التي شارك فيها ممثلون من عدة قوى وطنية ومفكرون وعلماء، الأمر الذي أعطى دلالات سياسية للمجتمع الدولي عمومًا ولرعاة عملية السلام في الشرق الأوسط خصوصًا - بأن مسيرة مصر السلمية وسياستها الخارجية ليست نتاج قرارات فوقية فحسب وإنما تدعمها وتشارك في تنفيذها عناصر شعبية تمثل المجتمع المدني المصري وجمعياته ومنظماته الاجتماعية والثقافية.

وعندما فكر الرئيس مبارك في تشكيل هيئة وطنية جامعة للإشراف على الأداء المصري في عملية التحكيم الدولي حول طابا ودعمها بالمشورة القانونية والفنية، تقدم الدكتور أسامة الباز بقائمة لأسماء الشخصيات المقترح ضمها في هذه الهيئة، وعلى رأس تلك القائمة جاء اسم الدكتور وحيد رأفت الفقيه القانوني الدولي -وهو من قيادات حزب الوفد- وإلى جانبه كانت هناك أسماء أخرى تمثل مختلف التخصصات الفنية المطلوبة لهذه العملية الكبرى، ومن بينهم أساتذة القانون الدولي الدكاترة صلاح عامر، ومفيد شهاب، وحامد سلطان، ومن المؤرخين الدكتور يونان لبيب رزق، وغيرهم من رجال المساحة العسكرية وعلماء الطبوغرافيا، والاقتصاد، والأمن القومي.

كذلـك جاء وفد مصر المشـارك في مؤتمر الدار البيضـاء للتعاون الاقتصادي والإقليمي لدول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا عام 1994 متضمنًا في تشكيله -إلى جانـب الـوزراء والمسئولين الحكوميـين- ممثلـين أيضًـا لرجـال الأعـمال ولشركات السياحة والمصارف، وهو ما أدى إلى تعزيز الحضور المصري في المؤتمر وإلى تكامل الطرح الوطني في أعماله.

وهـو نفس مـا انتهجتـه الدبلوماسـية المصرية بعـد ذلك خـلال مفاوضاتها الخاصـة بمـشروع الشراكـة الأورو متوسـطية (عملية برشـلونة) والتي شـارك فيها أيضًـا رجال أعمال، وممثلون عـن الغرف التجارية والصناعية والسـياحية، واتحادات الصيادين وأصحاب السفن إلى جانب رجال الثقافة والتعليم والآثار والزراعة من ممثلي الهيئات الحكومية والقطاع الخاص على السواء.

الجمع بين المنهج العلمي.. والأسلوب البراجماتي

وإذا كان البعـض يرى أن اسـتوزار أسـاتذه الجامعـات وتصدير غيرهم من النخبـة التكنوقراطيـة للعمل العام لم يحقـق في التجربة المصرية نجاحًا ملموسًـا من حيث المردود السـياسي النهائي أو حتى مـن حيث ضبط الأولويات وإعادة ترتيبها وتحسـين الإدارة، فإن خبرة أسـامة الباز وملكاته العلمية والشخصية قد أثبتـت وجود اسـتثناءات مـن هذا الحكم العـام والمطلق. فقـد كان ـ رحمه الله ـ ينطلـق في تفكيره مـن منطلقات مبدئية وركائز علمية، لكنه يحرص على مزاوجة هـذه المنطلقـات مـع الاعتبـارات الواقعية والعمليـة في توليفة دقيقـة وملائمة، فنجده مثلًا يسـتحضر لـكل طرح من طروحاتـه وعند كل اقـتراح يقدمه مدى التكلفـة، ونوعيـة رد الفعل، وحجم التأثير المتوقـع لدى مختلف الأطراف وعلى مختلف المصالح.

ومع اعترافه وتمسكه بمبادئ القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية فإنه يستطيع في بعض الأحيان أن يجد لمصر سندًا أو مبررًا من نفس القانون ونفس الشرعية يعفيها من حرفية الالتزام أو يمنحها مساحة أرحب للتحرك. وقد شهدت العلاقات المصرية الأمريكية على سبيل المثال نماذج عديدة لهذا الأسلوب التوفيقي والبراجماتي الذي اتبعه الدكتور الباز في أكثر من موقف وأكثر من مواجهة. كما شهدت علاقات مصر مع إسرائيل أمثلة أخرى لهذا التكييف البراجماتي للنصوص والوثائق.

ومن بين الأدوات أو الوسائل التي كان يستخدمها الدكتور الباز في إدارته لكثير من العلاقات الشائكة والمواقف الحساسة أسلوب الحفاظ على «شعرة معاوية»، أي ترك مساحة متاحة أمام الأطراف المعاكسة أو المعارضة للعودة إلى منطقة التفاهم، وهو ما أسفر في حالة العلاقات المصرية العربية مثلًا عن عودة تلك العلاقات إلى طبيعتها الأولى بعد فترة طويلة من القطيعة أو الخصومة، وبدون أن تتنازل مصر عن قراراتها ومواقفها السياسية. وقد يكون افتقاد مصر لهذا الأسلوب في إدارة علاقاتها الحالية مع بعض الأطراف الإقليمية -وبعد أن غاب الدكتور الباز عن مسرح السياسة والحياة عمومًا- أحد أسباب الأعطال التي راحت الدبلوماسية المصرية تواجهها مؤخرًا في المنطقة.

الفصل الثالث

البـــاز: معلمًا.. ومحاضرًا.. وباحثًا

عرف الدكتور أسـامة الباز بنهجه الذي يميل إلى تأصيل الظواهر السياسية تأصيـلًا علميًّا، وبتحليلـه العميق لطبيعة العلاقات الدولية ومشـكلاتها. وكان مـن ذكائـه أنــه حـرص على تنميـة هـذا الملمـح العلمـي في عمله، كما سـاعدته الظروف خلال مشـوار حياته على إبراز هذا الطابـع وتوظيفه لخدمة بلاده. فقد تـم تعيينه عقب عودته من رحلته الدراسـية بإدارة معهد الدراسـات والتدريب الدبلوماسي، حيث قدَّم هنـاك نموذجًا متفردًا للمعلم الكفء والمدرب الناجح والمحفز لطاقات الشباب البحثية والعملية. ثم جاء بعد ذلك دوره كمثقف عام لأعضاء التنظيم السـياسي الرئيسي في البلاد ولأعضاء منظمة الشباب على وجه الخصـوص، وهنـاك أبلى أيضًا بـلاءً طيبًا وأضـاف إلى العمل السـياسي الوطني أبعادًا منهجية طال افتقادها في تاريخ النشاط السياسي والشعبي القائم بعد ثورة يوليو 1952.

وحين أسـندت إليه ابتداء من منتصف السـبعينيات مهـام وطنية أعلى وأكثر تركيبًا ظل حريصًا على ألا تجرفه شـواغل الموقع الرسـمي وأعباؤه المتلاحقة عن متابعة الأنشـطة والندوات العلمية بالجامعات ومراكز البحث، والمشـاركة فيها بالمحاضرات والعروض التحليلية والمناقشات.

وقـد رأينـا تخصيـص هذا الفصـل من الكتـاب لعرض وتحليـل بعض تلك الجوانب العلميـة في حياة الدكتور الباز،ابتداء من دوره أولًا في تدريب وتثقيف الدبلوماسـيين الجدد بوزارة الخارجية، ثـم دوره ثانيًا في إثراء الجامعات ومراكز الأبحـاث العلميـة ودور النـشر بالعديـد والمتنـوع من المحـاضرات والأبحاث والمقالات التي تدور حول موضوعات مختلفة.

الباز في معهد الدراسات والتدريب الدبلوماسي

تـم تعيين المستشـار أسـامة البـاز عـام 1968 بهيئـة إدارة معهد الدراسـات الدبلوماسـية وكان هـذا المعهد قد أنشـئ بقـرار من وزير الخارجيـة عام 1967 ليقـوم بتدريـب الدبلوماسـيين الجدد الملتحقين بـوزارة الخارجية عـلى المهارات المهنية الأساسـية في مجالات البروتوكول والمراسـم وأعمال الرمز وقواعد الأمن ومهارات التحليل السياسي وبعض مجالات الإدارة والشئون المالية والإجراءات القنصلية. ولأن الدبلوماسيين الجدد الملتحقين بوزارة الخارجية يكونون في العادة من حاملي شـهادات جامعيـة مختلفة التخصصات كالتجـارة والإدارة والإعلام والآداب والهندسـة والحقوق وليسـوا بالضرورة من خريجـي الاقتصاد والعلوم السياسـية – لـذا كان هناك هدف آخر من وراء إنشـاء المعهـد الدبلوماسي وهو إمداد الملاحق الجدد بالمعارف الموحدة والمتجانسـة في التاريخ السياسي والقانون الـدولي والمنظمات الدوليـة. وكان المعهد حريصًا على ألا يتـم تقديم هذه العلوم والمعـارف في إطار أكاديمـي بحت وإنما يتم التركيز فيها عـلى الجوانب والنماذج التطبيقية ذات الصلة بالممارسة الدبلوماسية العملية.

كان المستشار أسامة الباز واحدًا من بين أربعة دبلوماسيين يمثلون طاقم إدارة المعهد في عام 1968 تحت رئاسـة السفير المرحوم محمد التابعي، وكان يعمل إلى

جوارهم طاقم إداري مكون من خمسة موظفين يتولون الشئون المالية والإدارية والأرشيف والسكرتارية والمكتبة. ونظرًا لحداثة عودة الدكتور أسامة الباز من بعثته الدراسية بالولايات المتحدة الأمريكية فقد عمل منذ اليوم الأول له في المعهد على نقل كثير من تقاليد الإدارة والتدريب الحديثة والمفيدة إلى أساليب العمل في المعهد، فكان من بين أبرز بصماته، استدعاء أساتذة وخبراء من داخل مصر وخارجها لتقديم محاضرات والتحدث عن خبراتهم العملية، والتعاقد مع بعض مراكز اللغات الأجنبية القائمة في القاهرة لتقوية الملاحق الجدد في مهارات التحدث والكتابة الإنجليزية والفرنسية، كما استحدث الدكتور الباز ابتداءً من عام 1971 نظامًا يكفل مشاركة الملاحق المتدربين في إدارة بعض شئون المعهد وخاصة فيما يتعلق بتنظيم الزيارات الميدانية لبعض المواقع الأثرية والتاريخية المصرية ومؤسسات الإنتاج والخدمات المشهورة. كذلك أفسح المعهد المجال أمام الدارسين لتنظيم أنشطة حرة خارج جدول الدراسة الرسمي، منها ماعرف بأسلوب «الندوات الحرة» التي يتولى الدارسون فيها اختيار موضوعات النقاش وشخصيات الضيوف وإدارة الحوار، ومنها بعض الأنشطة الرياضية التي يمارس فيها الجميع -دارسين ومعلمين ومديرين- بعض الرياضات الجماعية. وكانت أغلب هذه الأنشطة الرياضية تتم في نادي المعادي الرياضي أو في نادي الشرطة القائم بجوار برج القاهرة. وكان أسامة الباز حريصا على المشاركة بنفسه في معظمها.

أدخل الدكتور الباز أيضًا إلى نظام التدريب في المعهد أسلوب «محاكاة الأدوار» Simulation الذي كان في ذلك الوقت المبكر أسلوبًا جديدًا وغير معروف في أساليب التدريب والإدارة، ثم أصبح فيما بعد أحد البرامج الدائمة للدراسة والتدريب في معظم الجامعات والمعاهد ومراكز البحث.

اختيار المحاضرين الزائرين

كان من بين أبرز الشخصيات الدولية التي استضافها المعهد الدبلوماسي بدعوة من الدكتور أسامة الباز في أوائل السبعينيات الدكتور جورج أبو صعب الأستاذ بمعهد العلاقات الدولية بجنيف، وسماحة الشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني «مغربي» الأستاذ بجامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، والبروفسور جاك فريمون أستاذ العلوم السياسية بجامعة باريس، والأستاذ جوهان جالتونج الأستاذ بمعهد أبحاث السلام في استكهولم، والمرحوم الدكتور عبدالوهاب المسيري الذي كان عائدا لتوه من الولايات المتحدة الأمريكية.

ويذكر أعضاء الدفعات الأولى الذين تخرجوا في المعهد الدبلوماسي كيف كان أسامة الباز يدير لقاءات هؤلاء الأساتذة والخبراء مع الدارسين بالمعهد، وكيف تركت المعارف وطرق العرض التي تميز بها هؤلاء الأساتذة علامات مهمة في ذاكرة الدارسين وفي طرائق معالجتهم للقضايا السياسية والثقافية التي تعرضوا لها فيما بعد خلال حياتهم المهنية.

ويذكر أعضاء الدفعة الرابعة من دارسي المعهد على وجه الخصوص الذين أتموا فترة تدريبهم عام 1972، كيف كان لمنهجية جوهان جالتونج «السويدي» في التمييز بين عمليات «صنع السلام» و«حفظ السلام» و«بناء السلام» دورهام في تفتيح أذهان الشباب الدبلوماسي على منهجيات مفيدة عند معالجة قضايا الحرب والصراعات الدولية، والتنظير لأسبابها ومراحلها وطرق تسويتها. وقد سبقت تلك الرؤية المبكرة كافة الأعمال العلمية والقرارات السياسية والبرامج الدولية التي راحت فيما بعد تنشر هذه الأفكار والمنهجيات على نطاق واسع. كما يذكر الدارسون في هذه المراحل المبكرة كيف نجح المرحوم الدكتور عبدالوهاب المسيري في نقل صورة الحياة والثقافة الغربية عمومًا والأمريكية بالذات إلى أذهانهم بطريقة علمية وعملية ومن خلال الوسائط السمعية والبصرية التي كان

الدكتور المسيري يصطحبها معه في محاضراته، وكيف ساعد منهجه النقدي في تشكيل رؤية حرة ومتوازنة لدى مستمعيه تباعد بينهم وبين الانبهار أو الاحتقار لتلك الثقافات الأجنبية. أما أفكاره في شرح الحركة الصهيونية ومفاهيمها الدينية والسياسية وفي وصف الطبيعة الفسيفسائية التي يتسم بها المجتمع الإسرائيلي فقد لعبت هي أيضًا دورًا مهمًّا في إثراء طرائق التفكير لدى الشباب الدبلوماسي وتنويع زوايا النظر لديهم. ولن ينسى الدبلوماسيون الذين حظوا بقضاء فترات تدريبهم الأولى في تلك المرحلة الذهبية من عمر المعهد الدبلوماسي كيف كانت لقاءاتهم مع السفير المرحوم تحسين بشير تفتح أمام مداركهم آفاقًا جديدة في تحليل الصراع العربي الإسرائيلي، ولعل سؤاله الشهير الذي طرحه على الدارسين بالمعهد عام 1971 في أول لقاء بهم - وفي حضور الدكتور أسامة الباز- يدل على خصوبة تفكير هذا الرعيل الأول من الدبلوماسيين في مصر، فقد طلب تحسين بشير في بداية لقائه بالدارسين أن يقدم كل منهم العنوان الذي يعتقد أنه الأكثر صوابًا لهذا الصراع العربي الإسرائيلي، وأخذ يتلقى منهم مايقرب من عشر صياغات مختلفة ثم راح يفند كلًّا منها مصححًا مايلزم تصحيحه ومستكملًا ما يلزم استكماله.

تميزت الفترة التي شارك فيه الدكتور أسامة الباز في إدارة المعهد الدبلوماسي أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي بشيوع روح الألفة والتجانس بين كافة أعضاء المعهد -دارسين ومدرسين وهيئة إدارة وزوارًا- ويرجع الفضل في إشاعة تلك الروح إلى شخصية أسامة الباز المحببة والمنفتحة والتي كانت تؤمن إيمانًا صادقًا بأهمية التواصل بين الأجيال، وبإمكانية استفادة المعلم من ملاحظات وأسئلة طلابه، كما كانت تؤمن بتربية الشباب على المصارحة وتنمية الروح النقدية فيهم، والاستماع لآرائهم، وإطلاق الحرية لهم في اختيار الأسلوب الملائم لحياتهم الشخصية وإشباع احتياجاتهم الإنسانية مع الحفاظ على إطارات وضوابط عامة متفق عليها في النواحي المهنية والأمنية والوطنية.

أدخل معهد الدراسات الدبلوماسية في الفترة التي شغل فيها الدكتور الباز موقع نائب المدير نظامًا جديدًا يقضي بتكليف الملحقين الدارسين عند نهاية فترة تدريبهم بإعداد أبحاث علمية في موضوعات اختيارية تكون ذات صلة بالقضايا الدبلوماسية والعلاقات الدولية، وتكون هذه الأبحاث تحت إشراف علمي من جانب سفراء سابقين أو عاملين وأساتذة الجامعات أو الخبراء. وكان هذا النظام يقضي بأن تتم مناقشة كل من هذه الأبحاث بمعرفة لجان علمية تشكلها إدارة المعهد، وبحيث يكون تقدير اللجنة لصاحب البحث عنصرًا في تحديد ترتيبه بين زملاء الدفعة عند إتمام التدريب في المعهد، وهو ما يحدد في عموم الأحوال، توزيعه فيما بعد على مكاتب وإدارات الوزارة وعند إلحاقه بالبعثات الخارجية في عواصم العالم. رغم أن المعهد الدبلوماسي لايمنح شهادة أكاديمية في نهاية فترة الدراسة فإن الجهد المبذول في إعداد هذه الأبحاث والشروط المطلوب توافرها فيها ومستوى المناقشة التي تجرى كانت ترقى إلى مستوى التحضير لدرجة الماجستير في الجامعات. وقد تردد أن هناك محاولات تجرى في السنوات الأخيرة من أجل معادلة شهادة إتمام الدراسة بالمعهد الدبلوماسي بشهادة الماجستير في العلوم السياسية، وإن كان الأمر لايزال رهن النقاش.

وبنظرة سريعة إلى الأبحاث التي تقدم بها الملحقون الدبلوماسيون إلى المعهد في سنوات السبعينيات والثمانينيات يتبين أن هناك تنوعًا ملحوظا في موضوعاتها. ومن المؤكد أن طبع ونشر هذه الأبحاث - أو على الأقل بعضها مما لايحمل طابعًا سريًا أو يستند إلى وثائق سرية - يمكن أن يثري المكتبة العربية بمعين هائل من الدراسات التحليلية والتوثيقية في مجالات السياسة الدولية والتاريخ الدبلوماسي.

مساهماته وأبحاثه في الندوات العلمية والحلقات الدراسية

وإلى جانب دروسه ومحاضراته التي قدمها للمتدربين في معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية ولأعضاء أكاديمية ناصر للعلوم العسكرية وللملحقين بدورات مركز تدريب القادة التابع لأمانة مجلس الوزراء ووزارة التنمية الإدارية، ولغيرها من مراكز تدريبية في مصر، شارك الدكتور أسامة الباز في العديد من الندوات العلمية والحلقات الدراسية وورش العمل التي نظمتها الجامعات ومراكز الأبحاث المصرية والعربية والأجنبية، وكان المتحدث الرئيسي في أكثر من لقاء وتجمع سياسي وبرلماني في أوروبا والولايات المتحدة، كما اختير عضوًا في لجان المناقشة لرسائل الدكتوراه والماجستير التي تقدم بها عدد من الطلاب المصريين والعرب. وإلى جانب ذلك نشرت له بعض الدوريات العلمية العربية والأجنبية عددًا من الأبحاث والمقالات.

ورغم أن الدبلوماسية، وفنون التفاوض، وتشكيل النظام العالمي، وتحليل الصراع العربي الإسرائيلي، وتطورات القضية الفلسطينية، والعلاقات المصرية العربية شكلت أغلب الموضوعات في مساهمات الدكتور الباز بمعظم هذه المحافل والتجمعات فإنه تناول أيضًا في مناسبات عديدة موضوعات أخرى تتعلق بالحضارة العربية، والحوار بين الثقافات والأديان، وسياسة عدم الانحياز، وظواهر التطرف والإرهاب، وثقافة السلام، كما شملت بعض محاضراته وكلماته ومقالاته إشارات هامة عن العلاقة بين العلم والسياسة، وتأثير الثورة التكنولوجية في العلاقات الدولية، وعن حقوق الإنسان، والديمقراطية ودور المرأة ومشكلات الشباب وأخلاقيات المجتمع.

ونظرًا لصعوبة حصر كافة الموضوعات والمناسبات والتواريخ التي قدم فيها الدكتور الباز مساهماته العلمية على مدار مشواره السياسي الطويل..

فسوف يقتصر ما نعرضه هنا على بعض ماتوافر من نصوصها المكتوبة، أو من الملخصات التي أعدت عنها للنشر في الدوريات أو الصحف اليومية. وسوف يكون منهجنا هو عرض العناصر والأفكار الرئيسية التي تضمنتها محاضراته ومداخلاته - آملين في يوم قريب يمكننا فيه نشر النصوص والمقالات بكاملها في مشروع مستقل بإذن الله.

سياسة عدم الانحياز في مرحلة الوفاق بين قطبي السياسة الدولية

أعد الدكتور أسامة الباز في ربيع عام 1972 ورقة بحثية عن هذا الموضوع استند فيها إلى المناقشات التي تابعها في إحدى الندوات العلمية التي عقدت في شهر فبراير 1969 بمدينة «نوفي ساد» اليوجوسلافية والتي ناقشت ملامح التقارب الحادث آنذاك بين الكتلتين الغربية والشرقية وبدء حلول نوع من التفاهم بينهما اقتضته مخاطر المواجهة النووية، مما أدى بالضرورة إلى تطوير مفهوم عدم الانحياز واتخاذه مضمونًا جديدًا ليس أساسه تجنب المواجهة النووية ومحاولة التأثير على الكتلتين في سبيل الحفاظ على السلام العالمي وإنما الحفاظ على مصالح وأمن الدول الصغيرة والمتوسطة.

أكد أسامة الباز -في ورقته التحليلية- أن سياسة عدم الانحياز ليست سياسة وقتية قصيرة الأجل تنتهي بانتهاء ظروف الحرب الباردة وإنما هي عقيدة دائمة أساسها تحريك السلام والتقدم والتحرر في العالم، وتضييق الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية حتى يمكن تحقيق تعايش سلمي حقيقي في علاقتهما، وإن عدم الانحياز لابد أن يصبح بذلك صيغة جديدة في العلاقات الدولية ترمي إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من ديمقراطية هذه العلاقات ومن التعاون الاقتصادي بينها.

وبعد استطراد في شرح نشاط دول عدم الانحياز في الأمم المتحدة ونجاحها في تصفية الاستعمار (تقريبًا) من القارة الإفريقية، وفي عقد أول مؤتمر عالمي للتجارة والتنمية (أنكتاد) لتنظيم العلاقات الاقتصادية بين كافة الدول - لاحظ الدكتور الباز تركيز وزراء خارجية دول الحركة في اجتماعاتهم اللاحقة بجورج تاون عام 1972 على الآثار السلبية المترتبة على سياسة الوفاق الدولي بالنسبة لمناطق الصراعات الأخرى في إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط وفي البحار والمحيطات. وذكر أن تخفيف حدة التوتر كما يتبدى -في تلك الفترة- لم يضمن منع أعمال التدخل والتخريب والصراعات في المناطق البعيدة نسبيًا عن المواجهة المباشرة.

وتوقع الدكتور الباز احتمال لجوء القوى الكبرى -بعد تقاربها- إلى سحب بعض المشكلات السياسية المعقدة خارج نطاق البحث في الأمم المتحدة والعمل على تسويتها في مستويات ومن خلال مرجعيات أخرى تختلف عن مبادئ وأحكام ميثاق الأمم المتحدة.

وتدل هذه الملاحظة على انتباه مبكر إلى احتمالات العمل على تسوية مشكلة الشرق الأوسط في إطارات سياسية جديدة خارج الأمم المتحدة.

جذور الصورة المنطبعة عن «العرب» في «الغرب»

كان هذا عنوان ورقة بحثية من عشر صفحات فولسكاب ومحفوظة بخط يد الدكتور أسامة الباز في تاريخ يرجح أنه يقع بين عامي 1972، 1973. ونستند في ترجيحنا لهذا التاريخ إلى عدة عوامل منها تواضع مستوى نضارة الورق المستخدم في الكتابة، وخفوت ألوان الحبر الأزرق والأحمر المستخدم فيها، إلى جانب عدم وجود أية إشارة فيها إلى مراجع أو أحداث مؤرخة فيما بعد عام 1972. ويزكي هذا الترجيح عندي الترحيب الملحوظ الذي كنت قد لقيته من الدكتور الباز حين قدمت له عام 1971 أثناء فترة دراستي بالمعهد الدبلوماسي

ورقة بحثية مختصرة عن (صورة إسرائيل في الإعلام المصري) وأذكر أنه قال لي بالحرف الواحد حينذاك «إن هذه المعالجة العلمية الجادة جديرة بالمتابعة وتستحق قدرًا أكبر من التوسع والتأصيل العلمي». ولم أكن أتخيل في ذلك الوقت أنني سوف أجد -بعد حوالي أربعين عامًا- تلك الورقة المنهجية الدسمة التي أعدها الدكتور الباز بنفسه والتي تكمل موضوع بحثي السابق من الزاوية المقابلة.. أي تعرض «ملامح صورة العربي في الذهن الغربي» مقابل «صورة الإسرائيلي» التي كنت قد حاولت رصدها من خلال متابعة الصحف وأجهزة الإعلام المصرية.

أسس الدكتور الباز ورقته التحليلية على عدة مراجع أمريكية تتناول أوصاف الإسرائيلي وعدة مراجع بريطانية تتحدث عن أوصاف «العرب». وكانت صورة كل منهما متعارضة تمامًا مع صورة الآخر، فالإسرائيلي في المراجع الأمريكية يتسم بالقوة والإنسانية والذكاء والتمدين وحب الإنتاج والكفاءة والإيجابية والمصداقية والتسامح، بينما العربي في الذهن الإنجليزي يتسم بالضعف، والخمول، والقسوة، وعدم التمدين، واللاإنسانية، وتواضع الكفاءة والميل إلى الهدم والتخريب، والتعصب، بالإضافة إلى أنه لا يؤتمن.

وقد حاول الباحث -الدكتور أسامة الباز- التعرف على العوامل التاريخية التي أسهمت في تكوين تلك الصورة على هذا النحو من خلال رصد تاريخ ظهور الإسلام وانتشاره وكيفية تأثيره على حياة الغرب، ثم من خلال ما خلفته الحروب الصليبية في أوائل العصور الحديثة، وأيضًا من خلال كتابات المغامرين والمستكشفين الغربيين وأدب الرحلة، ومن خلال كتاب «ليالي العرب»، وكذلك من بعض الوقائع الأخرى التي احتك فيها العرب بالغربيين. وأخيرًا استعرض الدكتور الباز دور الأفلام السينمائية في نقل أو تشويه الصورة العربية لدى المواطن الغربي والتي تعتمد في معظمها على عناصر القسوة والبربرية والجشع والفحولة الجنسية، والإيمان بالخرافات والشعوذة.

ورغم خضوع هذا الموضوع لمئات من الأبحاث والدراسات العلمية في المراحل التاريخية اللاحقة، ومع التطور الهائل في أدوات الرصد والتحليل التي استخدمت بعد ذلك في هذه الدراسات فإن ورقة أسامة الباز تظل- من الناحية التاريخية والعلمية - إحدى البدايات الصحيحة والمبكرة في معالجة هذا الموضوع الحيوي الذي تبين بمرور الزمن أنه يمثل أحد أهم مناطق الالتباس وأحد الأسباب التي تفسر ضعف التواصل بين العرب والغرب.

النفاق.. ومشكلات بناء المجتمع

ومن بين أوراق الدكتور الباز توجد أيضًا مجموعة وريقات منزوعة من بلوك نوت متوسط الحجم ويتصدرها عنوان (النفاق.. ومشكلات بناء المجتمع). ويبدو أنه قد أعدها كنقاط للتحدث في إحدى الندوات أو كتعليق شخصي على حادثة نفاق تعرض لها بنفسه أو كان شاهدًا عليها.

كتب الدكتور الباز بخط يده عن الأثر السلبي للنفاق على عملية اتخاذ القرار وصنع السياسات موضحًا ذلك في ثلاث دوائر :

الأولى: دائرة إمداد صانع السياسة بالمعلومات قبل اتخاذه القرار.. وهنا يظهر النفاق إما في تحفظ البعض إزاء إمداد صانع السياسة بمعلومات يخشى أن يكون لها صدى غير موات، وإما في الافتراض مسبقًا بأن صانع القرار لديه المعلومات الكافية والصحيحة أو أنه لا يحتاج إلى مشورة أحد.

وأما الدائرة الثانية فهي الانعكاسات التي يمكن أن يسببها النفاق على عملية صنع السياسة أو اتخاذ القرار، وهنا يتحدث الباز عن ميل البعض إلى تخمين الرأي الذي يتجه إليه صانع السياسة والتوصية به رغم العلم بأنه ليس بالضرورة القرار الأصح أو الأصوب.

وعن الدائرة الثالثة يضيف الباز أن أفدح صور النفاق تظهر حين يطيل المستشارون في الثناء على خيارات الرؤساء وفي تجريح من يبدي رأيًا مختلفًا.

ويعتقد الدكتور الباز أن المهم ليس في التشخيص وإنما في العلاج. ثم يستطرد في تواضع فيقول: لست أزعم لنفسي الخبرة بعمليات التثقيف والتربية اللازمة لاجتثاث جذور النفاق من المجتمع. فليس هذا مجالي أو دائرة خبرتي.. بل إنني أبادر فأقول إنه لا يمكن استئصال النفاق تمامًا من المجتمع.. وكل ما نسعى إليه هو التقليل منه وإضعاف آثاره في إدارة شئون الدولة والمؤسسات العامة والخاصة بقدر الإمكان.

ويعدد الدكتور الباز العوامل التي تؤدي إلى الحد من النفاق ومن تأثيره على المجتمع ومنها:

- تثبيت الممارسة الديمقراطية.
- تصعيد العناصر غير المنافقة إلى المراكز العليا والمؤثرة.
- ضرب القيادة للمثل والقدوة برفض النفاق وتأنيب المنافقين.
- ترسيخ فكرة تعدد الآراء وتنوعها بحيث تكون أساس العمل العام.
- عدم محاسبة شخص على رأي أبداه في الإطار السليم.
- الحرص على نسبة الآراء إلى أصحابها علانية لعل هذا يردع بعض المنافقين عن إبداء آراء لا يستطيعون الدفاع عنها علنًا.

الديمقراطية... في المحيط الدولي

دعا حزب التجمع الدستوري الديمقراطي في تونس إلى ندوة دولية حول هذا الموضوع وذلك بمناسبة الذكرى الثانية لحركة التحول في تونس (حركة 7 نوفمبر). وقد شارك في الندوة التي عقدت بالعاصمة تونس يومي 4، 5 نوفمبر 1989 العديد من الشخصيات السياسية والفكرية من تونس والعالم العربي وأوروبا كان أبرزهم فيليب جونزاليس رئيس وزراء إسبانيا في ذلك الوقت، وميشيل روكار الوزير الأول لفرنسا، وباتينو كراكسي الأمين العام للحزب

الاشتراكي الإيطالي ورئيس الحكومة الإيطالية الأسبق، والدكتور الصادق شعبان كاتب الدولة للتعليم والبحث العلمي في تونس.

وفي محاضرة الدكتور أسامة الباز تحدث حول النقاط التالية:

- مظاهر الثورة الديمقراطية العالمية المعاصرة.
- مبدأ توازن المصالح بدلًا من توازن القوى.
- تنامي ظاهرة الاعتماد المتبادل بين الأطراف السياسيين، وفيما بين موضوعات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- تصدر الحقوق الاجتماعية للمواطنين في معظم الاتفاقات والإعلانات والمواثيق الدولية بعد أن كانت الحقوق السياسية هي المطلوب الأساسي.
- تراجع أو اختفاء ظاهرة القيادة الكاريزماتية في السياسات الدولية وهي الظاهرة التي كانت تقوم على أسس شخصية أو أمزجة أو معتقدات أشخاص بعينهم كـ(هتلر أو موسوليني).

وحول علاقة الديمقراطية بالسياسة الخارجية أوضح الدكتور الباز ما يلي:

- النظم الديمقراطية تزدهر في إطار السلم والتعاون الدوليين.
- التوتر الدولي وغياب السلم يؤديان إلى تحويل الموارد من أغراض التنمية إلى بناء الجيوش والاستعداد للحروب.
- أن فوبيا الحفاظ على الأمن الوطني والقومي في مواجهة الأعداء والمخططات العدائية الخارجية تخلق بذاتها ضغوطًا على الممارسة الديمقراطية الطبيعية (شعار لا صوت يعلو فوق صوت المعركة).
- أهمية الرأي العام ودوره في صناعة السياسة الخارجية للبلاد.

- ضرورة إيجاد توافق وطني national consensus بين القوى السياسية والأحزاب والمؤسسات السيادية حول أولويات السياسة الخارجية والمواقف الواجب اتخاذها في إطارها.
- إمكانية استغلال بعض الأطراف الخارجية لموضوع (الديمقراطية) (وحماية الأقليات) (وحقوق الإنسان) من أجل تمرير أهداف ومخططات سياسية أو استراتيجية معينة.

نحن... والغرب

يبدو أن هذه المحاضرة التي أعدها الدكتور أسامة الباز كانت في إطار ندوة واسعة لم تكشف الأوراق المتاحة عن تاريخها أو ظروف انعقادها. وفي الأوراق صغيرة الحجم التي خطها الدكتور الباز بقلمه يشير إلى عدة عناصر رئيسية أو ما يسميها «إشكاليات منهجية وعلمية» عند معالجة مثل هذا الموضوع الواسع والمفتوح.

وأولى تلك الإشكاليات تكمن في الالتباس حول المراحل التاريخية لعلاقاتنا بالغرب: هل نتحدث عن القرون الأربعة الأخيرة فقط؟ أم إلى مرحلة ظهور الإسلام وانتقاله بعد ذلك شمالًا إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية والرومانية ثم إلى جنوب فرنسا وإسبانيا؟

أما الإشكالية الثانية فهي تدور حول تحديد المقصود «بالغرب» وهل هو موقع جغرافي محدد الملامح والمساحات أم هو نظام قيمي وحضاري وثقافي معين وإن كان موزعًا على مواقع جغرافية متباعدة؟... وإذا كنا نتحدث عن الغرب كمفهوم أو نظام قيمي وحضاري معين: فهل نتحدث مثلًا عن المنظومة الفكرية والحضارية المسيحية أم عن المنظومة العلمية والتكنولوجية والصناعية المعقدة؟

ويلاحـظ الدكتـور البـاز هنا أن كلًّا مـن المفهومين يتضمن عناصر تسـير في اتجاهـات مناقضـة للآخـر: وقد يفسر ذلك ظاهـرة الثنائية في الإشـعاع المعرفي واطرادها مع اتجاه التوسع والسيطرة.

وفي معالجة عميقة يشير الدكتور الباز بعد ذلك إلى بعض التعقيدات الثقافية التـي تواجهنـا في صياغة مواقفنا من «الغرب»، ومن بين ذلك تداخل التأثير بين (حركـة مقاومـة التحديـث) من ناحيـة (وحركة التمسـك بالـتراث) من ناحية أخرى، وهو تداخل يتماثل مع التجربة الغربية في بدايات عصر النهضة.

ومن الإشكاليات الفكرية أيضًا شيوع الكتابة عن الغرب في الأدب السياسي الحديث وكأنه (المشـجب) أو (الشـيطان) المسـئول عن كل خطأ نقع فيه، وكل نقيصة نجدها في حياتنا المعاصرة، ويطالـب الباز هنا بضرورة انتباه بلادنا العربية إلى أن للغرب وجهًا آخر ذا أثر إيجابي وهو «إنتاج المعرفة وتصديرها».

ويبدو أن هذه الملاحظات الاستهلالية والتساؤلات حول منهجية الاقتراب قـد حفـزت الكثيريـن مـن المفكريـن الذين شـاركوا في تلـك النـدوة - ومنهم الأسـتاذ الدكتور حسـن حنفي - الذي راح يبني محاضرتـه اللاحقة انطلاقًا من تلك التسـاؤلات المحورية التي عرضها الدكتور الباز في محاضرته. حيث أفاض الدكتور حسن حنفي في شرح الالتباس بين (الغرب العلمي والثقافي) و(الغرب السـياسي والاستعماري).. ثم أضاف بعد ذلك آراءه في ظاهرة الاستشراق لدى بعض المفكرين الغربيين، وتأثير الإعلام في تكريس صور معينة عن الذات وعن الآخـر. ولخص الدكتـور حنفي مداخلته بأن **للغرب فـي حياتنا ثلاثة أنماط: الأول:** أن الغـرب «نمط للتحديث» في حياتنا، **والثاني:** أن الغرب مصدر للعلم والمعرفة، **والثالث:** أن الغرب في ذاته - موضوع لدراسـة ومحاولات معرفة يقوم بها الآخرون.

النظام العالمي الجديد:

في إطار الموسم الثقافي الرمضاني للهيئة المصرية العامة للكتاب ألقى الدكتور أسامة الباز محاضرته في مارس 1992 حول النظام العالمي الجديد. وفيما يلي ملخص لما نشرته صحيفة الاتحاد الإماراتية عن هذه المحاضرة في عددها الصادر في 31 مارس 1992.

النظام العالمي الجديد لم يتبلور بعد، وهو يمر الآن بمرحلة مخاض، وتشارك كل الدول في تشكيل هذا النظام.

- إن النظام الجديد لكي يستقر لابد أن تتوافر فيه درجة كافية ومعقولة من توازن القوى وتوازن المصالح، بالإضافة إلى استقرار مجموعة جديدة من المفاهيم والقيم التي تقاس بها «القوة»، و«الشرعية»، و«السيادة»، و«المسئولية»، و«الاستقرار»، و«السلام»، و«العدالة».
- إن النظام الجديد سيكون بعد استقراره متعدد القطبية، مما قد يؤدي إلى إضعاف القيمة النسبية لدولة إسرائيل. ويشرح ذلك موضحا أن إسرائيل كانت لها أهميتها العسكرية إبان المواجهة بين الشرق والغرب، ووصل الأمر إلى اشتراكها مع الولايات المتحدة في تطوير نظام حرب النجوم، ولكن هذه القيمة النسبية ستتراجع في عالم متعدد الأقطاب. ومع ذلك، فإن إسرائيل لديها من المرونة ما يكفي لتكيفها مع النظام الجديد أيًا ما كانت أقطابه. وأعرب الباز عن توقعه بأن تولي إسرائيل اهتمامًا أكبر في المرحلة المقبلة لكل من الصين واليابان.
- ويعتقد الباز أن قيمة العامل العسكري في قوة الدول ستأتي في هذا النظام الجديد بعد العوامل الاقتصادية والسياسية والثقافية.
- وعن أسباب التغير الحالي (بداية التسعينيات) ذكر الدكتور الباز في مقدمتها انهيار الاتحاد السوفيتي وعقم استمرار سباق التسلح الذي

ساد العالم منذ الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الثمانينيات ولمدة أربعين عامًا.

- كشف الدكتور الباز في محاضرته عن أن 70 ٪ من العلماء السوفيت كانوا يعملون في الصناعات الحربية (وهو ما كان قد ذكره الرئيس السابق جورباتشوف للرئيس مبارك في آخر زيارة له إلى موسكو قبل انهيار الاتحاد السوفيتي).
- اعتقد الدكتور الباز أن الفترة التي يستغرقها المجتمع الدولي قبل الاستقرار على نظام جديد متعدد الأقطاب ستكون في حدود خمس سنوات. وأن أمريكا لن تحتل المركز الأول في هذا النظام وإنما ستأتي بعد أوروبا الموحدة ذات الموارد الاقتصادية الضخمة، وتوقع أيضًا أن تكون ألمانيا هي القاطرة التي ستدفع أوروبا إلى المركز الأول في النظام العالمي.
- وفي مفارقة طريفة توقع الدكتور أسامة الباز أن تكون أسباب انهيار الاتحاد السوفيتي هي نفسها أسباب تقهقر الولايات المتحدة مع مرور الزمن والتي وصفها بأنها ضعيفة اقتصاديًّا ومعرضة لهزات داخلية ضخمة.

وفي محاضرته توقع الدكتور الباز أن تأتي اليابان في المرتبة الثالثة مدعومة بدول جنوب شرق آسيا الصاعدة ثم يأتي بعد ذلك الاتحاد الروسي في المرتبة الرابعة بعد مروره بفترة من اللاتوازن يجتازها بفضل قوته السكانية وموارده الطبيعية.

ويبدو أن الدكتور الباز قد خانه التوفيق في بعض هذه التوقعات حيث ثبت للجميع بعد فترة الميوعة الأولى التي مرت بها علاقات الدول وتوازناتها في خلال العقد الأخير من القرن العشرين – أن الولايات المتحدة قد انفردت

بالفعل بالسيطرة على العالم والتحكم في القرارات الدولية الكبرى، وأن أوروبا بقوتها الاتحادية، واليابان بقوتها التكنولوجية والمالية لم يستطيعا أن يزاحما الدور الأمريكي في هذه السيطرة.

ثقافة الحرب وثقافة السلام

كان هذا هو موضوع الندوة التي نظمتها صحيفة الأهرام بتاريخ الرابع من إبريل 1996 وذلك بقاعة الندوات بمبنى الصحيفة الرئيسي بشارع الجلاء في القاهرة. وقد تضمن خطاب الدعوة الموجهة إلى الدكتور أسامة الباز عناصر مقترحة لمناقشات الندوة هي:

1 - ثقافة السلام وهل تعني التخلي نهائيًا عن الحرب؟ وعلاقه ذلك بالثوابت والمتغيرات.

2 - أسس الدعوة إلى ثقافة السلام في المنطقة.. وما هو تعريفها وما هي أهدافها؟

3 - ثقافة السلام وثقافة الحرب في التراث العربي والتراث الإسرائيلي.

4 - مقومات ثقافة السلام.. وهل تطبق على طرف دون الآخر؟

5 - ثقافة السلام... والسلام نفسه.

6 - نحو صياغة عربية لثقافة السلام.

وفي مساهمته التي قدمها الدكتور أسامة الباز في هذه الندوة أبرز أولًا إشكالية وضع تعريف واضح ومحدد لتعبير «السلام» من منظور العلوم السياسية أو علم الاجتماع بعكس الحال في علم القانون الذي يعتمد تعريفًا محددًا للسلام وهو إنهاء حالة الحرب STATE OF BELLIGERENCY التي تقوم بين دولتين أو أكثر، وتصفية النتائج المترتبة عليها. ثم يعرض المحاضر للفوارق بين مفاهيم (السكون الظاهر) أو (الهدنة المؤقتة)، وبين (الاستسلام للأمر الواقع) أو

(الدخول في حالة من اللاسلم واللاحرب) كما يعرض لمفهوم (السلام الإيجابي) الذي راحت تتبناه بعض المؤسسات الدولية المهتمة كاليونسكو، واليونيسيف، وهو مفهوم يشمل مستويين متكاملين أولهما المستوى الوقائي، والثاني المستوى الحركي والفعال أو مايسمى بالسلام الهجومي.

وعرض الدكتور الباز للأهداف التي حددتها منظمة اليونيسيف لمشروعها العالمي المعلن عن (التربية من أجل السلام) ثم عرض أيضًا لنتائج البحث الميداني الذي أجراه أحد مراكز الطفولة بالاشتراك مع اليونيسيف حول مفاهيم السلام والعنف لدى الأطفال حسب شرائحهم العمرية ومستويات إدراكهم المختلفة.

انتقل المحاضر بعد ذلك إلى محور آخر هو (السلام العالمي بالمعنى الشامل) وفيه عرض العناصر الرئيسية لما طرحته منظمة اليونسكو عن (ثقافة السلام) وماتضمنته من عناصر تتعلق بحياة الشعوب اليومية مثل الانفجار السكاني، والفقر، والتعصب، والفجوة المعرفية، وعجز الجماعات العرقية والثقافية عن التعايش مع بعضها البعض. ثم راح يستعرض ردود فعل الدوائر المصرية والعربية لهذه الدعوة ملاحظًا أنها لم تلق مقاومة تذكر لدى المثقفين فيما يتعلق بمقدماتها النظرية ومنطقها وآثارها المحتملة، ولكنها واجهت اعتراضات قوية ومتشعبة عند رؤيتهم لتطبيق هذه الثقافة الجديدة بمعايير ودرجات متباينة لدى الأطراف الإقليمية بالشرق الأوسط، وعلى الأخص لدى طرفي الصراع العربي الإسرائيلي. وأخذ الدكتور الباز بعد ذلك في عرض وتحليل الدفوع والملاحظات التي يتوقف عندها بعض المثقفين العرب في هذا الشأن، ومنها رؤية الدكتور قدري حفني، ورؤية الكاتب الصحفي محمود مراد، ورؤية الدكتور إبراهيم البحراوي.

وجدير بالذكر أن الدكتور الباز في إعداده لهذه الدراسة التي قدمها حول ثقافة السلام والتربية من أجل السلام حرص على مطالعة بعض الأبحاث حول (التعليم والثقافة في ألمانيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية) كما طالع معظم الكلمات والشروح التي قدمها فريدريك مايور المدير العام لمنظمة اليونسكو آنذاك، وكتابات الدكتور عبدالوهاب المسيري عن (المفهوم اليهودي للعنف) إلى جانب الأبحاث الميدانية التي أعدتها المراكز العربية للبحوث الاجتماعية ومراكز دراسات الطفولة في كل من مصر وتونس ولبنان.

الشباب... ومشكلات الفراغ

حول هذا الموضوع تحدث الدكتور أسامة الباز أمام هيئة تدريس وطلاب جامعة المنصورة عام 1996 محددًا «الفراغ» بنوعين أولهما «فكري» ويحتاج الشباب في معالجته إلى تحديد الهوية أولًا: هل أنا مصري أم لا؟ وهل أنا عربي أم لا؟ وعلى أي أساس نقوم بتحديد هذه الهوية؟ وكيف يتم بث الروح الوطنية والقومية في الشباب؟ ثم تأتي بعد ذلك مسئولية التعليم واختيار المناهج الدراسية، والتمييز في ذلك بين «العقلانية» «والنقلية»، وبعد ذلك يأتي الحديث عن أهمية تنمية الوعي السياسي العام لدى الشباب باعتباره مقدمة طبيعية لتكريس مبدأ الانتماء والولاء للوطن. وفي هذه النقطة أسهم الدكتور الباز في شرح ضرورة تدريب المدربين والأساتذة في المدارس والجامعات وقادة الجماعات المدنية حتى يمكنهم نقل المفاهيم السياسية الصحيحة إلى الشباب، ومنها مثلًا مفهوم المشاركة السياسية، والفرق بين الانتخاب والاستفتاء، وكيف يرتبط المواطن بأرضه، وماهي حقوق المواطن وواجباته تجاه مجتمعه؟ وكيف يكون الاختلاف والتنوع سببًا في التكامل والقوة؟ وعرض الدكتور الباز أيضًا لمفهوم (القدوة) وعناصر اختيار الكوادر والقيادات وفق معايير الكفاءة والطهارة والولاء الوطني.

وفي تناوله للشق الثاني من ظاهرة الفراغ عند الشباب تحدث الدكتور الباز عن خطورة (البطالة) وانعكاساتها على الحالة النفسية والسلوك الاجتماعي للشباب، فضلًا عن تأثيراتها السلبية على الاقتصاد الوطني. واستعرض في معالجة هذه المشكلة عددًا من الحلول التي تتضمن تشغيل خريجي الجامعات والمعاهد في محو الأمية، والتدريب المهني والفني للفئات الأقل حظًّا من التعليم، إلى جانب الدخول في مشروعات صغيرة للإنتاج والحصول على دعم وتمويل لها من صناديق التنمية الاجتماعية وغيرها من مصادر تمويلية متاحة. ثم انتقل بعد ذلك للتحدث عن بعض الآثار المترتبة على بطالة الشباب ومنها التطرف الديني، والإدمان، والسلوك الإجرامي.

ودعا الدكتور الباز في ختام حديثه إلى تطوير العمل الطلابي المنظم، وإلى ضرورة أن تكون اتحادات الطلبة هي الأوعية الفعلية للنشاط الطلابي وليس مجرد واجهة شكلية.

التطورات العالمية واتجاهات العمل الوطني في مصر

تحدث الدكتور أسامة الباز أمام مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس في فبراير 1994 مؤكدًا في البداية خطأ الافتراض الشائع في ذلك الوقت بأن النظام العالمي الجديد قد تشكل بالفعل، وموضحًا أن شروط تشكيل نظام عالمي أو شروط استقراره لم تتوافر بعد، حيث لاتزال توازنات القوى غير واضحة وغير مكتملة، وكذلك القيم والمفاهيم والآليات الجديدة لاتزال في طور التشكيل، أضف إلى ذلك تداخل أشكال الظاهرة الاستعمارية في ذات الوقت بين طابعها التقليدي القديم وبين أشكالها ومظاهرها الجديدة.

ولاحظ الدكتور الباز أن البعض كان قد افترض تلاشي وانزواء عنصري «القومية» و«الدين» وانحسار دورهما في تشكيل توجهات الدول وتحديد

سلوكها في حين تشير الدلائل المتواترة إلى عودة هذين العنصرين بقوة إلى مسرح الأحداث والعلاقات الدولية.

وتناول الدكتور الباز بعد ذلك موقع دول العالم الثالث في النظام الدولي الجاري تشكيله، وحاجة هذه الدول إلى تطوير مرئياتها فيما يتعلق بمفهوم «السيادة» ومفهوم «المزايا النسبية» و«القوة الاقتصادية» إلى جانب تطوير آلياتها التفاعلية فيما بينها أولًا ثم فيما يخص علاقتها بالأطراف الكبرى.

وتعليقًا على ما أورده الأستاذ الدكتور محمد رضا العدل المشرف على المركز في ورقته التمهيدية التي عرضها في مستهل الندوة ناقش الدكتور أسامة الباز مسألة التخوف من مشروع «السوق الشرق أوسطية» ودور إسرائيل فيها، مؤكدًا إمكانية تحجيم هذه المخاوف وإعادة تشكيل معادلات القوة بما يعود على الأطراف العربية في أي مشروعات إقليمية مستقبلية بمردود أعلى وأوفر بشرط تقوية دعائم التكامل الاقتصادي العربي، وتحديث البنية التحتية للاقتصادات العربية، وبشرط النجاح أولًا في بناء الدولة الفلسطينية المستقلة ومشاركتها بمواردها الذاتية مع أشقائها العرب في ضبط توازن المدخلات والمخرجات في أي مشروع محتمل للتعاون الإقليمي الواسع.

وناقش الدكتور الباز أيضًا نقطة أخرى وردت في الورقة التحضيرية في الندوة بشأن الدور المصري المتوقع في المنطقة بعد استكمال مسيرة السلام، وأكد في ذلك أن رسالة مصر الحضارية التي صاحبت سياستها الخارجية في أغلب فترات التاريخ ستظل قائمة ومطلوبة، وقد تمتد بعد تسوية مشكلات المنطقة لتشمل أدوارًا ومواقع جغرافية جديدة.

الرهانات المحلية والإقليمية والدولية للانتخابات الإسرائيلية (1996)

تحدث الدكتور أسامة الباز في الجلسة الافتتاحية للندوة التي نظمها مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة في 8 مايو 1996. وقد دارت كلمته الافتتاحية حول شرح العناصر التالية:

1 - الظروف الإقليمية والدولية التي تجرى فيها الانتخابات الإسرائيلية في تلك المرحلة والتي تكسب نتائجها أهمية خاصة.

2 - شكل الخريطة السياسية والحزبية الداخلية في تلك المرحلة والفروقات بين الأحزاب الإسرائيلية.

3 - ملامح النظام الانتخابي في إسرائيل ومراحل تطوره.

4 - دور المواطنين العرب داخل إسرائيل ومدى فاعليته.

5 - السيناريوهات المحتملة للنتائج الانتخابية وانعكاساتها المتوقعة على عملية السلام والأوضاع الفلسطينية بشكل خاص.

وبعد انتهاء الدكتور الباز من محاضرته شارك عدد من أساتذة العلوم السياسية والقانون الدولي والطلاب في المناقشة والتعقيب وطرح بعض الاستفسارات، وكان من بينهم الأساتذة علي الدين هلال ومحجوب عمر ونازلي معوض وصلاح الدين حافظ وأحمد صدقي الدجاني وعبدالعليم محمد ومصطفى كامل السيد وصلاح منتصر ومدحت الزاهد وصفوت حاتم واللواء أحمد عبدالحليم.

مصر... والأمن العربي

ألقـى الدكتور أسـامة البـاز محاضرة حول هـذا الموضوع بالمجمـع الثقافي في أبوظبي يوم 13 نوفمبر 1988، وفيها أعلن أن مصر لن تتردد لحظة في مسـاندة أي دولة عربية شقيقة تتعرض لعدوان إسرائيلي. وقال إن أحكام القانون الدولي ومعاهدة السـلام المصرية الإسرائيلية لا تمنعنا من ذلك، وإن الذي يحكم رؤيتنا وارتباطاتنا هو الهوية العربية التي نحن جزء منها، مؤكدًا أن التزامات مصر نحو شقيقاتها العربية يسبق أي التزام آخر تجاه أي طرف.

وأضـاف الدكتور الباز أن قدرة مصر الدفاعيـة هي جزء من النظام الدفاعي العربي الشامل، ولا يؤثر في ذلك علاقاتها بإسرائيل أو بغيرها. وأكد أيضًا القناعة المستمرة بأن أمن منطقة الخليج هو جزء من أمن مصر ليس ذلك بسبب ارتباطها مع دول الخليج العربية بعلاقات خاصة متميزة فقط ولكن أيضًا لأن هذه الدول جزء من وطن ننظر إليه كوطن واحد.

وحـول مـاكان يدور في تلـك الفترة من مماطـلات إسرائيليـة في تنفيذ حكم التحكيـم بشـأن طابـا أكد أسـامة الباز أن مـصر لديها من الوسـائل الـواردة في معاهـدة السـلام وفي القانـون الـدولي مايكفـل لهـا اسـتعادة السـيادة عـلى طابا المصرية. وأضـاف أن مصر بما حصلت عليه من حكـم دولي بمصرية طابا تكون قد أرسـت مبدأ مهمًّا وهو أن الأرض العربية التي احتلتها إسرائيل لابد أن تحرر كاملة دون أي نقصان، وأن هذا المبدأ ينطبق على هضبة الجولان السـورية وعلى الضفة الغربية وقطاع غزة.

فن المفاوضات وتجربة التفاوض مع إسرائيل

أعـد الدكتور الباز هذه المحـاضرة لتقديمها إلى «نـدوة المفاوضات الدولية» التـي نظمتها وزارة الخارجية بالمملكة العربية السـعودية في الفترة من 13 – 17

فبراير 1993. وقد قسم المحاضر محاضرته إلى قسمين، تناول في الأول الأسس العامة في التفاوض بين أي طرفين أو أكثر سواء كان بين دولتين أو شركتين أو شخصين أو بين دولة ومؤسسة (كحوارات الحكومة مع نقابات العمال أو الغرف التجارية). أما القسم الثاني فهو يتناول خبرة التفاوض المصري مع إسرائيل والملاحظات التي أمكن استخلاصها كملامح عامة لأساليب التفاوض الإسرائيلية وتكتيكاتها. ولأننا عرضنا في الفصل السابع من هذا الكتاب تلك الملامح العامة التي استخلصها الدكتور الباز عن مواقف إسرائيل التفاوضية وأساليبها -لذا فسوف نقصر عرضنا هنا على التأصيل النظري والقانوني الوارد في القسم الأول من محاضرته عن مفهوم «المفاوضات وقواعدها العامة وإشكالياتها العملية». وفي ذلك يطرح الدكتور الباز عددًا من الأسئلة ويجيب عنها بأسلوب مختصر ومركز على النحو التالي:

ما طبيعة المفاوضات؟ هل هي علم أم فن وخبرة وممارسة؟

ويجيب المحاضر بأنها منهج وأسلوب لتسوية النزاعات، وهي في إطار العلاقات بين الدول وسيلة اعتمدها ميثاق الأمم المتحدة وما سبقه من مواثيق دولية أخرى لتسوية ماقد ينشأ من نزاعات بين الدول سلميًا. وإلى جانب المفاوضات يعرف القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة وسائل أخرى للتسوية السلمية منها الوساطة والمساعي الحميدة والتوفيق والقضاء الدولي والتحكيم.

هل للمفاوضات قواعد ثابتة أو جامدة؟

يجيب الدكتور الباز بالنفي، ولكنه يستدرك فيقول إن هناك بعض الأساليب والحيل والأنماط التفاوضية التي يتواتر اللجوء إليها من جانب كثير من المفاوضين لخدمة مواقفهم وتحقيق أهدافهم، ولكن هذه الأساليب والأنماط التفاوضية ليست ثابتة دائمًا، وقد تختلف حسب موضوعات التفاوض وحسب أطرافها.

هل تحكم المفاوضات مرجعيات قانونية محددة؟

في ذلك يؤكد الدكتور أسامة الباز أن المفاوضات تستند إلى خليط من المبادئ القانونيـة العامة منها مثلا قواعد الإجراءات ونظم العمل REGULATIONS وقواعـد إدارة وحل الصراعات، وخلاصات علم النفـس التطبيقي، والإدراك السـليم COMMON SENSE كما تحكمها في بعض الأحيان السوابق والعرف CUSTOMARY RULES.

ما واجبات المفاوض الأساسية؟

1 - الإعداد الجيد لموضوع التفاوض والإلمام بكافة عناصره الفنية وتطوراته السابقة، ويلزم في ذلك إسناد الأمر إلى المتخصصين في موضوع التفاوض وربما استدعاء خبراء فنيين من ذوي الخبرات العلمية والميدانية إلى جانب المفاوضين الرسميين.

2 - الإدراك طـوال عمليـة التفـاوض أن لـدى المفـاوض ثلاثـة بدائل هي (التوصـل إلى اتفاق طبقًا للظـروف المتاحة)، أو(الانخراط في مزيد من المناقشـة والمسـاومة)، أو (عـدم الاتفاق). وعلى المفـاوض أن يدرك أن هذه البدائل متاحة للجانب الآخر أيضًا وليسـت قاصرة عليه، وأن من واجبه أن يؤثر على مفاضلة الخصم بين هذه البدائل. ويستطيع المفاوض أن يحقـق ذلك بأسـاليب أهمها التحذيـر والتهديد والتهويـش والتعهد بمواقف معينة أو الإغراء بمقابل معين.

وعـلى المفاوض أن يدرك أيضًا أهميـة الأخذ والعطاء GIVE AND TAKE وليـس المفاضلـة بين المواقف على أسـس مبدئية أو أخلاقية. ويسـتطرد الدكتور أسـامة في شرح هـذه النقطـة فيقـول: إن بعـض المفاوضـين والمفكريـن العرب يفترضون أن الدخول في مفاوضات مع الأطراف الأخرى ينبغي أن يؤسس على المبـادئ والقيم الأخلاقية لا على المناورات والمداورات. وربما يكون هذا الكلام

مقبولًا لو كان هذا العالم الذي نعيش فيه محكومًا بالاعتبارات الأخلاقية، ولكن الواقع في عالم اليوم يقوم على أسس المصالح وعوامل القوة والقدرة على استثمار عناصرها لخدمة هذه المصالح بشتى الوسائل. ومن المهم في كل هذا أن نعي أن الغرب الذي هو صاحب الباع الطويل في عمليات المفاوضة وهو الذي أرسى معظم قواعدها وتقاليدها وسوابقها لا يقبل فكرة (لاتنازل ولا مساومة).

وينقل الدكتور الباز في هذا الصدد مقولة أحد الدبلوماسيين الغربيين في وصفه لما حدث في مؤتمر «يالتا» (أن الروس قدموا من التنازلات أكثر مما قدمت الولايات المتحدة وبريطانيا، وقد حدث في بعض النقاط أن عدل كل من الأطراف موقفه الأصلي بغية التوصل إلى اتفاق. ورغم أن البعض يقول أحيانًا إن الحل الوسط شر محض، فإن أي رجل عاقل يعرف جيدًا أن الحل الوسط أو التوفيقي COMPROMISE هو أمر ضروري لإحراز أي تقدم، ويعرف أيضًا أن الحل الوسط الذي يتم التوصل إليه بشرف وأمانة من جميع الأطراف هو الطريق الوحيد العادل والمنطقي للتوصل إلى اتفاق معقول بين وجهتي نظر مختلفتين).

كان الدكتور الباز يؤكد على أهمية إدراك العرب لهذه النقطة فنراه يقول(يظن بعض المفاوضين العرب أنه لن يكون مطلوبًا منهم تقديم تنازلات مادامو قد بدءوا من نقطة معقولة ومنطقية ومتفقة مع قواعد القانون والعدل.. ويفوت على هؤلاء المفاوضين أن هناك فروقًا بين «التفاوض» و«التقاضي». وعلى ذلك فمادمت تتفاوض حول مسألة معينة فعليك أن تبدأ التفاوض بأن تطلب أكثر مما تتوقع الحصول عليه؛ لأن الاتفاق لن ينعقد حول النقطة التي بدأت منها وإنما حول النقطة التي تحرك نحوها الطرفان عن طريق التنازلات المتبادلة).

ويؤكد الباز أن العرب ليسوا وحدهم في رفض فكرة التنازل أو المساومة، بل هناك بعض الشعوب الشرقية وبعض الدول الكبرى التي تشترك في هذه

الخاصية. وفي ذلك يذكر مثالًا من الرئيس السوفيتي السابق خروشوف الذي قال في وصف المفاوضين الألمان (إنهم يستخدمون أساليب التجار حين يطلبون منا السير على مبدأ «تنازل بتنازل» فنحن لا نتعامل في حقوقنا كما يفعل بائع متجول معتاد على المساومة، يحدد السعر الذي يطلبه بثلاثة أمثال التكلفة ثم يقبل البيع بسعر أقل بكثير).

3 - والمهمة الثالثة التي يلزم للمفاوض الاستعداد لها هي التقدم باقتراحات محدده تساعد إما في التوصل إلى اتفاق أو في تحقيق آثار جانبية، أو الدعاية لموقف المفاوض في أوساط الرأي العام، أو بهدف الإبقاء على مواصلة التفاوض. وهذه المقترحات قد تقدم منفصلة حسب كل موضوع فرعي أو تقدم كصفقة كاملة في إطار مشروع متكامل يغطي كل عناصر الاتفاق المطلوب. ويلزم أن تتسم المقترحات المحددة وطريقة تقديمها بالحزم FIRMNESS حتى يقتنع الخصم بأن المقترحات المقدمة تقترب كثيرًا من الحد الأدنى الذي يمكن قبوله. ويؤكد الدكتور الباز على أهمية اختيار توقيت التقدم بمقترحات خلال التفاوض.

4 - وإلى جانب كل هذه الواجبات الفنية فإن على المفاوضين واجبات أخرى تتعلق باختيار مكان التفاوض، والتدقيق في صياغه جدول الأعمال، والالتزام به بعد الاتفاق عليه، والعمل على تحقيق استطلاعات تمهيدية قبل التفاوض الرسمي فضلًا عن أهمية التنسيق الدقيق بين أعضاء الفريق التفاوضي الواحد.

ندوات وورش عمل وحلقات دراسية أخرى

وإلى جانب المحاضرات التي سبق لنا رصدها وتقديم ملخصات عنها توجد في أوراق الدكتور الباز مجموعة أخرى من خطابات الدعوة الموجهة إليه من عدة مؤسسات سياسية وعلمية في مصر والولايات المتحدة ودول عربية تدعوه فيها

إلى حضـور ندواتهـا أو مؤتمراتها العلميـة، ولكن من غير أن يكون لدينا وسـيلة للتحقـق من رد الدكتـور الباز على هذه الدعوات وما إذا كان قد شـارك فيها أم اعتـذر عنها، وليس لدينا أيضًا أية مـؤشرات تفيد عما إذا كان قد أعد محاضرات مخطوطة أو منسوخة لهذه اللقاءات أم لا..

ويمكننا فقط أن نسـجل هنا ما يتوافر لدينا من أسماء الجهات والشخصيات صاحبة الدعوة، وتاريخ مراسلاتها الموجهة إلى الدكتور الباز وموضوع اللقاء أو الندوة الذي تدعوه إليه:

- خطاب شـخصي من الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر بتاريخ 10 أكتوبـر 1990 يدعـوه فيـه إلى المشـاركة في حلقة دراسـية ينظمها مركز كارتـر يومـي 27، 29 نوفمـبر 1990 لمناقشـة موضوعـي (تطـورات الأوضاع في لبنان) و(التنميـة الاقتصادية والتعاون الإقليمي في الشرق الأوسط بعد انتهاء أزمة الخليج).
- دعوة من معهد أسـبن- للمشـاركة في مناقشـات مائدة مسـتديرة حول (إعادة اطلاق الحوار الأورومتوسطي) بتاريخ 25/ 26 يوليو 1995. بفندق اكسليسيور بروما.
- دعـوة موجهة من سـمو الأمير الحسـن بن طـلال رئيس منتـدى الفكر العـربي بعـمان للمشـاركة في مائـدة مسـتديرة حـول (تعايـش الأديـان ومسـتقبل الـشرق الأوسـط).التي ينظمهـا المنتـدى بكليـة دار ثموت بالولايات المتحدة الأمريكية يومي 13، 14 ديسمبر 1989.
- دعوة من جامعة جنوب الوادي (نادي أعضاء هيئة التدريس بسوهاج) يرجون فيه تفضل الدكتور الباز بزيارتهم والالتقاء مع أعضاء النادي في أرض الجامعة حسب الموعد الذي يراه سيادته (توقيع أ.د. حسن موسى الشاروني).

- دعوة من مركز تعليم اللغة الألمانية بجامعة أسيوط - (إشراف الدكتور يوسف حسنين شاهين) لتفضل الدكتور الباز بزيارة المركز والتحدث إلى الأساتذة والطلاب به - أسيوط / 5 مايو 1996.

- رسالة من مايكل هادسون مدير مركز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون بالولايات المتحدة يدعو فيها الدكتور أسامة الباز ليكون المتحدث الرئيسي في المؤتمر السنوي الثالث عشر للمركز والذي سيعقد بعنوان (مصر 88 - قرارات صعبة) يوم 14 إبريل 1988.

- رسالة من الدكتور محمود شريف بسيوني رئيس الغرفة التجارية العربية الأمريكية لوسط أمريكا بتاريخ 24 مارس 1988 يطلب فيها من زميل الدراسة القديم د.أسامة الباز -أن يكون ضيف شرف على غداء تقيمه الغرفة التجارية يوم 15 إبريل أي بعد انتهاء محاضرته في جامعة جورج تاون يوم 14 إبريل- وأن يتناول أعضاء الغرفة معه الأوضاع الاقتصادية في مصر وفرص دعم التعاون الأمريكي المصري.

- دعوة من رئيس القوات المسلحة النمساوية إلى الدكتور أسامة الباز للمشاركة في المؤتمر السنوي الخامس والعشرين لأكاديمية السلام في فيينا والذي يعقد في مارس 1995 حول موضوع (عمليات صنع السلام وحفظ السلام في القرن القادم).

- دعوة معهد أسبن للعلاقات الدولية بالولايات المتحدة إلى مشاركة الدكتور الباز فيما أطلق عليه (مشاورات أسبن) التي عقدت في «مدينة أسبن» بولاية كولورادو في الفترة من 20 - 22 نوفمبر 1994. وقد طلب إليه المعهد التحدث حول دور المنظمات غير الحكومية في دفع عملية السلام والنمو الاقتصادي بالشرق الأوسط.

- دعـوة لحضور الدورة الحادية عشرة من مباحثات KRONBERG في ألمانيا حول موضوع (الشرق الأوسـط عام 2008 بين إدارة الصراعات وتسويتها: أي دور يمكن لأوروبا أن تلعبه؟)

محاضرات أخرى للدكتور أسامة الباز

- محاضرة عن الأوضـاع العربية والتضامن العربي والانتفاضة والتسـوية السلمية، ملخص منشور بمجلة المصور - 18 / 3 / 1988.
- محـاضرة أمام أسـاتذة جامعة الإسـكندرية عـن العالم العربي والتسـوية العربية الإسرائيلية والدور الأمريكي، ملخص منشـور بجريدة الأهالي في 7/ 2/ 1988.
- محـاضرة في معرض الكتـاب عن التطـورات الدولية الراهنة والمشـكلة الفلسطينية، ملخص منشور بصحيفة القبس 5/ 12 / 1988.
- محـاضرة في جمعيـة الصداقة المصريـة الأمريكية عن القضية الفلسـطينية والـصراع العـربي الإسرائيـلي، ملخـص منشـور في الأهـرام المسـائي 4/ 3 / 1991.
- محـاضرة في المعهـد الملكي للشـئون الدولية بالأردن - عـن المفاوضات العربية الإسرائيلية والمسـار الفلسـطيني - مقتطفات منشـورة بالحياة - 13 / 7 / 1995.
- ورشـة عمل بمركز معلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء حول مشروع (مستقبل قطاع غزة عام 2010) بتاريخ 8 / 6 / 2006. وذلك بالتعاون مع برنامج السياسـات الإنسـانية وأبحـاث النزاعات بجامعة هارفارد.

- دعـوة مـن الدكتور علي عبدالرحمـن رئيس جامعة القاهـرة للتحدث في مؤتمـر طلابي بالجامعـه بتاريخ 22/ 4 / 2007 حـول موضوع (الواقع العربي.. إلى أين؟).
- رئاسة الجلسـة الخاصة بالسياسـات الاجتماعية في أعمال المؤتمر السنوي العاشر للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة في الفترة من 26 – 29 مايو 2008.
- محـاضرة أمام نادي الليونز يـوم 18 / 10 / 2008 حول (أهمية الدور الدبلوماسي في تحقيق الأهداف القومية).
- المشـاركة في مؤتمـر عن (دور المجتمـع المدني في ضمان الالتـزام بالقانون الإنساني الدولي وحقوق المدنيين في أوقات النزاعات). المعقود بالقاهرة – فندق كونراد بتاريخ 16 – 17 ديسمبر 2006.
- محاضرة أمام ملتقى الفكر الإسلامي الذي نظمته وزارة الأوقاف المصرية يـوم 17 / 12 / 2006 حـول (أصول الخطـاب الواجب بين الأديان) نشرت عنه صحيفة الوفد ملخصًا وافيًا بتاريخ 18 / 12 / 2006.
- نـدوة اللجنـة المصريـة للتضامـن حـول موضـوع (ثوابـت الوحـدة الوطنيـة في مـصر) بدعوة من الأسـتاذ أحمـد حمروش رئيـس اللجنة في 24 / 11 / 2005.
- نـدوة مركـز الدراسـات الأمريكية بكليـة الاقتصاد والعلوم السياسـية حول (جذور المجتمع الأمريكي) بدعوة من الدكتور كمال المنوفي عميد الكلية السابق – الإثنين 21 / 11/ 2005.

أحاديث وحوارات صحفية

- حديث عن مشاريع التسـوية بالشرق الأوسط وحرب الخليج - المجلة 6 / 3 / 1985.
- حديث صحفي عن المؤتمر الدولي للسلام - الصياد 9/ 5 / 1986.
- حديث عن التسـوية السـلمية وإسرائيل - (السياسة) الكويتية 4/ 1 / 1988.
- حوار مع صحيفه الأنباء عن أزمة الخليج والقضية الفلسطينية والأوضاع العربية بعد الأزمة 22 25- فبراير 1991.
- حديث عن مؤتمر السـلام وموقف مصر - دافار الإسرائيلية 16 / 5 / 1991.
- حديـث إعلامـي عـن الـصراع العـربي الإسرائيـلي والـشرق أوسـطية والمصالحة العربية -الشباب- مايو 1995.
- حوار عن عملية السـلام والمسـارين الفلسـطيني والسوري والعلاقات المصرية الإسرائيلية - الأهرام ويكلي - 15 / 6 / 1995.
- حوار عن لقاء الدكتور أسـامة الباز مع الرئيس أوباما قبل تنصيبه رئيسًا للولايات المتحدة -مجلة الإذاعة والتلفزيون- القاهرة في 2009.

الفصل الرابع

الباز.. وقضايا العمل الوطني في الداخل

كان أسـامة الباز واحدًا من الدبلوماسيين الذين يدركون بعمق مدى الترابط الفعلي والـضروري بين السياسـات الخارجية للـدول وأوضاعهـا واحتياجاتها الداخليـة. ويبدو أنه قد نذر نفسـه وجهـده الوطني والمهني لخدمـة هذه المنطقة التي تصل بين الداخل والخارج، من مختلف المواقع الوطنية التي شغلها في مصر ودون أن يغريه بهرج العمل في الخارج ومزاياه الحياتية والمادية.

تعـددت المواقع التي قدم منها أسـامة الباز عطاءاتـه الوطنية إلى جانب دوره المهنـي في وزارة الخارجيـة، فقد عمـل في بداية التحاقه بالسـلك الدبلوماسي في الإدارة العامـة للأبحـاث والمعلومـات التـي كانـت حلقـة الاتصال بـين وزارة الخارجية ومؤسسة رئاسة الجمهورية وهيئات الأمن القومي.

وبعد عودته من بعثته الدراسية بالولايات المتحدة وتعيينه في هيئة إدارة معهد التدريـب الدبلوماسي تـم اختياره أيضًـا للعمل في غير أوقات العمل الرسـمية بوزارة الإعلام. كما عمل بالقرب من اللجنة المركزية للاتحاد الاشـتراكي العربي في فترة الدكتور حافظ غانم، ثم مسئولًا عن العلاقات الخارجية بمنظمة الشباب عـام 1972. وفي عام 1973 انتقل الدكتور البـاز من موقعه كنائب مدير معهد الدراسـات الدبلوماسية إلى مكتب وزير الخارجية ومنه انتقل في عام 1975 إلى

رئاسة الجمهورية مستشارًا سياسيًا للسيد حسني مبارك نائب الرئيس في ذلك الوقت. وبعد تولي الرئيس مبارك مقاليد الحكم عام 1981 أعيد تعيين الدكتور أسامة الباز بالصفة الجديدة كمدير لمكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية إلى جانب عمله الأصلي كوكيل أول لوزارة الخارجية.

وقد تنوعت الملفات الوطنية التي تصدى لها الدكتور أسامة الباز في تلك المواقع. وسوف نعرض هنا في هذا الفصل جوانب من تلك الشواغل الوطنية، ونركز في ذلك على خمسة مجالات هي: التنظيم السياسي والأنشطة الحزبية، وقضايا التنمية الاقتصادية وأبعادها الاجتماعية، وملف الوحدة الوطنية وقضايا الأقباط، وملفات الإعلام، وأخيرًا مسائل القضاء والمظالم وإدارة الأمن والعدالة.

التنظيمات السياسية والأنشطة الحزبية ومؤسسات المجتمع المدني

تم اختيار الدكتور أسامة الباز في عام 1972 ليكون مسئولًا عن العلاقات الخارجية بمنظمة الشباب التابعة في ذلك الوقت للاتحاد الاشتراكي العربي وهو التنظيم السياسي الأوحد الذي كان مستمرًا في العمل منذ فترة الستينيات. وقد عمل منذ تصديه لهذه المهمة على تغيير المسحة الماركسية التي اتسم بها التنظيم الأم والتنظيم الشبابي المنبثق عنه طوال فترة الستينيات، وبدأ بالتعاون مع الدكتور عبدالأحد جمال الدين الأمين العام للمنظمة في ذلك الوقت ومع بعض الكوادر الجديدة التي دخلت المنظمة بعد التغييرات السياسية التي حدثت عام 1971 في تكريس الطابع الوطني الخالص والتوجهات القومية والعروبية في أنشطة المنظمة. وكان من بين خطواته في هذا الصدد تنويع الأطراف الخارجية التي تتعامل معها المنظمة وتنسيق حضورها الخارجي مع منظمات الشبيبة الأخرى

في الـدول العربيـة. وقد ظهر ذلك التنسـيق عـام 1973 في الإعداد للمشـاركة بمهرجان الشباب الدولي في برلين «ومهرجان الشباب الإفريقي الأول بتونس»، وفي أنشـطة ثقافية أخرى في النمسـا واليونان، وتم إنشاء لجنة تنسيق عربية تقوم بتنسيق الأدوار بين المنظمات الشبابية العربية وتقديم الدعم لبعضها مما لاتؤهلها إمكانياتها من المشاركة الفاعلة.

عرفت منظمة الشباب أيضًا في تلك المرحلة الجديدة تنوعًا في محاور التثقيف وزوايـا المعالجـة للقضايـا الوطنيـة والعربيـة والإفريقيـة والدوليـة. فبـدلًا من التركيز الذي سـاد طوال النصف الثاني من السـتينيات على مفاهيم الاشـتراكية العلمية، ومركزية النظام الاقتصادي، وأهمية التحالف الاسـتراتيجي مع الاتحاد السوفييتي، تنوعت الاهتمامات في المرحلة الجديدة لتشمل مثلًا تطلعات الهجرة إلى الخـارج بين الشـباب، وكيفية الحفاظ على الهويـة الوطنية والقومية، والعلاقة بين الوطن وأبنائه المهاجرين. وخرجت آنذاك أفكار جديدة من منظمة الشـباب تدعـو إلى تنظيم الاسـتفادة بكفـاءات المصريين المهاجرين في الخارج، وتشـكيل روابـط للعِلْميـين منهـم وخاصـة في الولايات المتحـدة وأوروبا وكنـدا، كما تم تطويـر النـشرة الإعلامية التـي كانت تصدر مـن القاهرة وتوزع عـلى المواطنين بالخارج باسم (الشباب العربي).

■■■

وفي متابعته لتطور القواعد الدسـتورية والتنظيمات السياسية في البلاد خلال عهدي الرئيس السـادات والرئيس مبارك، ورغم إيمانه بمبدأ التعددية السياسية إلا أن الدكتور الباز كانت لديه ملاحظاته وتحفظاته على الأداء السـياسي لبعض الأحـزاب، وكان يـرى أن العمـل الحزبي في مصر أمامه أشـواط طويلـة قبل أن تتكامل له أركان وضوابط العمل السـياسي الصحيح كما تعرفها الديمقراطيات الأخرى في العالم المعاصر.

كان على الدكتور أسامة الباز بعد انتقاله إلى موقعه الجديد كمستشار لنائب الرئيس ثم كمدير لمكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية مراعاة التوازن في التعامل مع كافة الأحزاب والقوى السياسية والتنظيمات النقابية. وكان يعتز اعتزازا كبيرًا بالتقليد الذي استنته رئاسة الجمهورية خلال السنوات الأولى من حكم الرئيس مبارك وهو جمع القيادات السياسية والتشريعية والتنفيذية في لقاءات مع الرئيس بين الحين والآخر ليعرض عليهم بعض أسس وتفاصيل السياسة المصرية ومواقفها وأسباب اتخاذه لقرارات معينة تخص الداخل أو الخارج، والاستماع أيضًا إلى تعليقاتهم وآرائهم. وكانت تلك اللقاءات تضم رؤساء الأحزاب المعارضة كالسيد فؤاد سراج الدين، والسيد أحمد الصباحي، والسيد مصطفى كامل مراد، والسيد خالد محيي الدين، إلى جانب رئيس الوزراء ونوابه ورئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب الدكتور محمد عبداللاه، والمستشار أحمد سلامة رئيس اللجنة التشريعية بالمجلس وفي حضور عدد آخر من أعضاء الأحزاب المعارضة. وكان الدكتور أسامة الباز يحضر بالطبع تلك اللقاءات بصفته مديرًا لمكتب الرئيس للشئون السياسية ومعه الدكتور مصطفى الفقي بصفته سكرتيرًا للمعلومات بمكتب الرئيس.

ويذكر أسامة الباز أن الرئيس كان أيضًا يخصص في بعض الأحيان لقاءات خاصة مع بعض ممثلي الأحزاب المعارضة على انفراد، ومنها لقاء سيادته في أوائل عام 1982 بوفد الأمانة العامة لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي برئاسة السيد خالد محيي الدين وعضوية الدكتور رفعت السعيد، والذي عرض الحزب فيه عددًا من القضايا التي تهمه والتي كلف الرئيس مبارك الدكتور أسامة الباز بمتابعتها، ومنها تيسير طبع صحيفة (الأهالي) الناطقة بلسان الحزب في مطابع مؤسسة أخبار اليوم، وتخصيص ما تحتاجه الجريدة من الورق المدعوم، ورفع الحظر الذي كان مفروضًا من الناحية العملية على شركات القطاع العام بنشر إعلانات لها في صحيفة الحزب، ومنح قيادات ومفكري الحزب فرصة التعبير

عن آرائهم على صفحات الصحف القومية، والإفراج عن المعتقلين من أعضاء الحزب ولجنته المركزية منذ حادث المنصة في أكتوبر 1981، والمطالبة باستعادة الجزء الذي شغلته الهيئة العامة للاستعلامات في المقر المركزي للحزب وسط القاهرة.

وحين عقد في عام 1981 أول مؤتمر وطني لبحث أوضاع الاقتصاد المصري واقتراح الاستراتيجيات المناسبة للإصلاح كان حزب التجمع أول المبادرين بتقديم تصوراته حول الموضوع، حيث تلقى الدكتور الباز مذكرة من السيد خالد محيي الدين رئيس الحزب تتضمن أفكارًا محددة بشأن القطاع العام في مصر، وترشيد الاستهلاك، وتطوير برامج التدريب الفني والعمالي، وتعديل النظام الضريبي، وترشيد سياسات الدعم الحكومي ليصل بالفعل إلى مستحقيه.

وكان من بين المتابعات الأخرى المتعلقة بحزب التجمع العمل على تنفيذ الترتيبات التي وافق عليها رئيس الجمهورية بندب عدد من أعضاء الحزب من جهات عملهم إلى الأمانة العامة لمجلس الشورى تمكينًا لتفرغهم بعد ذلك لأعمال الحزب، وتخفيفًا للأعباء المالية التي يتحملها الحزب. كذلك كانت مسألة نصيب حزب التجمع من الدعم المالي المقرر للأحزاب السياسية من بين المسائل التي عرضها الحزب على الدكتور أسامة الباز في أواخر الثمانينيات بعد أن وجد أنه الحزب الوحيد الذي لايحصل على هذا الدعم دون باقي الأحزاب السياسية. وكان مجلس الشورى قد كلف بتوزيع جزء من عوائد ممتلكات الاتحاد الاشتراكي (السابق) على شكل دعم شهري للأحزاب السياسية، وقد حصل كل من حزبي المعارضة الآخرين على مبلغ سبعة آلاف جنيه مصري بصفة شهرية.

وبالنسبة «لحزب العمل» لاحظ الدكتور الباز بعض التناقضات في الخط السياسي للحزب وفي تصرفات قياداته وكوادره، ومنها على سبيل المثال قيام السيد إبراهيم شكري رئيس الحزب بتوجيه تهنئة إلى رئيس منظمة التحرير

الفلسطينية عام 1993 بمناسبة توقيع المنظمة مع إسرائيل على إعلان المبادئ الخاص بإنشاء سلطة حكم ذاتي فلسطينية في الضفة الغربية وغزة، ثم قيام صحيفة (الشعب) الناطقة بلسان الحزب بعد ذلك بهجوم عنيف وسافر على هذا الاتفاق.

وحول علاقته بحزب «الوفد الجديد» يذكر الدكتور أسامة الباز اللقاءات السياسية التي حضرها بدعوة من قيادة الحزب للتحدث عن السياسة الخارجية، ومنها لقاؤه بمقر الحزب في الدقي بمحافظة الجيزة يوم الثلاثاء 15 أكتوبر 1996 وفي هذا اللقاء وبعد انتهاء الدكتور الباز من حديثه العام عن (سياسة مصر الخارجية في ظل التغيرات الإقليمية والدولية) تلقى سيلًا من التعقيبات والأسئلة التي ظل محتفظًا بأوراقها الصغيرة المدونة بخط يد أصحابها من كبار أعضاء الحزب وشبابهم الوافدين من محافظات الجيزة والمنوفية والشرقية والغربية والدقهلية وغيرها. وقد اتسمت معظم هذه الأسئلة والتعقيبات بأدب الخطاب، والرغبة الحقيقية في التعرف على مواقف مصر الخارجية، كما تناول بعضها الأوضاع الديمقراطية في مصر ونتائج الانتخابات فيها، والمقارنة بينها وأوضاع الديمقراطيات الأخرى في العالم المتقدم والعالم النامي. كما تضمن بعضها أفكارًا واقتراحات محددة تتعلق بالدعوة للاستفادة من الخبرات التخصصية والفنية والقانونية لبعض رجال حزب الوفد في أعمال الدولة ومشروعاتها العامة، والنظر في أن يكون لفرنسا دور أكثر خصوصية ونشاطًا في عملية التسوية السلمية بالشرق الأوسط نظرًا لخبرتها التاريخية بالمنطقة، كما أعلن أحد الأعضاء من الحاضرين عن قيامه بإعداد بحث علمي حول إمكانية «خلق لغة عالمية» و«منهج دراسي جديد في رياضيات القرن الحادي والعشرين» معربًا عن أمله في نشر هذه الأبحاث باسم الرئيس مبارك عن طريق القمر الصناعي المصري أو شبكة المعلومات الدولية.

كذلك اشتملت متابعات الدكتور أسامة الباز للتنظيمات السياسية على متابعات أخرى لبعض المنظمات الأهلية ذات الطابع السياسي كاللجنة الوطنية للتضامن مع الشعوب «الإفريقية والآسيوية» التي كان يترأسها في مرحلة أولى السيد عبدالرحمن الشرقاوي ثم تولاها من بعده السيد أحمد حمروش، والاتحاد العام للكتاب والأدباء، وجامعة الشعوب العربية والإسلامية التي أنشئت بالقاهرة تعويضًا عن انتقال جامعة الدول العربية إلى تونس.

وتشير أوراق الدكتور الباز إلى اهتمامه أيضًا بدعم الحركة النسائية في مصر وتشجيعها لأداء أدوار واسعة ليس فقط في مجالات العمل النسائي التقليدي كتحسين الصحة ورعاية المعاقين والأنشطة الخيرية، وإنما أيضًا في مجالات المشاركة السياسية، وتمثيل مصر في المحافل الدولية، واقتحام مجالات علمية ومهنية جديدة. وكان يبدي اهتمامًا خاصًا بجمعية أصدقاء الشعب التي ترأسها السيدة عواطف والي.

ويروي الدكتور أسامة الباز عن عدة أحداث تعرضت فيها البلاد لأزمات أمنية واضطرابات عمالية، وكان من رأي رئيس الجمهورية أن ضعف تحرك الحزب الوطني الحاكم سبب فيها، وأنه -أي الرئيس- كثيرًا ما كان يطالب حزبه بأن يتصدى لبواكير هذه الأزمات قبل استفحالها بدلًا من تركها للرئيس نفسه، وأن يجري رجال الحزب الوطني اتصالات نشطة مع قيادات وأعضاء الأحزاب الأخرى، فإذا ما فشلت تلك المحاولات فإن الدولة تبدأ في التصدي لأعمال الإثارة والشغب وفق صلاحياتها الدستورية.

قضايا الاقتصاد الوطني والتنمية والمشكلة السكانية

بدأت اهتمامات الدكتور أسامة الباز بالمتابعة التفصيلية للمسائل الاقتصادية والسياسات النقدية ومشروعات التنمية وأبعاد المشكلة السكانية في مصر مع بداية ولاية الرئيس مبارك الذي دعا في مستهل رئاسته للجمهورية إلى عقد مؤتمرين وطنيين أولهما لبحث أوضاع الاقتصاد المصري والتحديات التي تواجهه، والثاني عن المشكلة السكانية وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية. وقد شارك الدكتور الباز في الإعداد لهذين المؤتمرين وفي متابعة نتائجهما من خلال جمع البيانات الأساسية واقتراح أسماء الشخصيات المشاركة وإعداد الأوراق التحضيرية. وكان يحرص في تحضيراته ومتابعاته على تحري الدقة والاتساق في الأرقام والإحصاءات الواردة من الجهات الرسمية في الدولة، وإجراء مقارنات مع ما يرد في التقارير الاقتصادية والإحصاءات الصادرة عن المؤسسات الدولية الكبرى ومراكز المعلومات والأبحاث العالمية. وكان يحرص أيضًا على استطلاع آراء وتحليلات عدد من الخبراء الاقتصاديين الموثوق بهم وبولائهم الوطني وكفاءاتهم التخصصية، ومن بينهم على سبيل المثال الدكتور إبراهيم شحاتة، والدكتور إبراهيم حلمي عبدالرحمن، والدكتور عبدالشكور شعلان والدكتور إسماعيل صبري عبدالله، والسيد علي نجم، والدكتور مصطفى السعيد، والدكتور ميلاد حنا، والدكتور سلطان أبوعلي، والدكتور صبري الشبراوي، والدكتورة ليلى تكلا، ورجل الأعمال المصري إبراهيم كامل.

وقد وجدنا بعض التعليقات والاستفسارات المدونة بخط يد الدكتور الباز على نسخته من تقرير الدكتور إبراهيم حلمي عبدالرحمن الذي كان قد أعده في 23 نوفمبر 1981 بعنوان (استراتيجية التنمية في مصر كما هي قائمة الآن وكما ينبغي أن تكون) وعلى دراسة أخرى أعدها نفس العالم الاقتصادي المذكور

حـول (خطوات عقد المؤتمر الاقتصادي والمحاذير التي يجب مراعاتها عند طرح مقترحات جديدة فيه)، وهناك ورقة أخرى أعدها الدكتور وجيه شندي في 23/ 2/ 1982 حول تصوراته لأسلوب عمل المؤتمر الاقتصادي وتشكيل لجانه، إلى جانـب أوراق عمـل أخرى أعدهـا الدكتور محمد فؤاد الـصراف حول (القطاع العـام والبدائل المطروحـة لتطويره)، (والنظـام الجديد للاسـتيراد بدون تحويل عملـة) و(مشـاكل المسـتثمرين في مصر) و(مشـكلات الإنتاج المـصري في ظل الانفتـاح الاقتصادي ومحاولة وضع اسـتراتيجية لعلاجها) و(السياسـة النقدية في مـصر). كـما كانت هنـاك في أوراق الدكتـور الباز مذكرة أخـرى من الدكتور عبدالعزيز الشربيني بالصنـدوق الدولي للتنمية الزراعية في روما تتضمن أفكارًا حول الثـورة الإدارية المطلوبة، ومعالجة المشـكلة السـكانية، والنظام الضريبي، والأمن الغذائي، وأوضاع العمالة المصرية في الخارج، ودور مصر في إفريقيا.

ومن بين المقترحات الجديدة التي تعامل معها الدكتور أسامة الباز في بدايات الثمانينيات المقترح المقدم من بنك فيصل الإسلامي بشأن مشروع إصدار شيكات سـياحية بالجنيه المصري باسـم البنك، ومقـترح الدكتور عبدالـرزاق عبدالمجيد نائـب رئيـس مجلس الـوزراء للشـئون الاقتصادية بشـأن عقد ندوات لتشـجيع الاسـتثمار في مـصر عن طريـق القمر الصناعـي. كذلك كان هنـاك اقتراح مقدم عام 1982 عن طريق السـفير المصري في واشـنطن الدكتور أشرف غربال الذي تعرض فيه إحدى الشركات الأمريكية اسـتعدادها لإنشـاء مدينة سكنية جديدة بمنطقة الفسطاط، وكذا إنشاء طريق دائري حول مدينة القاهرة.

ومن بين الأفكار الاقتصادية الجديدة التي اقترحها الدكتور رفعت المحجوب إمكانية وجدوى قصر استيراد الأسمنت على الحكومة وتشجيع الصناعة المحلية لـه، والنظر في إمكانية اسـتخدام «الحلفا» كعلف حيـواني والأماكن التي يمكن زراعتهـا فيها بأسـلوب اقتصـادي، إلى جانب بعض المسـائل الأخـرى المتعلقة بتطهير الترع والمصارف واستخدام الطمي في صناعة الطوب.

ولأن قضيتي السكان والإسكان تحتلان موقعًا متقدمًا في أجندة الاهتمامات الوطنية منذ الثمانينيات فقد وجدنا الدكتور الباز يخصص قسمًا معتبرًا من اتصالاته ومطالعاته لمتابعة هذين الموضوعين، ووجدناه يشارك في الإعداد للمؤتمر الدولي للسكان والتنمية الذي استضافته مصر تحت رعاية الأمم المتحدة عام 1994. وقبل ذلك وجدناه يناقش الدكتور ميلاد حنا رئيس لجنة الإسكان بمجلس الشعب والدكتور سلطان أبوعلي أستاذ ووزير الاقتصاد السابق حول الدراسات والأوراق التي تقدم بها كلاهما من أجل معالجة مشكلات الإسكان. كما وجدنا الدكتور الباز يناقش في أوائل عام 1993 مع محافظ القاهرة وسائل الحد من هجرة السكان إلى العاصمة من خلال وسائل لاتصطدم بحقوق المواطنين والمبادئ الواردة في الدستور.

وقد انتبه الدكتور الباز إلى صعوبة وتعدد زوايا النظر في المسائل ذات الطابع الاقتصادي الممزوجة بالأبعاد السياسية مثل مسألة اتخاذ قرار مصري بشأن استضافة أو عدم استضافة المؤتمر الثالث للتعاون الاقتصادي الإقليمي في إطار سلسلة المؤتمرات التي دعت إليها الولايات المتحدة والدول الأوروبية ضمن المسار متعدد الأطراف لعملية السلام في الشرق الأوسط، حيث استغرق البت في هذا الموضوع عدة جلسات شارك فيها عدد كبير من الوزراء وممثلي الجهات السيادية المصرية منهم الدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء، ووزراء المالية، والاستثمار، والسياحة، والخارجية، ورئيس المخابرات العامة، والدكتور أسامة الباز. وكانت هناك اتجاهات قوية لتأجيل عقد المؤتمر في القاهرة إلى تاريخ لاحق بسبب المشكلات التي تعرض لها الفلسطينيون آنذاك في مدينة الخليل، بالإضافة إلى تعثر المفاوضات على المسار السوري الإسرائيلي. بينما كان الرأي الآخر يرى أن عدم عقد المؤتمر في القاهرة أو عدم عقده في موعده سيؤدي إلى إضعاف مركز مصر الإقليمي والدولي، وأن دولًا أخرى في المنطقة كانت ستستضيف المؤتمر في حالة تقاعس مصر عنه. وظهرت آراء تدعو إلى قصر الحضور في المؤتمر على ممثلي

الشركات ورجال الأعمال والبنوك أي تغيب الحضور الحكومي فيه. وقد لاحظ الدكتور الباز أن النقاش حول هذا الموضوع -رغم حدته وتباين الآراء فيه- قد أكسب الإدارة المصرية قدرات مهمة في إدارة العلاقه مع إسرائيل والولايات المتحدة، وفي اتخاذ القرارات التي تسمح بإنفاذ المصالح المصرية دون التفريط في الثوابت المبدئية.

ملفات التطرف الديني والوحدة الوطنية وقضايا الأقباط

عرف أسامة الباز في جميع الأوساط السياسية والدينية والثقافية بأنه يمقت التعصب الديني ويرفض التشدد في شروح الشريعة وتطبيقاتها. ولأنه تشبع منذ نشأته في بيت والده العالم الأزهري المستنير بروح التدين السمح، ولأنه درس بعد ذلك أصول الفقه والشريعة الإسلامية على يد أساتذة وشيوخ أجلاء يدركون الفهم العاقل لأحكام الدين وخاصة في علاقة المسلمين بغيرهم... لذلك وجدناه من أكثر الساسة المصريين حكمة وعمقًا عند معالجة ظواهر التطرف الديني، وعند تصديه فكريًّا لمقولات المتزمتين من أصحاب التفاسير الحرفية الضيقة، وللمنادين بالبدع وأعمال الدروشة.وهو يرى خطأ تكوين أحزاب سياسية على أساس ديني أو طائفي؛ لأن ذلك يعني الخلط بين الدين الذي هو مطلق والسياسة التي هي بطبيعتها نسبية (انظر حواره الذي أجراه مع مجله «البداية» التي تصدر عن كليه التربية النوعية بجامعة عين شمس – مايو 2006).

وعندما وقعت في مصر أول أحداث الفتنة الطائفية في غيط العنب بالإسكندرية وفي مركز الخانكة عام 1972 وجدناه يشارك الدكتور جمال العطيفي وكيل مجلس الشعب آنذاك في إعداد التقرير الشهير عن تلك الأحداث

وفي صياغة المقترحات والتوصيات اللازمه لمعالجة جذور هذه الفتنة وتجنب تكرارها فيما بعد.

وعندما تكررت للأسف بعض الأحداث المماثلة في فترات لاحقة كانت للدكتور الباز اتصالاته المباشرة مع قداسة البابا شنودة الثالث، ومع عدد آخر من قادة الكنيسة القبطية والكنائس المسيحية الأخرى في مصر. كما كانت له اتصالات أيضًا مع أئمة الأزهر الشريف وكثيرين ممن تولوا وظيفة مفتي الديار المصرية، وعدد آخر من علماء الدين داخل وخارج مجمع البحوث الإسلامية. وتشير أجندات التليفونات الشخصية التي كان يحتفظ بها إلى أسماء بعينها في هذا المجال من بينها فضيلة المرحوم الشيخ محمد متولي الشعراوي، والمرحوم الدكتور سلام مدكور، والدكتور أحمد كمال أبو المجد، والأستاذ منتصر الزيات المحامي المشهور بتوليه الدفاع في قضايا الجماعات والتنظيمات الإسلامية.

■■■

كان للدكتور الباز آراؤه فيما أثير في أواخر السبعينيات عن موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر، وهو الموضوع الذي شغل اهتمامات الرأي العام المصري، وتشكلت من أجله لجان بمجلس الشعب أشرف عليها المرحوم الدكتور صوفي أبوطالب. وكان للدكتور الباز عدة لقاءات مع الدكتور أبوطالب والمستشار مختار هاني والدكتور أحمد سلامة المنوط بهم أعمال اللجنة التشريعية بالمجلس، وكانت هذه اللقاءات تبحث ما يمكن عمله من أجل تحقيق المطلوب مع مراعاة الحفاظ على الطابع المدني للدولة.

وعندما اغتيل الرئيس أنور السادات عام 1981 تلقى الدكتور الباز رسالة في 16 أكتوبر 1981 من السكرتير العام لمجلس مجمع الأديان بسيناء السيد فيليب ليرواه يلتمس فيها قيام الرئيس مبارك بتوجيه رسالة إلى المجلس

لطمأنتهم على استمرار مشروع مجمع الأديان الذي وضع أسسه الرئيس الراحل أنور السادات.

كذلك كان للدكتور الباز دور مهم في معالجة موضوع عزل البابا شنوده، والترتيب لعودته إلى مقر الباباوية بعد فترة اعتكاف طويلة بأحد أديرة الصعيد احتجاجًا على ما اعتبره انحيازًا من جانب الرئيس الراحل السادات ضد الكنيسة القبطية وحقوق المواطنين الأقباط. وبعد عودته إلى موقعه الطبيعي أخذ البابا شنوده على عاتقه مهمه تهدئة مشاعر الأقباط في الداخل وفي بلاد المهجر عند حدوث احتقانات طائفية في مصر.

ومن الأوراق المحفوظة لدى الدكتور الباز رسالة محررة بخط اليد بعث بها البابا شنودة في 5/ 3 / 1997 إلى أبنائه الأحباء في أمريكا «إكليروسا وشعبا» ينقل فيها إليهم تعازيه «في أحبائنا الذين استشهدوا في أبي قرقاص بأيدٍ أثيمة من الإرهاب»، ويطمئنهم إلى ماتقوم به أجهزة الدولة والأمن من جهود لتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة. وفي هذه الرسالة يقول البابا شنودة.. (إن الإرهابيين قلة لكنهم مسلحون وخطرون، وقد قتلوا الدكتور رفعت المحجوب رئيس (البرلمان) مجلس الشعب، كما قتلوا أيضًا الدكتور فرج فوده من كبار الكتاب، وحاولوا اغتيال الدكتور نجيب محفوظ الحاصل على جائزة نوبل، بل أيضًا حاولوا اغتيال الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء واللواء حسن الألفي وزير الداخلية والأستاذ صفوت الشريف وزير الإعلام، وكل هؤلاء من المسلمين مع بعض قيادات الشرطة) ويستطرد قائلًا (هنا.. يا أبنائي الأحباء –في إدانتنا لحوادث الإرهاب– يجب أن نفرق بين إدانة الدولة وإدانة الإرهاب. فالإرهاب هدفه الأول هو الدولة، والدولة في صراع معهم، فإن كنتم تدينون الإرهاب وتقفون ضده بكل الطرق المشروعة فلن يلومكم أحد، أما من جهة الدولة فمن الظلم أن يقف أحد ضدها في جريمة أبي قرقاص أو في غيرها من الأحداث. فالإرهاب عدو مشترك للدولة والكنيسة معًا، ولكثير من الأبرياء. بل ينبغي

أن نقف جميعًا إلى جوار الدولة في صراعها ضد الإرهاب الذي لايوجد في مصر وحدها بل يوجد في بلاد أخرى بصورة أخطر وأبشع. وإن حزنكم على شهداء لنا لايعني أن يهاجم البعض الدولة كما وصل إلينا من أخبار، وأحب أن تكون صورة الأقباط باستمرار في المستوى الروحي الذي كان لنا في كل العصور).

وفي ختام رسالته يقول البابا شنودة: (لذلك أود في زيارة الرئيس مبارك إلى أمريكا أن تقابلوه بكل مايليق من توقير كرئيس لدولتنا مصر التي تنتمي إليها الكنيسة الأم، وأيضًا كرجل يبذل جهدًا كبيرًا في قضايا الشرق الأوسط، كما أنه يحارب الإرهاب بكل قوة لأجل سلامة بلدنا.

تصرفوا إذن بحكمة وروحانية، وليس بمجرد الانفعال.. وكونوا جميعكم بخير، وليكن الرب معكم).

(توقيع: شنودة الثالث)

ونظرًا للمواقف الإيجابية للدكتور أسامة الباز في معالجة مطالب الكنيسة الأرثوذكسية وفي توفير أجواء التواصل بينها وبين قيادات الدولة ومشيخة الأزهر فقد حرصت الكنيسة على توجيه الدعوة إليه سنويًّا لحضور القداس الكنسي الذي تقيمه في احتفالات عيد ميلاد السيد المسيح، ويحرص هو من جانبه على تلبية هذه الدعوة بجانب قيادات الحزب الوطني وعدد كبير من الوزراء، كما يحرص أيضًا على الالتقاء بين الحين والآخر مع قيادات المجلس الملي من العناصر القبطية لبحث بعض المطالب المتعلقه ببناء الكنائس، والترشيح للانتخابات البرلمانية والانتخابات البلدية، ومعالجة بعض الملاحظات التي ترد في تقارير وطنية أو أجنبية عن أوضاع وحقوق الأقباط عمومًا في مصر.

ومن بين الأوراق المحفوظة في الأرشيف الشخصي للدكتور أسامة الباز صورة من تقرير أعده مستشار التربية الدينية في وزارة التعليم السيد أحمد حسن حمزة - بناء على طلب الدكتور الباز - عن رعاية حقوق غير المسلمين في كتب

التربية الدينية بالمراحل التعليمية المختلفة، ونسخة من كتاب التربية الإسلامية المقرر على تلاميذ الصف الأول من التعليم الأساسي. ونسخة مهداة من كتاب الدكتور نبيل لوقا بباوي بعنوان (عدم دستورية قانون الأحوال الشخصية المطبق على المسيحيين) وقد كتب عليه المؤلف إهداء شخصيًّا إلى الدكتور أسامة يقول فيه:

«أخي العزيز الوزير وأستاذي الدكتور أسامة الباز... أهدي إليك كتابي وأتمنى معرفه رأيك، وقد وافق عليه الأزهر الشريف، وهو يهم 8 ملايين مسيحي أرثوذكسي وبروتستانتي وكاثوليكي. وقد وضعت الحل لهذه المشكلة... أخوك نبيل لوقا بباوي» ويبدو من الخط الأحمر الذي استخدمه الدكتور الباز في تخطيط أجزاء وسطور عديدة من الكتاب، وفي كتابه بعض الملاحظات على هامشه أنه اطلع على الكتاب بكامله، ويبدو أيضًا أنه اتصل تليفونيًّا بمؤلفه حيث سجل الدكتور الباز بخط يده رقم الهاتف الخاص بالدكتور بباوي بجوار توقيعه الذي ذيل به الإهداء.

كذلك لوحظ في المكتبة الخاصة بالدكتور أسامة الباز وجود عدد كبير من المؤلفات والمراجع التي تدور حول (الإسلام وأصول الحكم) (والأحوال الشخصية لغير المسلمين) وعن (الحركات الإسلامية في مصر والعالم العربي) وأعداد من (التقرير السنوي عن الحالة الدينية في مصر) الذي يصدره مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام، إلى جانب صور من تقارير منظمة العفو الدولية، واللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان وبعض تقارير السفارة الأمريكية بالقاهرة والسفارة المصرية في واشنطن حول ما يثار من مناقشات في لجان الكونجرس الأمريكي بشأن أوضاع المسيحيين في مصر والدول العربية، وحول تطورات حركة الإخوان المسلمين. كذلك تضم مكتبة الدكتور الباز تقارير أعدتها بعض أجهزة السلطة الوطنية الفلسطينية وحركة فتح عن أنشطة تنظيم «الجهاد» و«حركة حماس» في غزة والضفة الغربية، إلى جانب قصاصات

صحفية حفظها الدكتور أسامة عن تصريحات للمرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، وأخرى لمقالات حول الإسلام السياسي، والوحدة الوطنية، وأسباب التطرف الديني بأقلام عدد من الكتاب المصريين والعرب.

الباز... وشئون الإعلام

كان للدكتور أسامة ولع خاص ومبكر بالصحافة والإعلام عمومًا، وقد عرفنا منه أنه كان قد أصدر خلال دراسته الثانوية في دمياط صحيفتين الأولى باسم (الزميل) والثانية باسم (الغد). وحين التحق بكلية الحقوق شارك أيضًا في إصدار صحيفة أسبوعية حائطية بعنوان (ربع ساعة) كما كتب بمجلة روز اليوسف مقالًا بعد تخرجه وأثناء عمله بالنيابة العامة يحمل اسم (رأيت الله). وقد واصل الدكتور الباز هذا الاهتمام بالصحافة والإعلام في كافة مواقع عمله اللاحقة سواء بصفته كاتبًا أو متحدثًا أو في إطار مهامه الرسمية كمستشار سياسي وكمدير لمكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية.

كان من بين المهام التي تسند إلى الدكتور الباز النظر في الطلبات المقدمة إلى رئاسة الجمهورية لإجراء أحاديث صحفية أو إذاعية أو تليفزيونية مع السيد الرئيس وإبداء الرأي بشأنها من الناحية السياسية، وأحيانًا كانت الجهات التي تطلب هذه الأحاديث تقوم بإرفاق نصوص الأسئلة التي تعتزم طرحها في الحوار، إلى جانب ملخص عن تاريخها الصحفي أو الإعلامي، وأبرز الشخصيات التي سبق أن أجرت حوارات معها، فضلًا عن أرقام التوزيع أو حجم المشاهدة أو الاستماع التي تحظى بها.

وكان الدكتور الباز ينبه الرئيس إلى أن بعض الأسئلة المطروحة من جانب الصحفيين والمراسلين تتسم بعدم اللياقة أو التدخل غير اللائق في شئون مصر الداخلية، ومنها على سبيل المثال سؤال إحدى الصحف العربية عن تفسير

الرئيس لعدم إدراج اسم السيد منصور حسن على قوائم مرشحي الحزب الوطني في انتخابات عام 1982 في الوقت الذي ترددت فيه إشاعات قوية عن لمعان نجمه، وخاصه بعد قيامة بنقل رسالة شفوية من الرئيس إلى الملك حسين في عمان.

وفي الأرشيف الخاص بالدكتور أسامة الباز رسائل تعود إلى الفترة من 1982 وحتى 1995 موجهة من رؤساء تحرير عدة صحف ومحطات تليفزيونية كبرى تطلب لقاءات إعلامية مثل وكالة تانيوج اليوغسلافية عام 1982 ومجلة تايم الأمريكية، ومحطات ABC وNBC الأمريكية أيضًا ودورية Middle East Times، ومحطة التليفزيون اليابانية NHK، ومجلة «اقرأ» التي تصدر عن مؤسسة (البلاد) للصحافة والنشر بالمملكة العربية السعودية، وكذلك جريدة (السياسة) الكويتية، ومن صحيفة (التجارة والصناعة)الأوروبية التي تصدرها الغرفة التجارية بفرنسا. وهناك رسالة أخرى مخطوطة بيد أحد قادة الدول العربية على أحد أوراق مؤتمر القمة العربي الاستثنائي في بغداد عام 1990 والموجهة إلى السيد ممدوح البلتاجي وزير الإعلام الأسبق لطلب توجيه دعوة للصحفي جورج بشير مدير عام وكالة الأنباء المركزية نائب رئيس تحرير صحيفة الديار والكاتب في مجلة (الدولية) لزيارة مصر وإجراء حديث سياسي ينشر في وقت واحد في الشرق الأوسط وأوروبا والولايات المتحده للرئيس ولوزير الخارجية وللدكتور الباز حول الأوضاع العربية والدولية.

كذلك قام الدكتور الباز عام 1982 بمراجعة ملحق إعلامي كامل عن مصر أعدته صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية والذي تم نشره في أوسع نطاق وحظي بكم هائل من رسائل وتعليقات القراء في نيويورك والعديد من المدن الأمريكية والعواصم العالمية. وكان يسعده أن يتلقى من سفاراتنا ومكاتبنا الإعلامية المنتشرة بالخارج مشروعاتها للرد على ما ينشر عن مصر من حقائق مغلوطة أو بيانات غير دقيقة، وكان أسعد مايكون حين يجد أن ردود بعض السفراء

والمستشارين الإعلاميين بالخارج مقنعة ومكتوبة بلغة أجنبية رفيعة. ومن بين ما أسعده في هذا الإطار الرسالة التي كان السيد عمرو موسى قد بعث بها إليه من نيويورك حيث كان يعمل ببعثة مصر لدى الأمم المتحدة، وقد أرفق بها صورة لمقال كتبه ونشره في صحيفة نيويورك تايمز يوم 26 مارس 1990 عن الحجج الإسرائيلية (انظر قسم الملاحق والمرفقات).

ولاحظ المحيطون بأسامة الباز انزعاجه الشديد حين نشرت إحدى محطات التليفزيون الألمانية تعليقًا في عام 1989 جاء فيه أن مصر تبيع كميات كبيرة من المعونات التي تصلها من الخارج في السوق السوداء بدلًا من توجيهها بلا مقابل إلى الجهات المستحقة لها. وقد طلب الدكتور الباز حينئذ من المسئولين في وزارات الاقتصاد والمالية والتموين وفي الهيئة العامة للاستعلامات التحقيق في الموضوع والرد العاجل.

كان الدكتور أسامة الباز حريصًا أيضًا في عمله على مطالعة الترجمات الإنجليزية لما يصرح به رئيس الجمهورية وكما تظهر في الصحف الأجنبية وعندما يجد خطأ في الترجمة أو توظيفًا غير سليم لبعض عبارات الرئيس في سياقات أخرى كان يقوم على الفور بمكاتبة الجهة أو الصحيفة الناشرة لهذه الترجمة واطلاعها على التصحيح الواجب.

ومن بين الرسائل المهمة التي تلقى د. الباز نسخة منها رسالة بعث بها أحد المواطنين الأمريكيين ويدعى رون سالو إلى المستشار الثقافي المصري في واشنطن الدكتور عبدالمنعم المشاط في فبراير 1997 والتي يعرض فيها لبعض المشكلات الفنية والمالية التي يواجهها المواطنون الأمريكيون والعرب المقيمون في أمريكا من أجل التقاط البث الفضائي للتليفزيون المصري بالولايات التحدة. ويقترح المواطن الأمريكي إجراء بعض التعديلات في نظام البث المصري عبر الأقمار

الصناعية بما يتلاءم مع المعايير الفنية الأمريكية ومع الإمكانيات المادية لمستقبلي هذا الإرسال من المقيمين هناك.

كذاك كان للدكتور الباز في بعض الأحيان ملاحظاته ونصائحه التي يبديها لبعض الإعلاميين المصريين عند إعدادهم لحوارات مع قيادات وشخصيات عربية تظهر في أجهزة الإعلام الرسمية للدولة حيث كان يحرص على تجنب الإساءة إلى أية أطراف عربية أخرى في إطار تلك الحوارات، ومن بين الأمثلة ملاحظاته على الحوار الذي أجرته الإعلامية المصرية المتميزة نجوى أبو النجا مع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات بعد خروجه من بيروت إلى تونس، وكذلك على بعض ما ورد في حديث الإعلامي المصري الراحل حلمي البلك مع السيد هاني الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ومستشار الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات. (برنامج العالم بين يديك).

وبالنسبة للإعلام الداخلي شارك د. أسامة الباز -من خلال موقعه السياسي- في التخطيط لصدور أول جريدة يومية للحزب الوطني الديمقراطي باسم (مايو) وأسندت رئاسة تحريرها في بادئ الأمر إلى الأستاذ عبدالله عبدالباري. كما تابع د. الباز المراحل التحضيرية لإصدار مجلة (أكتوبر) الأسبوعية التي أوعز الرئيس السادات بإصدارها في أعقاب حرب أكتوبر 1973، وأسند رئاسة مجلس إدارتها ورئاسة تحريرها إلى الكاتب الصحفي الأستاذ أنيس منصور.

وفي مايو 1974 تقدم الدكتور أنور عبدالملك - وهو أستاذ علوم سياسية بالجامعات الفرنسية - بمقترح إصدار مجله باسم (النهضة) تكون إطارًا تتجمع فيه روافد الفكر المصري في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية والحضارية، وترصد فيه تحرك مصر السياسي في قلب الأمة العربية والشرق الحضاري الأفروأسيوي ابتداء من ثورة 1952 وحتى حرب أكتوبر 1973. ولم يكتب لهذا المشروع الظهور إلى النور لمده تزيد على ثماني سنوات حتى عاود

الدكتور أنور عبدالملك ومعه الكاتب المصري الأستاذ أحمد بهاء الدين طرحه مرة أخرى في 15 يناير 1982 حين بعث إلى الدكتور أسامة الباز بمخطط تفصيلي متكامل للمجلة، متضمنًا البرنامج الفكري والعلمي لها، والتخطيط الفني لأقسامها (بحوث - مقالات -دراسات إبداعية- ملفات خاصة عن أحداث هامة - وحوليات تعرض ملخصًا لحركة الفكر والنشر العربية، مع أبواب عن أهم الندوات والمؤتمرات في مصر والعالم العربي خلال فترة معينة، إلى جانب ترجمات لأبرز الموضوعات الواردة في كل عدد باللغتين الفرنسية والإنجليزية). كما تضمن العرض المقدم تفصيلًا عن الهيكل التنظيمي للمجلة والذي يشمل مجموعة مركزية تمثل هيئة التحرير ومجموعة محيطة تمثل المجلس العلمي. واقترح الدكتور أنور عبدالملك أن يتولى الأستاذ أحمد بهاء الدين رئاسة مجلس الإدارة، وأن يتولى هو -أنور عبدالملك- رئاسة التحرير، وأن يتولى الدكتور إبراهيم بيومي مدكور رئاسة المجلس العلمي الذي يضم الدكاترة أحمد كمال أبوالمجد، وزكي نجيب محمود، وعبدالرحمن بدوي، وأسامة الخولي، وخالد محمد خالد، ولويس عوض، واللواء حسام البدري، وثروت عكاشة، وشادي عبدالسلام، وجمال العطيفي، وجمال حمدان، ود. لواء مختار هلودة، وعبدالرحمن الشرقاوي، وفتحي رضوان، والشيخ أحمد حسن الباقوري.

وحول مشكلات الصحافة المصرية كان الدكتور الباز يتلقى بين الحين والآخر رسائل من رؤساء المؤسسات الصحفية أو من فرادى الصحفيين يعرضون فيها بعض مشكلات المهنة وتنظيمها وتمويلها. ويذكر الدكتور أسامة رسالة شخصية بعث بها من الكويت الكاتب المصري المرحوم أحمد بهاء الدين يقول فيها: «إن شكل الصحف المصرية بالمقارنة بالصحف العربية عجيب وروتيني جدًّا ولا يوحي للناس بأي تجديد، وهي لا تطاق من العرب في أي مكان بعكس خطب الرئيس وأحاديثه التي يرتاح لها الناس كثيرًا.. ويقارنون».

وفي 3/ 6 / 1985 كتب الأستاذ إبراهيم نافع رسالة خطيرة عن أوضاع الصحافة المصرية ومشكلاتها، عدَّدَ فيها ظواهر الإحباط لدى الشباب الصحفي الجديد ومحدودية دخله، وضعف مستوياتهم المهنية واللغوية، وحالة الخوف من الإحالة للمعاش بدون ضمانات تأمينية وصحية كافية، بالإضافة إلى خلل الهياكل المالية للمؤسسات الصحفية وإرهاق الحكومة لها بالضرائب والرسوم الجمركية، فضلًا عن عدم القدرة التنافسية للصحافة المصرية مع نظيراتها من الصحف العربية بسبب الدعم المالي الكبير الذي تضخه الحكومات لتطوير مؤسساتها الصحفية (كالشرق الأوسط التي تحصل من الحكومة السعودية على دعم يزيد على 65 مليون دولار سنويًّا).

ومن ناحية أخرى أرسل عدد من الصحفيين في «أخبار اليوم» ومجلة «آخر ساعة» رسالة إلى الدكتور على لطفي رئيس المجلس الأعلى للصحافة، وصورة منها إلى الدكتور الباز، يعربون فيها عن قلقهم الشديد من التغييرات التي كانت تتردد في الوسط الصحفي والتي سوف تطول مواقع الكثيرين، وأن المؤسسات الصحفية ستسلَّم للإداريين بدلًا من الصحفيين، وهو ما اعتبره الموقعون على الشكوى «إقلالًا من شأن الصحافة والصحفيين». وطالب أصحاب الرسالة بالتروي وإعادة النظر قبل إصدار أي تعديلات تمس هياكل الإدارة الصحفية.

ومن بين أوراقه المحفوظة رسالة مهمة بعث بها إليه صاحب صحيفة المنار اللبنانية عام 1992 يذكر فيها أن «المنار مدينة لأسامة الباز طول العمر» «فهي نبتة غرستها أنت، ونأمل الاعتناء بها».

وبالإضافة إلى متابعة شكاوى وهواجس وآراء الصحفيين حول مهنتهم وأوضاعها كان الدكتور الباز حريصًا على الاطلاع بين الحين والآخر على معدلات طبع وتوزيع الصحف القومية وصحف المعارضة. وفي أوراقه بعض الجداول التي تشير إلى متوسط أعداد الطبع والتوزيع لصحف المعارضة الرئيسية

في الشـهور الأخيرة في عام 1989، وفيها يتضح أن صحيفة (الوفد الأسبوعية) تـأتي في المقدمـة، يليهـا (الوفـد اليوميـة)، ثـم (اللـواء الإسـلامي)، فجريـدة (الشعب)، (فالأهالي)، (فالأحرار) ثم تأتي صحيفة النور في آخر الجدول.

مسائل القضاء والمظالم وإدارة العدالة والأمن

كانت أمتع لحظات العمل عند الدكتور أسامة الباز تلك التي يتعامل فيها مع مسـائل قانونية أو قضائية يحيلها إليه رئيس الجمهورية للنظر أو المتابعة، أو تلك التي تحملها رسـائل المواطنين ومظالمهم أو شـكاياتهم. ورغم أن الموقف المبدئي لأسـامة الباز والذي عرف عنه في أغلب الفترات هو عدم تدخل جهات الحكم والإدارة في أعـمال الجهـاز القضائـي أو التأثـير فيها إلا أنـه كان يضطر في بعض الحالات - وأمام بعض الظروف الاستثنائية التي تمر بها البلاد وتهدد استقرارها السياسي وسلامها الاجتماعي -إلى توظيف خلفيته القانونية المتخصصة وروابط الاحـترام التي يتبادلها مع رجـال القضاء والنيابة والمحامين وقيادات الأمن- في الالتقاء والتشـاور معهم في بعض الأمور ذات الحساسـية الخاصـة، مؤكدًا دائماً عـلى أن القـرار في النهاية معقود لهم، وأن مايفعله أو يقوله ليس إلا مسـاهمة منه بصفتـه رجـل قانون وقبـل أن يكون مسـئولًا سياسـيًّا في مكتـب الرئيس أو في الحزب الحاكم.

تصـدى الدكتور أسـامة الباز لصياغة مشروع بيان رئاسـة الجمهورية عقب الأحـداث التـي شـهدتها بعـض معسـكرات المجنديـن في الأمـن المركـزي إثر شـائعات عن مـد فترة تجنيدهم لسـنة رابعة. وتصـدى أيضًا للتنسـيق مع نادي قضـاة مصر وأعضـاء المجلس الأعـلى للقضـاء - في تنظيم مؤتمر عـن (القضاء

المصري ومتغيرات العصر).. والتمهيد لتسوية المشكلات العالقة بين نادي القضاة وبعض المؤسسات الرسمية.

كما تصدى في مرحلة لاحقة مع السيد وزير العدل والمستشار جلال عبدالحميد لبحث إمكانية صدور تشريع ينظم أعمال الكتابة والنشر حول موضوعات تتعلق بالقوات المسلحة، وفق القواعد والمبادئ الواردة في الدستور. وكان ذلك بمناسبة بعض المقالات التي نشرتها إحدى الصحف مما اعتبر خوضًا خطيرًا في مسائل دقيقة تمس أمن الوطن. وقد أثيرت في هذا الإطار فكرة إنشاء «نيابة خاصة بقضايا النشر».

ورغم بعض الانتقادات التي وجهها بعض قيادات نادي القضاة في الإسكندرية صيف عام 2005 إلى الدكتور الباز بسبب تقليله من أهمية التقرير الصادر عنهم حول نتائج الانتخابات التي أجريت في نفس العام إلا أنه ظل يحتفظ للمستشار محمود الخضيري وكافة قضاة مصر بما كان يحفظه لهم دائمًا من تقدير وإجلال.

وبين الحين والآخر كانت تعرض على الدكتور أسامة خطابات من جانب مواطنين مصريين يلتمسون الانتصاف لهم أو لذويهم في بعض ما يعتبرونه إجحافا بحقوقهم وحرياتهم (كالمنع من السفر) أو(التخطي في الترقية) أو(التعسف في رفض تمديد الإعارة إلى بلد عربي) أو (طلب العلاج بالخارج على نفقة الدولة) أو (الشكوى من أداء بعض المحافظين والوزراء واستغلالهم للمال العام) ومنها أيضًا ما كان يتلقاه من محامين كبار يكشفون عن حالات فساد صارخة لمسئولين حكوميين، أو يشكون فيها من (تعدد الجهات القضائية من محاكم عسكرية ومدعٍ اشتراكي ومحاكم جنائية ومحاكم أمن دولة مما يؤدي إلى تضارب في معايير العدالة وأحكام القضاء).

كذلك أحيلت إلى الدكتور أسامة الباز بعض التماسات بالعفو من العقوبة أو العزل السياسي المفروض على بعض الشخصيات المصرية والفلسطينية، وبعض هذه الالتماسات قدمتها جهات خارجية.

ويذكر الدكتور أسامة أنه أيد في عام 1984 طلبًا تقدم به المدعي العام الاشتراكي المستشار عبدالقادر أحمد علي إلى وزير الدولة للإعلام آنذاك - لاتخاذ اللازم نحو وقف النشر بكافة وسائل الإعلام لوقائع قضية انحرافات بعض العاملين بالبنوك وتجار العملة والتي كانت منظورة آنذاك أمام محكمة القيم.

هناك لدى الدكتور أسامة الباز أيضًا رسالة خطية في 23/ 7 / 1973 بعث بها السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية الأسبق وعضو مجلس قيادة الثورة السابق في مصر والتي تضمنت بعض آرائه وملاحظاته حول مسئولية الحفاظ على سجل ثورة يوليو 1952 والأحداث التي شهدتها مصر منذ ذلك التاريخ. وقام الدكتور الباز بإعداد مشروع رد مسهب على هذه الرسالة، وكذلك توجد رسالة أخرى من السيد أحمد عصمت السادات شقيق الرئيس الراحل محمد أنور السادات والتي يشكو فيها من تدهور أحواله وأحوال أسرته الصحية والإنسانية والمادية بعد صدور أحكام القضاء عليهم، ويعرب فيها عن أمله وأمل أسرته في شمول الرئيس لهم بالرعاية.

كذلك كانت هناك رسائل خطية أخرى عام 1990 من فضيلة المرحوم الشيخ محمد سيد طنطاوي مفتي الجمهورية في ذلك الوقت يقترح فيها أن تكون دار الإفتاء المصرية «هيئة مستقلة» وأن يكون المفتي بدرجة نائب رئيس وزراء وذلك حتى لا يقال بأن المفتي يسير في ركاب الوزير.. أو يقال إنه ليس من اختصاصاته الإفتاء في المسائل الاقتصادية العليا. ويبدو أن هذه الرسائل من جانب فضيلة المرحوم الشيخ طنطاوي جاءت على إثر بعض التصريحات التي

وردت على لسان أحد كبار المسئولين في الحكومة والتي آلمت فضيلته ورأى «أن يبث ألمه بين يدي سيادة الرئيس».

ومن أطرف الرسائل التي تلقاها الدكتور أسامة الباز رسالة بعث بها المواطن المصري محمد التابعي الدمياطي - صاحب محلات التابعي الشهيرة بأكلاتها الشعبية في القاهرة والتي يشكو فيها من «القرار الوزاري رقم 9 لسنة 1981 والذي حدد سعر ساندوتش الفول أو الطعمية مضافا إليه الصلصة والمخللات بمبلغ 25 مليمًا فقط». وتشرح الرسالة إجحاف هذه التسعيرة بمحلات كبيرة كالتابعي الدمياطي والتي اشتهرت -كما يقول صاحبها- «بنزع قشر الفول وتصفيته قبل تقديمه للزبائن والحرص على تقديم الطعمية مقلية في زيت غير محروق كما تفعل غالبية المحلات الأخرى، كما اشتهرت بنظافة المكان والطعام، وحسن معامله الزبائن والارتقاء المستمر بمستوى هذه الأكلة الشعبية بحيث أصبح هذا المحل عامل اجتذاب للسائحين من الإخوة العرب والأجانب». ثم يعرض صاحب المحل في رسالته المطولة حسابًا تفصيليًّا للتكلفه الفعلية لساندوتش الفول أو الطعمية موضحًا أنها تبلغ في الواقع 40 مليما... وبذلك تصبح التسعيرة الجديدة سببًا في خسارة المحل وإغلاقة وتصفية الخدمة أو التقليل من جودتها بوسائل تحايل عديدة.

وهناك رسالة أخرى لاتقل طرافة تلقاها الدكتور الباز في بدايات عام 1979 من السيد أحمد رضوان الذي وصف نفسه «بالمنوم المغناطيسي الروحاني» ورئيس قسم التوجيه القومي بوزارة التعليم سابقًا، والتي يشكو فيها من رفض بعض المسئولين في مجلس إدارة متحف محمد محمود خليل بالزمالك عرضه الشخصي بالمساعدة في التعرف على مكان لوحة (زهرة الخشخاش) التي سرقت من المتحف في ذلك الوقت، وقال إنه «تلقى رسالة من أحد ملوك الجن الذين يتعامل معهم يشير عليه بتحضير الخادم المختص بالسرقات والخبايا وبشرط أن يتم ذلك في مقر المتحف». ويذكر كاتب الرسالة أنه «قدم طلبًا بذلك إلى السيد سعد الدين

وهبة وكيل أول وزارة الثقافة الذي صرح له بذلك، إلا أن الأستاذ عبدالوهاب حمدي رئيس مجلس المتاحف رفض رغم أن الغرفة التي سرقت منها اللوحة فارغة تمامًا ويجري دهانها»، ويرجو كاتب الرسالة في ختامها من الدكتور أسامة الباز «التحدث مع المسئولين بوزارة الثقافة للتصريح له بإجراء جلسة التحضير في المتحف بعد صلاة العشاء يوم الإثنين أو الخميس ولمدة ساعة فقط».

ومن الأحداث التي كانت تشغل دائمًا ذهن أسامة الباز وتبعث لديه القلق تلك التي تتعلق بمواجهات تحدث بين طلاب الجامعات والحرس الجامعي، أو التي تتطور إلى اقتحام قوات الأمن المركزي لحرم الجامعات، كتلك التي حدثت في كلية الآداب التابعة لجامعة الإسكندرية والموجودة في دمنهور. وقد انتهز طلاب جامعة الإسكندرية مناسبة زيارة الدكتور الباز إلى نادي أعضاء هيئة التدريس بالجامعة وقدموا له عرائض موقعة من آلاف الطلبة والطالبات من كافة الكليات - يرجون فيها من السيد رئيس الجمهورية الإفراج الفوري عن كافة المعتقلين من الطلبة والطالبات والتحقيق في واقعة اقتحام قوات الأمن المركزي للحرم الجامعي وطريقة تعامل الأمن مع الطلاب في منازلهم والاعتداء على عائلاتهم. وقد تمكن الدكتور الباز بعد الاتصال بوزارة الداخلية من معالجة الموقف بهدوء.

وكانت هناك جلسات تتم بين حين وآخر بين الدكتور أسامة الباز والسيد وزير العدل، يتم فيها مراجعة أعداد القضايا القائمة وأنواعها وما تم حفظه منها، وما تم البت فيه بأحكام مختلفة. كما تضمنت بعض هذه اللقاءات التباحث حول دور وزارة العدل في تنفيذ الإعلانات الدولية الخاصة بمكافحة الفساد، وقيامها بصياغة مشروع دليل للتدابير العملية المطلوبة في هذا الشأن، وكان الدكتور الباز يشعر منذ فترة ليست قصيرة بفداحة أعمال الفساد والإفساد التي راحت تضرب بسمومها في أركان المجتمع، وبالحاجة إلى محاصرة هذه الظاهرة واستئصالها بواسطة ما يلزم من تشريعات وتدابير ضرورية.

الفصل الخامس

العرب والعروبة في فكر وعمل أسامة الباز

العمل السياسي في حياة أسامة الباز يعتبر رسالة وليس مجرد وظيفة أو مهنة، وعندما يكون هذا العمل متصلًا بالشأن العربي وعلاقات مصر العربية فهو إذ ذاك رسالة شبه مقدسة. وقد يمكن القول في اطمئنان بأن الإدارة المصرية لم تشهد في تاريخها المعاصر - وعلى الأخص بعد انتهاء الحقبة الناصرية- شخصية سياسية تعاملت وعيًا وسعيًا وصدقًا مع القضايا العربية وآمنت عن يقين بأن عروبة مصر قدر ومصلحة في آن واحد بمثل ما عُرف عن الدكتور أسامة الباز.

صحيح أن هناك إضافات نوعية أسهمت بها الزعامات المصرية اللاحقة بعد عبدالناصر في تطوير أسس وقواعد العمل العربي المشترك وفي تفتيح فرص وآفاق واختيارات جديدة أمامه، وفي تأكيد مكانة مصر في العالم العربي ومواقفها الداعمة له... وصحيح أيضًا أن هناك شخصيات مصرية علمية وأدبية قدمت إسهاماتها في إعادة تأصيل الفكر القومي العربي، والتنظير للعلاقة بين الدولة الوطنية والدولة القومية، وفي التمهيد لإعادة تشكيل النظام الإقليمي العربي وفق مفاهيم ومعايير حديثة تأخذ في الاعتبار مستجدات الزمان والمتغيرات الإقليمية والعالمية المحيطة.. إلا أنهم جميعًا -وبلا استثناء- راحوا في توقيتات ومناسبات مختلفة يراجعون بعض هذه الرؤى والمواقف ويعيدون النظر إلى

العـرب والعلاقـة معهـم، وكان لبعضهـم أحيانًا ردود فعل غاضبـة خاصة بعد ما عايشـوه وما شـهدوا عليـه من أزمات وخلافـات عربية بلغت حـد الاقتتال بين الأشـقاء والعدوان على أراضي الغير، وتدبير المؤامـرات، وقطع العلاقات، وتبـادل الاتهامـات والملاسـنات في الخطابـات الرسـمية وعلى منابـر الإعلام. أما أسامة الباز فقد ظل على يقينه الثابت بأن ما تشهده العلاقات العربية العربية عمومًا والعلاقات المصرية العربية على وجه الخصوص من أعطال أو مشكلات وما يشـهده شـعار القومية العربيـة ذاته من انزواء وانكسـار ليـس إلا إفرازات عارضة لسياسات أو انفعالات مؤقتة ترجع في معظمها إلى معالجات شخصانية من جانب بعض النخب الحاكمة أو إلى مؤامرات خارجية تستهدف الوقيعة بين الأشـقاء العرب. أما جوهر المصالح الاسـتراتيجية للجماهير العربية وتوجهاتها الفطريـة نحـو التكامل والتعـاون والوحدة فيظل هو الأسـاس الثابت والرهان الأصيـل الـذي ينبغـي أن ينطلـق منـه كل عمـل عربي عـلى المسـتويات الفردية أو القطرية أو المستويات الجماعية.

عروبي... حتى في أصعب الأوقات

وحتى في أحلك وأحرج المواقف التي تعرضت لها مصر من جانب أشـقائها العرب سـواء مع السوريين في أعقاب الانفصال عام 1961، أو مع السعوديين بعـد ثـورة اليمن، أو مع الثوار الليبيين في أواخر السـبعينيات، وحتى بعد تعليق عضويـة مـصر بالجامعـة العربيـة في مؤتمـر بغداد عـام 1979، وتوتـر علاقات القاهرة مع الفلسـطينيين مرة ومع النظام السـوداني مرة أخرى ومع كل من قطر والجزائـر في مراحـل متأخرة... ظل أسـامة الباز في كل هـذه المواقف والمراحل الدقيقـة محتفظًا لمصر «بشـعرة معاويـة» في علاقاتها العربية، واسـتخدم- بدهاء الخبـير ومهـارة الطبيب وإخلاص الشـقيق -قنـوات وآليات خلفيـة- وأحيانًا

شخصية – لرأب الصدوع وتضميد الجراح سعيًا نحو إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح في الوقت المناسب.

شارك الدكتور أسامة الباز ابتداء من 1982 في إعادة توجيه سياسة مصر العربيه نحو مزيد من التقارب والتفاعل العقلاني المحسوب، وفي التعامل مع إسرائيل بقدر أكبر من الندية والحسم مع الحفاظ دائمًا على الالتزامات القانونية الواردة في اتفاقات السلام الموقعة. وقد تبدى ذلك في عدة مواقف منهاعلى سبيل المثال :

- إعلان مصر استنكارها للاجتياح الإسرائيلي للبنان وضرب المخيمات الفلسطينية في صبرا وشاتيلا ثم سحب السفير المصري في تل أبيب في 19/ 9/ 1981 احتجاجًا على هذا العدوان.
- الرسائل التي تلقاها الدكتور أسامة الباز من السيد وليد جنبلاط وعدة قيادات لبنانية وفلسطينية أخرى أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان والتي أعقبها قرار مصر بتوفير حماية القوات المسلحة المصرية لقوات الثورة الفلسطينية أثناء خروجها من طرابلس وتأمين السلامة الشخصية للزعيم الفلسطيني ياسر عرفات.
- التحضير لزيارات يقوم بها الرئيس مبارك إلى المملكة العربية السعودية وعدد آخر من الدول العربية، وما أعقب ذلك من اتصالات أجراها الدكتور الباز مع السفير عبدالرحمن أبو الخير السفير السعودي السابق بالقاهرة، ومع السيد كمال أدهم مسئول المخابرات السعودية في ذلك الوقت وسمو الأمير سلمان.
- اتخاذ قرار مصري بقطع العلاقات الدبلوماسية مع كوستاريكا والسلفادور على أثر قرارهما بنقل سفارتيهما إلى القدس، وتهديد مصر بقطع علاقاتها مع أية دولة تتخذ هذا الموقف.

- تجميد مصر لمفاوضاتها مع الجانب الإسرائيلي حول موضوع الحكم الذاتي.
- ترحيب مصر بقرارات قمة فاس العربية والتنسيق مع الجانب السعودي والفلسطيني بشأن مبادرة الأمير فهد (ولي عهد السعودية في ذلك الوقت) والتي تمهد الطريق أمام تعامل الدول العربية مع إسرائيل من منطلقات متماثلة مع المنطلقات المصرية في مساعيها التفاوضية التي تمت في كامب ديفيد.
- استقبال مصر للزعيم الفلسطيني ياسر عرفات بعد انقطاع طويل، وصدور قرارات من المجلس الوطني الفلسطيني، ومن اتحاد الحقوقيين الفلسطينيين بالترحيب بهذه الخطوة واعتبارها منطلقًا لاستعادة العلاقات الرسمية بين المنظمة ومصر.

وتشير بعض الأوراق الشخصية المحفوظة لدى الدكتور الباز إلى مضمون لقاء تم بينه وبين الدكتور أحمد صدقي الدجاني ظهر الجمعة 8 يناير 1982 والذي نقل فيه الأخير عن الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات أنه(لم يفقد إيمانه بمصر وشعبها وجيشها في أي ظرف، ولم يهتز هذا الإيمان حتى في أسوأ الأيام التي مرت بها العلاقات المصرية العربية).

وهناك رسائل أخرى من الدكتور فيكتور الكيك رئيس مجلس التحرير والمشرف العام على مجلة(حاليات)اللبنانية تحمل نفس معاني (التحية والتقدير لفكر سعادة الدكتور أسامة الباز ومواقفه من قضايا العرب.. ولا سيما لبنان.. والإنسان)، ومن الأستاذ عبدالهادي البكار (سوري) الذي أهدى إلى الدكتور الباز كتابه المعنون (المأزق: مصر والعرب الآخرون) وقد ذيل الأستاذ البكار إهداءه بتبيان للصفحات التي ورد فيها الحديث داخل الكتاب عن السيد الرئيس محمد حسني مبارك ومواقفه العربية الأصيلة.

كذلـك، ورغم انتقـال مقر جامعة الـدول العربية من القاهـرة إلى تونس في أعقـاب كامب ديفيـد وقرارات مؤتمر بغـداد فإنَّ عددًا من القيـادات العاملة في بعـض المنظمات العربية واصل اتصالاته مع مصر من خلال الدكتور الباز، ومن بين هؤلاء الدكتور محيي الدين صابر الأمين العام للمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلـوم الـذي أعرب في رسـالة موجهة إليه من تونـس في 20 / 12 / 1988 عـن اعتزازه بالدور الكبير الذي يقوم به الدكتور الباز في دعم العلاقات الثقافية العربيـة ودعم علاقـات العرب مع القارة الإفريقية. كما تلقـى أيضًا من الدكتور عبدالعزيـز التويجري الأمين العام للمنظمة الإسـلامية للتربية والعلوم والثقافة (سعودي)رسائل ومؤلفات مهداة تحمل معاني التقدير لفكره ومواقفه.

وهناك رسـالة أخرى من الأسـتاذ محمد عروق المدير السابق لإذاعة صوت العـرب ينقل فيها مضمون لقـاء تم بينه وبين بعض قيادات الثـورة الليبية، وفيه تقديـر كبير لموقف الرئيس حسـني مبـارك، وإدراكهم للصعوبـات التي يتحرك وسـطها في بداية عهده للرئاسـة، وثقتهم في توجهاته الوطنية والقومية الشريفة، واستعداد القيادة الليبية لتقديم كل ما يطلبه من عون وبكل الوسائل الممكنة.

الباز ... والعلاقات مع ليبيا

لعـب الدكتـور أسـامة البـاز دورًا هامًّـا في ضبـط إيقـاع العلاقـات المصرية الليبية على مدار سـنوات الثورة في ليبيا وحتـى منتصف العقد الأول من الألفية الثالثة، كما قام بأدوار أساسية –وربما تكون تاريخية– في معاونة الليبيين من أجل الخروج بأقل خسائر ممكنة في المواجهات السياسية الحادة والقضايا القانونية التي أحاطتهم بها عده قوى أمريكية وأوروبية.

ورغـم أن عديـدًا من ملفات تلك العلاقات الثنائيـة المباشرة ظلت في حوزة أجهزة الأمن المصرية ولم تتح للدكتور الباز فرصة الاشتباك معها أو التصدي لها،

فإنه كان يلحظ آثارها بوضوح في شكوك الجانب الليبي حين يبحث معه القضايا الإقليميـة والدولية المتعلقة بالـصراع العربي الإسرائيلي، والقضية الفلسـطينية، ومسـائل التطبيع، ومشكلات الحظر الدولي المحيطة بليبيا جراء اتهامها في أعمال إرهابية وتخريبية خارج الحدود.

كانـت شـكوك الجانـب الليبي مـن المواقف المصريـة إزاء «واحـة جغبوب» عـلى الحـدود المشـتركة، وإزاء «مـشروع التوطـين»، و«صفقـة شركـة ميدور»، وإزاء مشـكلة الوديعـة الماليـة الليبية المقدمة لمصر منذ عـام 1973 وإزاء معاملة السـلطات المصرية لبقايا عائلة الملك السـنوسي المقيمين في مصر، تسبب أعطالًا عديدة أمام عملية إقناع الليبيين باتخاذ مواقف وإجراءات معينة تسهم في تدعيم عمليـة السـلام التي تقودها مصر في إطـار الصراع العـربي الإسرائيلي، كما أدت معالجات الصحافة المصرية للأحداث الليبية واللغة السـاخرة التي اسـتخدمتها بعـض تلك الصحـف في التعليق على أقـوال وتصرفات القـذافي إلى خلق مزيد مـن الهواجـس لدى القيادة الليبية حـول أبعاد الدور المصري ومـدى إيجابيته في التوسط بين القوى الغربية وليبيا من أجل تسوية قضايا لوكربي والحصار الدولي المفـروض مـن مجلس الأمن. وقـد زاد من وتـيرة وعمق هذه الهواجـس ما كان يلاقيه الليبيون من أعطال ومشـكلات في إدارة اسـتثماراتهم المالية في مصر، وما كان يلاقيـه العقيد القذافي شـخصيًا من تردد الجانب المصري وفتور الاسـتجابة لطلباتـه لزيـارة بعض المحافظات والمـدن المصرية ومنع التقائه مع جموع شـعبية وطلابيـة مصرية. ومما يذكر في هذا الصدد أن العقيد القذافي أبدى امتعاضًا إزاء امتناع القاهرة عن تلبية طلبه بالحضور إلى مصر والمشـاركة في استقبال توني بلير رئيس الحكومة البريطانية بمناسبة الاحتفال بذكرى شهداء الحرب العالمية الثانية في منطقة العلمين.

ورغم كل هذه الهواجس والشكوك المطلة من واقع ملفات العلاقات الثنائية فإن الدكتور الباز تمكن من إحداث بعض التطوير في المواقف الليبية إزاء القضية

الفلسطينية، ونجح في معالجة بعض حالات التدهور التي أصابت العلاقة بين القيادة الليبية والقيادة الفلسطينية في بعض المراحل، كما نجح في مرحلة متأخرة في تخفيف حدة التوترات الناشبة بين ليبيا وبعض دول الخليج العربية.

وتشير أجندات العمل والأوراق المحفوظة بالأرشيف الخاص بالدكتور أسامة الباز إلى أن قضايا النزاع بين ليبيا وكلٍّ من الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا قد شغلت خلال عقد التسعينيات حيزًا كبيرًا من الاتصالات المصرية الليبية، وكذلك من اتصالات مصر بالأطراف الدولية، وذلك بسبب اتهام ليبيا بالمسئولية عن حادث تفجير الطائرة الأمريكية «بان ام» فوق قرية لوكربي بإسكتلاندا عام 1988، ثم اتهامها أيضًا في حادث سقوط الطائرة الفرنسية UTA فوق سماء النيجر، وما ترتب على كلٍّ من هذه الاتهامات الغربية والمعارضة الليبية الشديدة لها من عقوبات دولية حادة فُرضت على ليبيا بقرارات من مجلس الأمن مما أثر على أحوالها الاقتصادية وعزلتها الدبلوماسية.

ورغم شعور الدكتور الباز شخصيًا بأن الأطراف الغربية كانت تميل في تصرفاتها إلى تسييس تلك القضايا على حساب الجانب الجنائي والقانوني فيها، وربما كان ذلك في إطار الرد على خطوات الثورة الليبية بإلغاء القواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية، وتأميم شركات البترول، ودعم ليبيا للجيش الجمهوري الأيرلندي، ومشكلة خليج سرت، وإيواء بعض فصائل الفدائيين الفلسطينيين- فإن هذا الشعور الداخلي لدى الدكتور أسامة الباز لم ينسه حقائق القوى في العالم المعاصر، وضرورة التعامل مع الظروف والضغوط تعاملًا عقلانيًا ورشيدًا، وبما يقلل بقدر الإمكان خسائر الجانب الليبي في هذه المواجهات- وهي خسائر لم تكن لتطال ليبيا وحدها بل وغيرها من الدول المجاورة لها.

حاولت مصر أولًا من خلال الدكتور أسامة الباز وعدد من الخبراء القانونيين - إقناع الأطراف الغربية المطالبة بتسليم المواطنَيْنِ الليبيين المشتبه فيهما

لمحاكمتهما خارج ليبيا بعدم توافر الأسس القانونية الكافية لهذا الطلب حيث لايوجد بين الأطراف اتفاقيات لتسليم المتهمين، وأن الأصل في مبادئ القانون الدولي ألا تسلم الدولة رعاياها. وحين أصرت الدول الغربية على مطالبها وألمحت - من خلال مبعوثين رسميين -بأنها تتوقع من مصر تعاونًا أفضل أو عدم التصدي للأمر، استمرت مصر في مساعيها للحصول على ضمانات وتعهدات أمريكية وبريطانية تكفل رفع العقوبات الدولية المفروضة على ليبيا بمجرد تسليم المتهمين، وبألا يتم ربط رفع العقوبات بأي شرط أو ظرف يتعلق ببدء إجراءات التحقيق أو التوصل إلى نتائج أو بدء المحاكمة أو نتائج المحاكمة. كما قدم الدكتور نبيل العربي - وهو أحد كبار السفراء القانونيين بالخارجية المصرية آنذاك عناصر إضافية إلى الدكتور أسامة الباز كانت تتعلق بضمانات إضافية مطلوبة عند إجراء المحاكمة.

والملاحظ بصفة عامة أن كثيرًا من الاتصالات البريطانية والأمريكية مع الجانب الليبي حول هذا الموضوع كانت تتم في مصر، كما حرص السفراء الأمريكيون والبريطانيون في القاهرة ونيويورك على إمداد الدكتور الباز بصور من المذكرات الرسمية وقواعد الإجراءات الجنائية المطبقة في إسكتلاندا، وبنسخ مبكرة من مشروعات القرارات التي تعتزم طرحها على مجلس الأمن.

ورغم كل الجهود المخلصة التي قدمتها مصر من خلال الدكتور الباز ومن خلال زملائه القانونيين بوزارة الخارجية وكبار المحامين المصريين فإن بعض العناصر في الجانب الليبي أظهرت في بعض المراحل شكوكها حول الدور المصري، وحاولت الاستنجاد بعناصر إفريقية وأجنبية أخرى. وكان مما يؤلم المصريين في هذا الأمر عدم إدراك تلك العناصر الليبية أن الانعكاسات السلبية للعقوبات الدولية تطال مصر واقتصادها وتجارتها ومصالح أبنائها العاملين في ليبيا بقدر ما تطال الليبيين أنفسهم، وأن مصلحة البلدين واحدة في ضرورة التصدي بعقلانية وواقعية للضغوط الدولية الشرسة. وكان الدكتور

إبراهيم الغويل - كبير المحامين الليبيين في تلك القضايا - من أكثر الشخصيات الليبية إنصافًا وتقديرًا للدور المصري والاعتبارات المختلفة التي تحكمه، حيث ذكر في أحد تصريحاته عام 2002 أنه (لولا الجهود المصرية المخلصة والمشورة القانونية والفنية التي قدمتها مصر قيادة وشعبًا ومن خلال خبرائها ودبلوماسييها لكانت ليبيا قد تعرضت لما هو أسوأ).

كان الدكتور الباز القاسم المشترك في كل الوفود المصرية التي صاحبت الرئيس مبارك عند زياراته للجماهيرية الليبية والتي بلغ عددها خلال الفترة من عام 2000 حتى عام 2005 حوالي تسع زيارات. كذلك قام الدكتور الباز بعدة مهام عاجلة أخرى منفردًا أو في معية السيد صفوت الشريف وزير الإعلام المصري السابق أو في معية اللواء عمر سليمان رئيس المخابرات المصرية. وكان أسلوب الدكتور الباز في مخاطبة القائد الليبي ورفقائه الذين يحضرون تلك اللقاءات أسلوبًا مباشرًا وصريحًا وأحيانًا حادًّا، لكن القيادة الليبية كانت تدرك أن هذا الأسلوب ينم عن صدق المشاعر والحرص على المصالح الليبية تمامًا كحرصه على مصالح مصر.

وأذكر حين كنت سفيرًا لمصر في طرابلس استدعاء العقيد القذافي لي في أوائل عام 2003 لمقابلته في باب العزيزية - مقر القيادة الليبية - حيث طلب مني السفر إلى القاهرة لنقل رسالة هامة إلى الرئيس محمد حسني مبارك، وطلب مني أن يكون هذا النقل من خلال الدكتور أسامة الباز شخصيًّا وليس من خلال أي طرف آخر، وحين أبلغته بأن واجبي ومقتضيات انتقالي إلى القاهرة تستلزم أولًا إبلاغ وزير الخارجية والحصول على إذنه لي بمغادرة السفارة... وجدت العقيد معمر القذافي متململًا بعض الشيء ولكنه عاد فأوضح أن ما يعنيه في المقام الأول هو سرعة وصول الرسالة إلى الرئيس، وأنه يترك لي اتخاذ ما يلزم لذلك من خطوات. وقد قمت بالفعل بإنجاز المطلوب في القاهرة، وحصلت من الدكتور أسامة الباز على الرد الشفوي الذي نقلته بدوري إلى القيادة الليبية

عنـد عودتي إلى طرابلس. وقد أكدت لي ملابســات تلـك الواقعة المكانة الخاصة التي يتمتع بها الدكتور أسامة الباز لدى العقيد معمر القذافي، وهو ما تأكد أيضًا في أكثر من مناسبة أخرى أبدت خلالها القيادة الليبية رغبتها في استضافة الدكتور الباز بليبيا لإلقاء محاضرات والمشـاركة بصفته الشـخصية في لقاءات ومؤتمرات حول الفكر القومي العربي وتحدياته، ومسـتقبل الأمة العربية، إلا أن الشـواغل العديدة للدكتور أسامة الباز حالت دون تلبية هذه الدعوات.

أسامة الباز والقضية الفلسطينية

عُرف الدكتور أسـامة الباز في الأوسـاط المصرية والعربية وربما الدولية أيضًا بأنـه أكثر الشـخصياتَ المسـئولة في مـصر معرفة بتفاصيـل القضية الفلسـطينية وتطوراتهـا وأبعادها السياسـية والقانونية والإنسـانية، وأقربها فهـمًا وتفاهمًا مع قيادات الشعب الفلسطيني بمختلف فصائلها وانتماءاتها الأيديولوجية والحزبية. وفوق ذلك فهو يعتبر – من جانب الفلسطينيين أنفسهم – أكثر المسئولين العرب صدقًا ومثابرة في الدفاع عن حقوقهم العادلة بكل ما أوتي من علم وخبرة وقدرة على التفاوض والحوار والإقناع والضغط.

ويرى بعض الدبلوماسيين الأمريكيين الذين شاركوا في مفاوضات (الحكم الـذاتي) التـي جرت قبل وبعـد اتفاقـات كامب ديفيد أن أسـامة البـاز كان من أكثـر أعضاء الوفود المصرية والعربية تشـددًا في الدفاع عن حق الفلسـطينيين في تقرير مصيرهم، وتمسـك لمدة أحد عشريومًـا في المباحثات التي جرت بين مصر وإسرائيـل والولايـات المتحدة حول الاتفاق الإطاري للسـلام بالنص على هذا «الحـق»– مـن حيث المبدأ– في الوثائـق المتبادلـة، وكاد إصراره يغلق الباب أمام تمرير كل الاتفاقات الأخرى.

يقـول أسـامة الباز في إحدى مخطوطاتـه اليدوية «كانت صيغـة إقامة الكيان الفلسـطيني في الضفـة الغربيـة وغـزة على مراحل هي الفلسـفة التـي تغلبت في كامب ديفيد.. ولا شـك أننا كنا نفضل أن يتم التوصل إلى صيغة تحقق للشـعب الفلسطيني درجة أعلى من اليقين بأنه سوف يمارس حقه المشروع في تقرير المصير في تاريـخ محـدد.. وقد قضينا أحد عشر يومًا نتفاوض حـول تلك النقطة خاصة مع الجانب الأمريكي، إلا أن من حقائق هذا العالم الذي نعيش فيه أن هناك فرقًا بين الحل الأمثل والحل المتاح، والسياسـة كما يقولـون هي فن الممكن، ونحن لا يصح أن نضيع الممكن سـعيًا وراء المستحيل». ويستطرد فيقول: «المقطوع به أن الصيغـة التـي توصلنـا إليها بعد ثلاثة عـشر يومًا من الجدل المضنـي حول البدء بحكم ذاتي كامل full autonomy ولفترة انتقالية- تعتبر أفضل بكثير من الصيغ الأولى التـي طرحهـا الجانب الإسرائيلي تحت اسـم self rule والتي كانت تجعل صلاحيات السـلطة الفلسـطينية قاصرة على الإدارة التي هـي أقرب إلى الإدارة المحليـة أو البلدية. أما صلاحيـات الحكم الذاتي التي توصلنا إليها فهي تشـمل أمورًا واسـعة من بينها سـن القوانين وفـرض وجباية الضرائـب، والحفاظ على الأمن والنظام، وتنظيم النشـاط الاقتصادي والتجاري، والتصرف في الأراضي العامة غير المملوكة للأفراد، والتصرف في المياه، وإدارة العدالة، وتنظيم القضاء والتعليم والسجلات المدنية وغير ذلك».

ويؤكـد أسـامة البـاز في مواضـع أخـرى أن هـدف (إقامـة دولة فلسـطينية مسـتقلة) لا يعتبر فقـط هدفًا مشروعًا بـل هو حتمية تاريخيـة، ومصلحة لجميع الأطـراف، ولا توجـد قوة على ظهر الأرض تسـتطيع أن تقف ضد هذه الحتمية التاريخية، ولكن الضرورات العملية والأوضاع القائمة تجعل من الصعب إقامة هـذه الدولـة مرة واحدة دون تمهيد. ويسـتطرد فيقول: إن الشـعب الفلسـطيني يسـتطيع من خلال حسـن تسـييره للأمـور في مرحلـة الحكم الـذاتي الكامل أن يطمئـن المجتمع الدولي عمومًا والمجتمع الإسرائيـلي خصوصًا على توافر النوايا

والقدرات المؤهلة لإقامة دولته المستقلة، وإذا استمرت بعض العوامل المتشابكة التي تجعل الإسرائيليين يتخوفون من فكرة الاستقلال التام للدولة الفلسطينية.. فإن القيادات الفلسطينية الحكيمة تستطيع تصحيح هذا الوضع باتخاذ ما يلزم من قرارات أو إجراءات. وهذا في نظر الدكتور الباز (واجب قومي إذا كنا نسلم بأن المقصود من الكفاح هو التوصل إلى نتائج معينة وليس مجرد تسجيل المواقف أو رفع الشعارات).

وفي مواضع أخرى من مخطوطاته اليدوية يبدي الدكتور الباز اعتقاده بأن عددًا من حكام إسرائيل أساءوا التقدير في عدة مراحل ومواقف؛ فقد ظن بعضهم في مرحلة مبكرة بعد إعلان قيام دولة إسرائيل أن مشكلاتهم مع الفلسطينيين داخل الخط الأخضر وخارجه يمكن التغلب عليها إما بالإغراءات المادية والمنح وتحسين أوضاع اللاجئين أو بتشغيل الفلسطينيين في المصانع والمزارع الإسرائيلية أو من خلال القمع والبطش والإجراءات العسكرية، لكنهم أدركوا فيما بعد أن للشعب الفلسطيني روحًا متحررة وطموحات سياسية ووطنية وقومية، وأن له قدرة على المقاومة والفعل الميداني الثوري العنيف. وحين اعترف العالم ممثلًا في الأمم المتحدة بالأبعاد السياسية والحقوقية للشعب الفلسطيني وبأن قضيته ليست فقط قضية إنسانية تخص اللاجئين، وحصلت منظمة التحرير الفلسطينية على شرعية تمثيلها للشعب الفلسطيني.. أخطأ الإسرائيليون أيضًا في تقدير هذا التطور التاريخي المهم وأصروا على تجاهل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في حكم نفسه بنفسه. وحتى حين بدأ بعض الحكام الإسرائيليين بعد حرب أكتوبر 1973 في مغازلة مصر بأحاديث السلام ظن البعض منهم أن مصر يمكن أن تقبل هذا السلام بالشروط الإسرائيلية، أو أنها يمكن أن تقبل حلًّا منفردًا تنجو بنفسها فيه، وتغض الطرف عن حقوق الأشقاء العرب. وحين واجهتهم مصر في عقر دارهم بأن السلام المقبول عندها هو السلام الشامل والعادل والدائم لمصر والفلسطينيين وباقي الدول العربية، وأن التعايش بين

الإسرائيليين والعرب يبدأ بالتعايش بينهم وبين الشعب الفلسطيني على أسس سليمة بعيدة عن الاحتلال والقمع... ظن الإسرائيليون أن حديثنا هذا ليس إلا ورقة توت تستر بها مصر سعيها نحو حل منفرد. «وحين واجههم المفاوض المصري بإصراره على حل شامل وحقيقي جزعوا وثاروا وأخذوا يملئون الدنيا صراخًا وعويلًا زاعمين أن هناك تصعيدًا أو تشددًا في الطلبات المصرية». ويقول د. أسامة الباز: «إن الإسرائيليين يخطئون الآن مرة أخرى حين يظنون أن مرحلة الحكم الذاتي للفلسطينيين التي تم الاتفاق عليها وتنفيذها في كامب ديفيد وأوسلو وميناهاوس والإسماعيلية كمرحلة انتقالية يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية.. وها هم يواجهون الآن المطلب المتصاعد فلسطينيًا وعربيًا وعالميًا بإقامة الدولة المستقلة للفلسطينيين، ولكنهم مستمرون في تقديراتهم المخطئة في فهم حركة التاريخ وفي فهم دوافع التحرر لدى الشعوب.

وإلى جانب الرؤية التاريخية والسياسية التي ينظر بها الدكتور أسامة الباز إلى القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني، والتي تجعل لديه ثقة وطيدة في حصوله على الاستقلال التام وإقامة دولته ولو بعد حين، يتمتع الدكتور الباز بقدرة فائقة في فهم شخصية المواطن الفلسطيني وتركيبتها المعقدة التي تجمع بين الموروث الثقافي العروبي وانعكاسات الحياة اليومية الضاغطة في ظل الاحتلال، والمقارنة بين الوضع الفلسطيني والأوضاع في مناطق العالم الأخرى العربية والأجنبية، فضلًا عن تطلعات الأجيال الفلسطينية الجديدة إلى الحداثة والعصرنة والتمتع بصفات المواطن العالمي. ويرى الدكتور الباز أن الإفرازات والمظاهر السلوكية لهذه الشخصية الفلسطينية المركبة تتنوع وتتعدد ولا يصح الحكم عليها جميعًا بأحكام مطلقة أو دائمة. بل إن شخصية الفرد الفلسطيني الواحد يمكن أن تمر بعدة مراحل حسب الظروف المحيطة وتجدد الاحتياجات، كما أنها قد تختلف في الإطارات الفردية عنها في الإطارات الجماعية. ومع ذلك تظل هناك في أعماق الشخصية لدى كل فرد فلسطيني عقدة نفسية تدور حول

الإحساس بالظلم أو الاغتراب سواء كان الشخص داخل الوطن أو خارجه، وسواء كان ينتمي إلى هذه العشيرة أو تلك العائلة. وقد أدرك أسامة الباز -منذ سنوات دراسته العليا في الولايات المتحدة الأمريكية ومخالطته هناك للمئات من المهاجرين الفلسطينيين- أن هذا الإحساس بالاغتراب الذي يصاحب الفلسطيني أيًا كان عمره أو مكان إقامته، وأيًا كانت انتماءاته العشائرية أو درجة ثقافته - يولد لدى أغلب الفلسطينيين قدرات وملكات خاصة في الإبداع والتحصيل، كما يؤدي أيضًا لدى البعض إلى تنمية روح التحدي والشك فيما حوله ومن حوله، وقد يؤدي أيضًا إلى التطرف في النظرة والعنف في السلوك. وكان الدكتور الباز يرى أن أغلب أخطاء السياسات العربية وما حدث وما يحدث من أعطال في علاقات بعض الأطراف العربية مع الفلسطينيين - ترجع إلى عدم التفهم الكافي لأبعاد الشخصية الفلسطينية وتركيبتها المعقدة. فضلًا عن الأسباب الموضوعية والظرفية الأخرى التي تحيط بكل حالة أو موقف.

كان للدكتور أسامة الباز على مدار الخمسين عامًا الماضية - صلاتٌ قوية مع العديد من الشخصيات والقيادات الفلسطينية، سواء العاملة في الحقل السياسي والنضالي أو التي تنشط في مجالات البحث العلمي والكتابة والإبداع الأدبي والفني. وكان يعتز اعتزازًا خاصًا بالصلات الشخصية القوية وصلات العمل التي جمعته بالمناضلين الفلسطينيين أمثال أحمد الشقيري، وياسر عرفات، وكمال عدوان، وسعيد الحسن، وهاني الحسن، وأبو إياد، وعبدالعزيز الرنتيسي، ومحمود الزهار، وأبو نضال، وفاروق قدومي، وأحمد قريع، ومحمد صبيح، وسعيد كمال، وزهدي الطرزي، وفيصل الحسيني، وحنان عشراوي، ونبيل شعث، وصائب عريقات، وياسر عبد ربه، وفتحي عرفات، وإسماعيل الرجوب، ومحمد دحلان، ونبيل عمرو، ونبيل الرملاوي وحرمه السيدة لطيفة الرملاوي. كما كان يعتز اعتزازًا خاصًا بصداقته الوطيدة مع المفكرين والمؤرخين والعلماء والمبدعين الفلسطينيين أمثال أحمد صدقي الدجاني، والدكتور إدوارد سعيد، والدكتور

وليد الخالدي، ومريد البرغوثي، والسيدة سلمى خضرا، والشعراء سميح القاسم، ومحمود درويش. وقد احتفظ بكثير من الرسائل الشخصية والمحررات المكتوبة بخط يد العديد من هذه الشخصيات الفلسطينية والتي يتناول بعضها معلومات وتقديرات وطلبات تتعلق بالأوضاع الفلسطينية والعربية، ويعكس بعضها الآخر مشاعر الصداقة واللفتات الأخوية في بعض مواقف المرض والحزن والفرح والسفر وعند العودة.

وقد لاحظ المقربون من الدكتور الباز مدى تأثره الشديد بالظروف التي مرت بالزعيم الفلسطيني التاريخي ياسر عرفات في أيامه الأخيرة، ويقال إنه امتنع عن الطعام والشراب لفترة طويلة بعد وفاته حزنًا عليه.

دور الباز في متابعة العلاقات المصرية الخليجية

تشير جداول الزيارات واللقاءات التي كان الدكتور الباز يقوم بها إلى دول الخليج العربي طوال فترة الثمانينيات -منفردًا أو برفقة رئيس الجمهورية أو وزير الخارجية- إلى تركز الاهتمامات السياسية في تلك الفترة جغرافيًا على محور «الرياض» و«مسقط» واتساعها في النواحي الاقتصادية ومسائل الاستثمار لتشمل جميع الدول العربية الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي. وكانت الزيارات المصرية العديدة إلى سلطنة عمان تعني - من وجهة نظر الدكتور الباز- تقديرًا من مصر لموقف السلطنة الذي حافظ على العلاقات مع مصر في فترات المقاطعة العربية الشاملة لها في أعقاب إبرام معاهدة السلام مع إسرائيل، فضلًا عن السعي الإيجابي الذي لعبه السلطان قابوس ووزيره النشط السيد يوسف العلوي من أجل تخفيف آثار تلك القطيعة والسعي لإنهائها في أقرب وقت ممكن، هذا بالطبع إلى جانب سبب آخر يتعلق بموقع «عمان» الواقع في

طريـق التواصل المصري مع كل من الصين واليابان، وهي المقاصد التي قصدتها الدبلوماسية المصرية بنشاط ملحوظ في فترة الثمانينيات.

كانـت مصر تتابع مع السـعودية وعمان وعدد من الـدول الخليجية الأخرى تطـورات الحرب العراقية الإيرانية التي اسـتمرت قرابة تسـع سـنوات، وكانت مصر مع تلك الأطراف تسعى إلى دعم للعراق في تلك الحرب.. باعتبار العراق البوابـة الشرقيـة للوطن العربي في مواجهة المد الإيراني التوسـعي الذي يحمل في طياته أبعاد ثأر قديم بين الحضارة الإيرانية الفارسية والحضارة العربية.

وحين اتخذت سوريا موقفًا مناهضًا للعراق ومؤيدًا لإيران في تلك الحرب - مـن خلال إغـلاق الحدود السـورية العراقية ووقف ضخ البـترول العراقي عبر الأراضي السـورية، والسـماح للسلاح السـوفيتي بالمرور إلي إيران عبر الأراضي السـورية- ثارت بعـض الخلافات داخل مجلس التعـاون الخليجي حول طريقة التعامل مع دمشق، وذهبت الكويت إلى حد المطالبة بقطع الدعم الخليجي المقرر لسـوريا بينما اعترضت السـعودية على أسـاس أن هذا الدعم تقرر في قمة عربية ولابد من إثارته في قمة عربية شـاملة أخرى.وفي نفس هذه الاجتماعات اتفقت دول الخليـج على العمل من أجـل تطوير وتطبيع العلاقات مع مصر، ولو بصفة غـير رسـمية، وقرروا الإيعاز للبنـوك الخليجية لتقديم قروض ومسـاعدات إلى مصر، وتجميد مقررات بغداد والتدرج في إعادة العلاقات مع القاهرة.

وتواصلت اللقاءات بين مصر وعواصم الدول الخليجية على عدة مستويات. وكان مـن بينهـا زيارات قام بهـا الدكتور الباز إلى قطر في شـهر سـبتمبر 1988 وزيـارات قام بهـا الرئيس مبارك -وبصحبته الباز أيضًـا- إلى الكويت في فبراير 1989، ثم إلى سلطنة عمان في طريقه إلى الصين في سنه 1990. ثم زيارة أخرى قام بها إلى سلطنة عمان في مارس 1995 في طريق عودته من اليابان.

وكان مـن بين أبرز اهتمامات الدكتور الباز في إطار متابعة العلاقات مع دول الخليج موضوعات تتعلق بتشـجيع الاسـتثمارات الخليجية في مصر، بما في ذلك تسـجيل العقارات المملوكة للمواطنين الخليجيين، وتسـوية مشـكلات الشركة السعودية المصرية للاستثمار والتمويل، إلى جانب تطوير التعاون بين المؤسسات العلمية والتكنولوجية في مصر ودول الخليج.

وفي عـام 1991 أعلنـت قمـة دول مجلـس التعـاون الخليجـي المعقـودة في الكويت عن عزم المجلس تقديم مساعدات مالية لدعم وتطوير مشاريع التنمية الاقتصاديـة في الـدول العربية وعلى وجه الخصوص مصر وسـوريا. وكان ذلك نوعًا من العرفان لموقف مصر وسوريا الداعم للكويت بعد إقدام النظام العراقي في عام 1990 على اجتياح الأراضي الكويتية في خطوة خطيرة وغير مسبوقة.

الباز.. والمشكلات العراقية

لم يكـن للدكتـور أسـامة الباز حضـوره المعتاد حين قـررت القيـاده المصرية الاستجابة في عام 1989 لدعوة الرئيس العراقي صدام حسين لإنشاء ما يسمى «مجلـس التعاون العربي» والذي كان يضـم أيضًا كلًّا من الأردن واليمن. ورغم أن هـذه الخطـوة من جانب مـصر كانت تسـتهدف إيجاد كيان عـربي تمارس منه مـصر دورها الإقليمي في وقت انقطعت عضويتها بالجامعة العربية وراحت كل من مجموعتي الدول الخليجية والدول المغاربية تنشـئ لنفسـها تنظيمها الجهوي الخـاص بها، فـإن بعض الـدول الخليجية كان لديهـا بعض الهواجـس إزاء تلك الخطـوة الجديـدة التي يشـكل أعضاؤها ما يشـبه السـياج المحكم المحيط بشـبه الجزيرة ودول الخليج من جنوبها إلى شـمالها وغربها.ورغم أن مصر قد حرصت عند مشاركتها في صياغة الاتفاقية التأسيسية لهذا المجلس الجديد على تأكيد طابعه التنسـيقي الذي يقتصر على مجالات التكامل الاقتصادي وتشـجيع الاستثمارات

المتبادلة بين أعضائه في المجالات الصناعية والزراعية ومجال النقل والمواصلات والتعليم والثقافة وتنقل العمالة فإنها لاحظت بعد فترة وجيزة محاولات الرئيس صدام حسين لإقحام بعض الأبعاد «العسكرية» و«المخابراتية» إلى عمل المجلس، مما أدى إلى إثارة مخاوف وهواجس لدى مصر أشبه بالهواجس القائمة لدى دول الخليج.

وقد تأكدت تلك الهواجس بعد عام واحد حين أقدم النظام العراقي في أغسطس 1990 على غزو الكويت بقواته المسلحة، ووضع بذلك أكبر إسفين في مصداقية مفهوم العمل القومي العربي، وأعاد الانشقاق إلى الصف العربي بعد أن كانت هناك إرهاصات قوية تدل على التئام الشمل واقتراب عودة مصر إلى الجامعة العربية وعودة الجامعة العربية إلى مصر.

كان الخلاف بين العراق والكويت حول تبعية حقل نفط «الرميلة» مجرد السبب الظاهر والمباشر الذي أدى إلى هذا الغزو العراقي، لكنه بالقطع لم يكن السبب الوحيد. وحين ظهرت بوادر التصعيد العراقي منذ أوائل عام 1990 بادرت مصر بإجراء اتصالات مع كل من الكويت والسعودية والعراق في محاولة لتهدئة التوتر المتصاعد. ويظهر في أوراق الدكتور أسامة الباز مشروع بيان مكتوب باسم رئاسة الجمهورية بخط يده تناشد فيه مصر جميع القوى الدولية بأن تمتنع عن القيام بأي عمل أو نشاط من شأنه تعقيد الموقف وزيادة التوتر وإقحام عوامل جديدة فيه تضيف إليه أبعادًا سلبية دون مبرر، وتضع العقبات أمام تسوية الخلافات والتوصل إلى اتفاق بين الأطراف المعنية مباشرة بالنزاع. وطالب البيان كافة القوى المهتمة باستقرار الأوضاع بالخليج والشرق الأوسط أن تترك المجال للجهود التي تبذلها دول المنطقة لاحتواء الموقف وتطويق الخلاف وعدم توسيع نطاقه [انظر مشروع البيان بخط يد الدكتور الباز بقسم الملاحق]

ويبدو أن الجهود التي بذلها الرئيس المصري مع خادم الحرمين الشريفين ومع القيادات العراقية والكويتية قد أوشكت في ذلك الوقت على التوصل إلى اتفاق يقضي بوقف الحملات والتصريحات الصادرة بين المسئولين ووسائل الإعلام في كل من العراق والكويت، وعلى عقد عدة لقاءات بين مسئولي البلدين لبحث كافة المسائل المعلقة، والتوصل إلى تفاهم حولها بالحوار الموضوعي.

كذلك تظهر في أوراق الدكتور الباز أفكار عن دعوة منظمة المؤتمر الإسلامي لعقد دورة أو قمة طارئة للقيام بدور في تسوية هذه الأزمة العراقية الكويتية، وهو ما كان يدخل إيران طرفًا في هذا الجهد.

وعندما ركب الرئيس العراقي السابق رأسه وأمر جيوشه باجتياح الكويت وطرد الأسرة الأميرية الحاكمة وسيطر على منابع البترول الكويتي بكاملها.. تحولت المشكلة من طابعها الإقليمي إلى طابع دولي واسع، وتدخلت القوات الأمريكية مدعومة بحلفائها من الدول الغربية والعربية بقرارات من مجلس الأمن تعطي عدم الشرعية لهذا التدخل.

وتشير الأوراق والوثائق المتاحة عن تلك الفترة إلى تراجع نسبي لدور الدكتور أسامة الباز في واجهة الأحداث، وتصدر الدكتور عصمت عبدالمجيد بصفته نائبًا لرئيس الوزراء ووزير الخارجية لإدارة تلك المرحلة منفردًا، وأحيانًا بصحبة مدير مكتبه آنذاك السفير أحمد أبو الغيط وعدد من أساتذة القانون الدولي كالدكتور مفيد شهاب.

وبعد إتمام عملية تحرير الكويت وإزالة الاحتلال العراقي بدأت تظهر هناك في تلك المرحلة أفكار عن تطوير التعاون بين دول مجلس الخليج الذي بدأ بأهداف اقتصادية وسياسية لتصبح له بعد ذلك أهداف أمنية، ثم تطوير هذا التعاون ليشمل أيضًا الدول العربية الأخرى التي أكدت بالأفعال وقوفها إلى جانب الكويت ودول الخليج الأخرى. وظهر في تلك المرحلة مشروع

(إعلان دمشـق) الـذي يضم الدول الخليجيـة العربية وكلًّا من مصر وسـوريا. وحتـى لا يتحول هـذا التجمع الجديد إلى محور عربي يؤدي إلى شـق الصف مرة أخـرى رُئِـيَ أن تعمـل تلـك المجموعة تدريجيًّـا -وعلى مراحل- عـلى ضم كل مـن الأردن والسـودان واليمـن رغم وقوف تلك الـدول إلى جانب العراق. كما ظهـرت في أوراق الخارجيـة المصريـة أفـكار أخرى عن توسـيع دوائـر التعاون بين هـذا التجمع الجديـد وبين بعض الأطـراف والقوى الكـبرى وذلك بهدف دفعها إلى تنشـيط التحرك لتسوية مشـكلات الشرق الأوسط الأخرى كالقضية الفلسـطينية، وانتشار الأسلحة النووية، والترابط بين أمن البحر المتوسط، وأمن البحـر الأحمر. وأثيرت أيضًـا في تلك المرحلة أفكار عن إمكانيـة قيام قوة عربية لحفظ السلام، وإعادة تنشيط التعاون في التصنيع العسكري والتدريب المشترك. ومع كل ذلك فإن الوقائع تشير إلى عدم تجاوز هذه الأفكار حدود الأوراق التي كتبت عليها.

وحـين عقدت في بغداد قمة عربية اسـتثنائية عـام 1990 بناءً على اقتراح من جانب السـيد ياسر عرفات لبحث الأخطار والتهديدات المحدقة بالأمن القومي العربي على ضوء المتغيرات الحادثة في تلك الفترة داخل الاتحاد السـوفيتي ودول شرق أوروبـا، وانعكاسـات هـذه التغـيرات على زيـادة هجرة اليهـود من تلك الدول إلى إسرائيل، انتهت تلك القمة إلى تفويض الرئيس صدام حسين بإرسال رسـائل موحدة إلى كل من جورباتشوف في موسكو والرئيس الأمريكي جورج بـوش. وقـد لوحـظ أن الدكتور أسـامة البـاز كان له بعـض التعليقـات النقدية والتصحيحات على صورة تلك الرسائل التي وصلته في القاهرة.

وعلى مدار السنوات العشر التي خضع فيها العراق للعقوبات الدولية والحظر الاقتصادي بسبب غزوه للكويت، وحتى بعد تلفيق تهمة تصنيع وإخفاء أسلحة نوويـة واعتبار ذلك مبررًا للغزو الأمريكي للعراق في عام 2003 - لوحظ على الدكتور الباز تجنبه الخوض في تصريحات مسـهبة حول هذه التطورات. وعندما

سئل في آخر حوار صحفي أجرته معه مجلة الإذاعة والتليفزيون المصرية ونشر في عددها الصادر بتاريخ 13 / 6 / 2009 عن توقعاته بشأن الانسحاب الأمريكي من العراق ذكر بالحرف الواحد [لا أحد يستطيع أن يحسم أو يجزم بانسحابها عام 2011 بنسبه 100 ٪ ولكن في نفس الوقت ليس لدى الأمريكيين أسباب كافية للاستمرار في هذا الاحتلال العسكري].

وقد يجوز للمراقب المدقق أن يتساءل عما إذا كان للدكتور أسامة الباز نظرة شخصية معينة أو موقف خاص تجاه العراق والقيادة العراقية المتمثلة في شخص صدام حسين، جعلته أقرب إلى الصمت في العديد من المواقف والمراحل التي مرت بالعراق خلال العقدين الأخيرين، أم أن المتاح من مصادر أو وثائق منسوبة إليه غير كافية.

جهود الباز في معالجة المشكلات اللبنانية

رغم إيمانه الشديد بالقومية العربية وتطلعه الدائم إلى حلم الوحدة فإن أسامة الباز لم يحسب في أي يوم من الأيام ضمن العاملين على فرض تلك الوحدة بالقوة أو بالإكراه. ولم يكن لذلك من المؤيدين لسياسة الأذرع الطويلة أو سياسة زرع المخالب والألغام في البلدان العربية من أجل تخويفها أو تطويعها للتماشي مع مصر وسياساتها. وكانت له في إطار ذلك بعض التحفظات على بعض الممارسات المصرية في لبنان خلال سنوات الخمسينيات والستينيات.

وعندما تطورت الأوضاع منذ السبعينيات وحل الدور السوري محل الدور المصري في تلك البقعة الغالية من الأرض العربية كان لدى مصر ولدى أسامة الباز شخصيًا بعض المخاوف من أن توظف إسرائيل هذا الوجود السوري في لبنان لتحقيق أطماعها التوسعية وتكريس ممارساتها في المنطقة. ومع ذلك فقد ظل

الباز يقدر حيوية الجوار الجغرافي اللصيق بين سوريا ولبنان وتاريخية وخصوصية العلاقة بين شعبي البلدين وعلى الأخص ثقافيًا واقتصاديًّا وديموجرافيًّا.

تراكمت على لبنان الكثير من المشكلات التي لم يكن يستحقها شعبه الطيب. فمن ممارسات طائفية عفنة إلى اختلالات اجتماعية فادحة أحدثت في جدران البيت اللبناني فجوات تسللت عبرها عوامل التفجير والاستقطاب الخارجية، ولكن الأخطر من ذلك هو التهديدات الإسرائيلية المتلاحقة وما أفرزته من تدويل للمشكلات اللبنانية واستدعاء لأطراف إقليمية وعالمية تحت مبررات المساندة الطائفية مرة، واسترجاع الدور الثقافي الاستعماري القديم مرات أخرى، وزادت بعض الأطراف العربية الأمر سوءًا حين استخدمت لبنان ساحة لصراعاتها البينية.

هكذا كانت نظرة أسامة الباز إلى مشكلات لبنان والعناصر المتحكمة فيها. فهي في بعض الوجوه صراعات بين سنة وشيعة وموارنة ودروز، وأحيانًا تكون بين يمين ويسار، وفي أحيان أخرى يكون الصراع بين لبناني وفلسطيني، أو بين لبنانيين وعرب، أو بين عرب وعرب آخرين ، أو بين لبنانيين وقوى إقليمية ودولية كبرى.

وكان الدكتور الباز يتفق مع رأي الدكتور سليم الحص رئيس الوزراء اللبناني الأسبق في أن «الأزمات السياسية التي يمر بها لبنان طوال سنوات استقلاله عن فرنسا ترجع إلى افتقاد اللبنانيين لقضية وطنية محددة وموحدة. فهم جميعًا يخلطون بين المشكلة والقضية، وعندما يختلط المفهومان تضيع القضية وما يقترن بها من أهداف سامية، وتبقى المشكلات». وفي اعتقادهما أن قضية الشرق الأوسط أو الصراع العربي الإسرائيلي في عمومه هو لب القضية اللبنانية، وإن لم ينتبه جميع اللبنانيين إلى أن أصل مشكلاتهم كلها يعود إلى إفرازات السياسة الإسرائيلية التي أدت إلى احتلال الأراضي العربية وتهجير الفلسطينيين خارج بلادهم

فإن أية محاولة أخرى لرأب الصدوع اللبنانية -من خلال البحث في عوارض الأزمة وتجلياتها الطائفية والسياسية والاقتصادية والأمنية، أو من خلال تكريس علاقات الاستقطاب التي تمارسها أطراف إقليمية ودولية- لن تؤدي إلى معالجة حقيقية وشاملة للأزمات اللبنانية.

ورغم أن مصر لم تكن طرفًا في أعمال اللجنة السداسية التي شكلتها الجامعة العربية في 12 يناير 1989 لوضع المبادئ الحاكمة لتسوية المشكلات اللبنانية، فإنها رحبت بوثيقة الوفاق الوطني التي انتهى إليها أعضاء مجلس النواب اللبناني المجتمعون في الطائف بالسعودية، والتي أكدت على أهمية الحفاظ على وحدة أراضي واستقلال وسيادة لبنان وسلامة أراضيه، وأكدت ارتباط لبنان بعلاقات أخوة وتضامن مع كل الدول العربية، وعلى ما يجمع لبنان مع سوريا من علاقات جوار ومصالح مشتركة تقوم على السيادة والاستقلال والاحترام المتبادل.

حاول أسامة الباز لأكثر من مرة - من خلال موقعه الرسمي كمستشار سياسي لرئيس الجمهورية، ومن خلال دوره كمفكر قومي عروبي - أن يقترب من حقيقة المشكلات اللبنانية، وأن يعرض على اللبنانيين ما يراه من أولويات واجبة، غير أنه كان يصطدم في كل مرة بخطوات إسرائيلية جديدة تفرض على الواقع اللبناني متغيرات إضافية تزيد من تعقيد المشكلات.

وعندما انفجرت مشكلات الفلسطينيين في المخيمات اللبنانية عام 1981 وتدخلت إسرائيل بقواتها العسكرية للقضاء على الوجود الفلسطيني هناك كان القرار المصري الحاسم بإدانة هذا التدخل الإسرائيلي السافر، ثم سحب سفير مصر في تل أبيب رغم حساسية هذا الموقف بالنسبة لاستكمال مراحل الانسحاب الإسرائيلي من سيناء المتفق عليها في ذلك الوقت.

أجرى الدكتور الباز اتصالات مكثفة مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت، ومع أركان الدولة اللبنانية ومع أعضاء مجلس الأمن بهدف تأمين

الخروج الكريم والسلامة الشخصية لقيادات المنظمة، ومن أجل ترتيب أوضاع الفلسطينيين في لبنان بعد انسحاب القوات الإسرائيلية. وكان هذا الترتيب يقضي بقيام الجيش اللبناني بتأمين المخيمات بمساعدة من قوات الأمم المتحدة التي طلبتها الحكومة اللبنانية، وأن تخرج العناصر الفلسطينية المسلحة بكامل أسلحتها الثقيلة من بيروت بضمان الأمم المتحدة. أما الجزء الباقي من القوات الفلسطينية في الأراضي اللبنانية والذي يقتصر على من يحمل الجنسية اللبنانية فيتم وضعهم تحت إشراف الجيش اللبناني والقوات الدولية.

وبعد انتهاء الحرب الإسرائيلية في لبنان ظهرت مرة أخرى بوادر مشكلات طائفية بين الرئيس أمين الجميل وجماعة الدروز التي يقودها وليد جنبلاط، وأرسل الأخير إلى أسامة الباز رسالة نقلها إليه الدكتور أحمد صدقي الدجاني في شهر يوليو 1983 يطلب فيها من مصر تحمل مسئوليتها القومية تجاه شعب لبنان، وطلب أيضًا إجراء اتصال عاجل بين مصر والرئيس اللبناني أمين الجميل لوقف ضغوطه المتكررة على السكان الدروز في منطقة الشوف، ووقف الاتجاه المتصاعد نحو بناء وطن قومي للمسيحيين يفصلهم عن باقي المواطنين اللبنانيين.

تحرك الدكتور الباز إلى لبنان في 18 أغسطس عام 1983 - مبعوثًا من الرئيس حسني مبارك - وقضى في بيروت أكثر من تسع ساعات عقد خلالها اجتماعات مع الرئيس أمين الجميل والتقى أيضًا رئيس الوزراء شفيق الوزان ورؤساء الحكومات السابقين صائب سلام وسليم الحص. كما اجتمع بعدد من القيادات اللبنانية كوزير الخارجية إيلي سالم والسفير غسان التويني. واجتمع كذلك مع مبعوثي الرئيس الأمريكي رونالد ريجان في لبنان «ماكفرلن» «وفيربانكس» بناء على طلبهما.

وفي 6 يونيو 1990 قام الرئيس اللبناني إلياس هراوي بزيارة للقاهرة حيث تقدم بعدة طلبات سجلها الدكتور أسامة الباز بخط يده، وكان من بينها: تقديم مساعدة للجيش اللبناني تتمثل في المعدات العسكرية اللازمة لتكوين تشكيلات جديدة، وتعزيز قدرة التشكيلات القائمة، وتدريب بعض الضباط والفنيين. ولكن الرئيس مبارك ذكر له في ذلك الوقت أنه من الأفضل الاكتفاء بالإسهام في تعزيز قوى الأمن الداخلي كخطوة لازمة لتثبيت سلطة الدولة على الأرض اللبنانية. كما طلب الرئيس اللبناني من مصر توجيه خطاب إلى بابا الفاتيكان لحثه على الإسهام في المصالحة بين مختلف الأطراف وذلك باتباع سياسة لا تقوم على الانحياز لأي من الفرق اللبنانية على حساب الآخر. كذلك طلب الرئيس الهراوي من مصر مخاطبة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وحثها على عدم التدخل في الشئون اللبنانية وخاصة في منطقة الجنوب. وقد أكدت مصر للرئيس الهراوي ولرئيس الوزراء د. سليم الحص أن نقطة البدء في إصلاح الموقف هي تنفيذ مقررات الطائف والتزام جميع الأطراف بها.

ومع مرور الوقت وتلاحق الأحداث في لبنان والمنطقة الإقليمية المحيطة - بما في ذلك الغزو الأمريكي للعراق، وتصاعد حدة المواجهة بين إيران والمجتمع الدولي، وتعدد حوادث الاغتيال للشخصيات السياسية اللبنانية وآخرها رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، ثم تصاعد نغمة المد الشيعي في المنطقة بمساندة إيرانية، فضلًا عن تجمد مساعي التسوية على الجبهة السورية الإسرائيلية... توقع الدكتور الباز في أحد أحاديثه الشخصية عام 2005 أن تستثمر إسرائيل كل تلك الظروف لتعويض انسحابها من جنوب لبنان وتوجيه ضربة قاصمة لقوى المعارضة الوطنية هناك، وهو ما حدث بالفعل في يوليو 2006 حين أقدمت قواتها المسلحة على عملية اجتياح أخرى لم تقتصر على جنوب لبنان بل امتدت لتشمل المناطق الجنوبية من بيروت وبعض المواقع الحيوية الأخرى في الساحل اللبناني.

وبقدر الغضب الذي أصاب الدكتور أسامة الباز وهو يشاهد آثار التدمير والتخريب التي خلفتها العمليات الإسرائيلية العدوانية على معالم الحياة وأركان الاقتصاد اللبناني كان حماسه للمشاركة في وفد التضامن المصري الذي سافر إلى لبنان في أوائل أغسطس 2006، وعاد بعدها ليصرح بأن توحد الشعب اللبناني خلف صفوف المقاومة الوطنية يعتبر نصرًا للبنان ولكل اللبنانيين، مؤكدًا في حواره مع الصحفية سوسن الدويك بمجلة الإذاعة والتليفزيون المصرية يوم 12/ 8/ 2006 أن قيام حزب الله بضرب إسرائيل في العمق ردًّا على عملياتها العدوانية تم بتخطيط محكم ودقيق وبمباركة كل الشعب اللبناني وأركان الدولة وكافة الشعوب العربية. وفي مقال آخر نشره بصحيفة الأهرام في 2/ 8/ 2006 شن أسامة الباز هجومًا قويًّا على إسرائيل بعنوان: (وعلى الباغي تدور الدوائر) يقول فيه: (إن القوة الغاشمة التي استخدمتها إسرائيل والتي لم تستثن ملاجئ الأطفال والمدارس والمستشفيات أثبتت عقم التفكير الإسرائيلي وحساباته الخاطئة، وأدت إلى توحيد الشعب اللبناني بعكس ما استهدفت) [انظر نص المقال في قسم الملاحق بالكتاب].

وعندما سألته في إحدى أمسيات صيف عام 2008 عما يود أن يراه في مستقبل لبنان. أجابني في لغة شاعرية بأنه يود أن يرى شجرة الأرز اللبنانية وقد عاد إليها اخضرارها وسط العلم اللبناني الذي يستظل به جميع اللبنانيين، وأن يظل صوت فيروز الملائكي يصدح دائمًا في كل ربوعه، وأن يعود لبنان بلدًا آمنًا وموحدًا لكل أبنائه وملاذًا يلجأ إليه كل العرب طلبًا لراحة العقل والنفس والجسم.

أسامة الباز.. ومشروعات الوحدة العربية..

آمن الدكتور أسامة الباز منذ شبابه بفكرة القومية العربية وضرورة توحد العرب في كيانات سياسية واقتصادية كبيرة وقوية تعكس عناصر التاريخ والثقافة والمصالح المشتركة بينهم، وتفتح أمامهم فرص التعامل بكفاءة وندية مع مختلف القوى القومية والدولية الأخرى. ورغم أنه لم يفصح في أي مرحلة من مراحل عمله أو دراسته عن طبيعة هذا الإطار الوحدوي الذي يلزم إيجاده ليضم تحت جناحيه كافة الشعوب العربية، وعما إذا كان نظام الجامعة العربية يعتبر كافيًا لتحقيق هذا الهدف المنشود أم أن هناك في رأيه أشكالًا ومستويات أخرى للعمل الوحدوي العربي ينبغي تجريبها أو العمل على تحقيقها؛ رغم ذلك كله فإن هناك من بين الأفكار والتصريحات والكتابات المتناثرة للدكتور أسامة الباز ما يكشف عن رؤيته القومية والإشكاليات التي تعطل المشروع القومي العربي.

يقول أسامة الباز في أكثر من مناسبة: إن الوحدة العربية تمثل في يقينه هدفًا ووسيلة لبناء القوة الذاتية للخلاص من الواقع الراهن.. إلا أن هذا الإيمان يصطدم بعدة حقائق موضوعية تحول دون إمكانية تحقيق ذلك الهدف بطريقة فورية وشاملة وبحيث يكون للوحدة مردود متكافئ لجميع أطرافها، ومن هذه الحقائق تباين مستويات الوفرة الاقتصادية بين الدول العربية، وتباين معدلات التنمية السياسية والاجتماعية فيما بينها، إلى جانب تأثر كثير من الأطراف العربية بميراث ثقيل من الخلافات والهواجس السياسية والأيدولوجية التي زرعتها القوى الأجنبية قبل جلائها عن البلدان العربية، فضلًا عن تحديات وإغراءات «العولمة» التي تتضمن الدعوة إلى هجر الفكر القومي والانتقال بدلًا منه إلى الفكر العالمي الذي يجعل المواطن العربي مواطنًا عالميًا في إطار نظام كوني أوسع تحكمه قيم إنسانية وتكنولوجية ومفاهيم عالمية. وفوق ذلك يؤكد الدكتور الباز وجود مصالح لدى بعض القوى الأجنبية البعيدة والقريبة في إبطاء أو تعطيل

الجهود العربية نحو الوحدة وبناء القوة الذاتية. وفي رأيه أن هذه الحقائق الموضوعية المذكورة سابقًا ينبغي أن تكون هي المحاور الأساسية التي يلزم التعامل معها بطريقة واقعية في أي جهد مخلص يستهدف تحقيق الحلم العربي في الوحدة والقوة، وأن هناك عددًا من الخطوات الضرورية التي تسبق وتصحب العمل العربي المشترك أهمها :

- تعزيز برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية في كافة البلدان العربية وعلى الأخص الأقل نموًّا بينها بما يؤدي إلى تخفيض التفاوت في مستويات الدخل والمعيشة والإفادة بالمزايا النسبية المتوافرة لدى مختلف الأطراف العربية في تحقيق تكامل اقتصادي يؤدي تدريجيًّا إلى اندماج الأسواق وتوسيعها.
- تنقية مواد الثقافة العربية وبرامج الإعلام والإرشاد والتعبئة العامة من النغمات القطرية والشعوبية الضيقة، وزيادة جرعات الفكر العروبي في الأعمال الأدبية والفنية وبرامج التعليم والإعلام وبدون شطط عنصري أو استعلاء أو تعسف.
- تطوير هياكل ووظائف مؤسسات العمل العربي المشترك القائمة حاليًّا بما يستوعب قوى الشارع السياسي وعناصر المجتمع المدني ومختلف الشرائح الاجتماعية الفاعلة في ساحة البلاد العربية.
- التمسك بالطابع المدني للمشروع القومي العربي، وعدم السماح باستيعابه في إطارات ذات طابع ديني، أو طائفي، أو عسكري، والتمسك في ذات الوقت بالعناصر الإيجابية المنتقاة من الثقافة العربية وتغليبها على محاولات التغريب التي تتعرض لها بحجة الحداثة والعصرنة، أو بحجة الالتقاء مع مقتضيات العولمة ومفاهيمها العابرة للذاتيات الوطنية والقومية.

- وقـد لاحظ المقربون من الدكتور أسـامة البـاز أن أصعب المراحل التي مـر بها في حياته السياسـية كانت تلك التي شـاهد فيهـا بعض محاولات فـرض الوحـدة بالقـوة أو بالإكـراه من جانـب طرف عربي ضـد آخر، كمحاولات اليمن الشـمالية اسـتعادة الوحدة مع الجنـوب بطريق القوة المسـلحة، وكمحاولـة النظـام العراقـي في عـام 1991 غـزو الكويـت وضمـه قسرًا كمحافظة من محافظات العراق. كذلك لوحظ الامتعاض الشديد من جانب الباز إزاء المحاولة التي قامت بها القيادة الليبية لإزالة البوابـات الحدودية التي تربطها بمصر والإعـلان من جانب واحد عن مسـيرة شـعبية ليبية عارمة تتجه من الحـدود إلى القاهرة لفرض الوحدة على النظام السياسي المصري في منتصف السبعينيات.

الفصل السادس

أسامة الباز..
وإدارة الصراع العربي الإسرائيلي

كان لنشأة الدكتور أسامة الباز في بيئة دينية أثرها في تنبيهه مبكرًا إلى التاريخ القديم لبني إسرائيل وصفاتهم ومواقفهم من الله وأنبيائه كما وردت في القرآن الكريم. وعندما شب عن الطوق وبدأ يدرس تاريخ الحركة الصهيونية وارتباط مشروعاتها بتطور الظاهرة الاستعمارية في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تكشفت لديه - وخاصة على ضوء تجربة اليهود في ألمانيا النازية - أبعاد أخرى سياسية واقتصادية وإنسانية جعلته يدرك أن البعد الديني في المشروع الصهيوني ليس إلا عنصرًا واحدًا من عناصر ودوافع عديدة أخرى. وعندما أُنشئت دولة إسرائيل على أرض فلسطين التاريخية عام 1948 بتواطؤ واضح من سلطة الانتداب الإنجليزي تأكد لديه -وكان وقتئذ طالبًا في كلية الحقوق- الطابع الاستعماري والسياسي في هذه الخطوة، وراح من بعدها يتابع عن كثب وبإمعان شديد معالم التطورات العلمانية في هذه الدولة، ومدى مفارقتها للمنطلقات والمزاعم الدينية التي حاولت بعض القوى الصهيونية تسويقها بين يهود «الدياسبورا» تحفيزًا لهم على الهجرة إلى الوطن الجديد. وقد أسهم التخصص القانوني للدكتور أسامة الباز في دعم متابعاته لهذه الرؤية، وفي تخصيب معالجاته اللاحقة - كسياسي ودبلوماسي محترف - بزوايا قانونية

ومنطـق حقوقي وتاريخي أضاف بلا شـك إلى خطوط حركته في إطار السياسـة المصرية وممارساتها الدبلوماسية أبعادًا مهمة.

صراع وجود... أم صراع حدود؟

كان الاتجـاه السـائد في فترة الخمسـينيات التـي أعقبت إنشـاء دولة إسرائيل وهزيمـة الجيـوش العربية- يقول بـأن الصراع بين الطرفين العـربي والإسرائيلي لا يُحل إلا بتصفية أحد الطرفين للآخر، وأنه لا يُحل إلا بالقوة المسلحة. ومع ذلك فقد لاحظ أسـامة الباز بحسـه التحليلي المراقب أن هناك بعض الأفكار المتناثرة التي جرت في عكس هذا الاتجاه، والتي انطلقت من مواقع وشـخصيات عربية وإسرائيلية كأفكار موسـى شـاريت، وإيجـال آلون، والرئيـس التونسي بورقيبة، وأفـكار موسـى العلمي. وكانت بعض هـذه الأفكار تقول بأنه مـن الواقعية أن يعـترف العـرب بقرار مجلـس الأمن الصـادر عام 1947 بتقسـيم فلسـطين إلى دولتين، وأن يسـعوا بعد ذلك إلى تنفيذ واسـتكمال الشق الناقص من القرار وهو إقامة الدولة الفلسطينية بعد أن أعلنت إسرائيل من جانبها قيام دولتها وحصلت عـلى اعتراف دولي واسـع بذلك. بينـما كانت هناك أفكار أخـرى تدعو إلى إقامة دولـة واحدة في أرض فلسـطين التاريخيـة بحيث تجمع اليهـود والعرب في كيان ديمقراطـي وعلـماني واحد، وبحيث تتوافر لهذا الكيـان مقومات اقتصادية أوفر وأصلـح لـكلا الطرفـين. وبين هـذه الفكـرة وتلك طُرحـت أفـكار أخرى عن إمكانية إقامة كونفيدرالية بين الدولتين الإسرائيلية والفلسطينية.

ورغم أن هذه الأفكار كانت تُقدم على استحياء وعلى فترات زمنية متباعدة، وكان بعضها يُطرح في اتصالات غير رسمية، فإنها عززت -بلا شك- مشروعية وأهميـة التسـاؤل لدى أسـامة الباز وغيره مـن بعض النخب العربيـة المثقفة عن حقيقـة الـصراع بين العـرب وإسرائيل، وهـل هو صراع عـلى الأرض والحدود

يمكن العمل على تسـويته من خلال الوسـائل المعروفة أم إنه صراع حتمي على الوجود يستحيل إنهاؤه إلا بتصفية أحد الطرفين للآخر؟

وعندما سافر أسامة الباز في نهاية الخمسينيات إلى الولايات المتحدة الأمريكية للحصول عـلى درجة الدكتوراه في القانون الدولي لاحظ أثناء إقامته هناك مدى التغلغل الصهيوني وانتشـاره في كثير من أركان الحياة الأمريكية، ومدى التطابق في المصالح بين واشنطن وتل أبيب، كما لاحظ أيضًا أصداء الشعارات والدعاوى العربيـة التي كانت تُطلق في تلـك المرحلة عن «إسرائيل المزعومة» وعن «حتمية إلقائهـا في البحر»، وعـن مخططات الوحدة العربية التي تسـتهدف «القضاء على إسرائيـل»، ومحاصرتهـا دبلوماسيًّا ومقاطعتها اقتصاديًّا، ممـا كان له أثره في دفع الولايـات المتحدة وحلفائهـا في الغرب إلى مضاعفة دعمهـا لإسرائيل وتمكينها بالسلاح وبالمنح المالية وبتدفقات المهاجرين ثم بالتكنولوجيا النووية.

وحـين حـدث الانفجار الكبير لحقائـق القوة في عـام 1967، اعترف بعض العـرب أمثـال الدكتور صادق جـلال العظـم والكاتب الصحفي محمد حسـنين هيـكل في «نقدهم الـذاتي بعد الهزيمة» بأن إسرائيل حقيقة سياسـية وعسـكرية وماديـة مطـردة في قوتهـا، وطالبـوا بـأن يكـون «لكل قـوة حدودهـا التي تقف عندهـا».. لاحـظ الدكتور أسـامة البـاز أن الرئيس جمـال عبدالنـاصر أيضًا قد اعـترف بهذه الحقيقـة مرتين: الأولى حين أعلن تنحيه عن الرئاسـة عقب هزيمة يونيـو، والثانيـة حين قبل قرار مجلس الأمن رقم 242 وما تلا ذلك من محادثات أجراهـا مـع المبعوث الأممـي يارنـج، وقبوله لمبـادرة وزير الخارجيـة الأمريكي روجرز.

عمـل أسـامة الباز في تلـك المرحلة – مع نخبـة من المثقفين والدبلوماسـيين المصريين وبعض قيادات التنظيم السـياسي في البلاد – على إعادة ترتيب الأفكار والأولويـات الوطنيـة عـلى نحو يتـلاءم من ناحيـة أولى مع انفعـالات الجماهير

البسيطة ومطالبها الحماسية بالثأر من الهزيمة، ومن ناحية أخرى مع ضرورات إزالة آثار العدوان الإسرائيلي وما يقتضيه ذلك من تحركات سياسية واتصالات دبلوماسية مصحوبة بترتيبات لإعادة الثقة في القوات المسلحة الوطنية، وتطوير سياسات وبرامج التعبئة والإعلام والتثقيف. وكان من بين الإسهامات التي قدمها الدكتور أسامة الباز في هذا الإطار، ومن خلال موقعه السياسي بالقرب من قيادة الاتحاد الاشتراكي العربي، التخطيط لإعادة بناء منظمة الشباب وإدخال مفاهيم وشروح واقعية إلى معالجات الصحف ووسائل الإعلام لأسباب «الهزيمة»، ومعنى «العدوان» والفارق بينه وبين «الدفاع الشرعي عن النفس» والتميز الضروري بين «اليهودية » كديانة و«الصهيونية» كمشروع استعماري استيطاني توسعي.

كما كان للدكتور أسامة الباز بصماته الخاصة -من خلال موقعه الوظيفي في إدارة معهد الدراسات الدبلوماسية- حيث أدخل إلى برامج الدراسة والتدريب المقدمة للدبلوماسيين الجدد برامج خاصة للتعرف بعمق على طبيعة المجتمع الإسرائيلي ومكوناته الثقافية وبنيته الاجتماعية وتنظيماته السياسية، كما استقدم من الخارج عددًا من السياسيين والخبراء في القانون الدولي والعلوم السياسية لينقلوا إلى شباب الدبلوماسيين المصريين تجاربهم وحصائل علمهم في موضوعات تسوية النزاعات التاريخية، وعمليات صنع وحفظ وبناء السلام، وفي موضوعات القانون الدولي الإنساني التي تدور حول كيفية التعامل مع المدنيين في أوقات الحروب. وأتاح أسامة الباز الفرصة أيضًا للدارسين لإجراء أبحاث حرة في موضوعات لم يسبق طرقها من قبل داخل المؤسسات المصرية الرسمية كموضوع «صورة إسرائيل في الإعلام المصري» وموضوع «إسرائيل بين التدين والعلمانية» وكذلك موضوعات عن تطور الاقتصاد الإسرائيلي، وأوضاع اليهود في العالم وممارساتهم السياسية.

فترة حكم السادات.. ومقدمات السلام

ومنذ تولي الرئيس أنور السادات الحكم في عام 1970 بزغ نجم الدكتور أسامة الباز كمحلل ومعلق سياسي وكمسئول في هيئة إدارة معهد الدراسات الدبلوماسية ثم كمدير لمكتب وزير الخارجية، ثم كمستشار سياسي لنائب رئيس الجمهورية.

وقد لاحظ أسامة الباز منذ بدايات تلك الفترة أن هناك بعض المؤشرات أو المقدمات التي يمكن أن تؤهل الطريق لمعالجات جديدة في الصراع العربي الإسرائيلي. ومن بين هذه المؤشرات تنامي حالة التقارب بين القطبين الرئيسيين في النظام الدولي القائم آنذاك فيما عُرف «بسياسة الوفاق» «Détente»، والتي أعقبتها حالة من «الاسترخاء العسكري» في نشاط كل من القطبين في أكثر من منطقة بالعالم كان أولها منطقة الشرق الأوسط. ثم كانت بعد ذلك الأفكار التي طرحها هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي الأمريكي في رحلاته المكوكية التي قام بها في العواصم الرئيسية الضالعة في صراع الشرق الأوسط، وتلميحاته التي أوعز بها إلى الرئيس السادات عن إمكانية قيام الولايات المتحدة بالتفكير في مساعدات فنية لمصر إذا ما رغبت مصر في ذلك، وهي التلميحات التي جاءت في توقيت كان الرئيس السادات يعاني فيه من تقاعس الاتحاد السوفيتي في التجاوب مع مطالب مصر من السلاح والتجهيزات.

كانت تلك المقدمات السابقة على حرب أكتوبر عام 1973، وما لاحظه الدكتور أسامة الباز في تطور عمليات الحرب ذاتها ومراحلها ونتائجها، وما جرى خلالها وبعدها من اتصالات مكثفة مع الولايات المتحدة – سببًا في تأكد الدكتور الباز من أن شيئًا ما يبدو في أفق الصراع الطويل بين العرب وإسرائيل. وقد شهد بنفسه- من خلال اشتراكه المباشر في مباحثات الكيلو 101 ومفاوضات فك الاشتباك التي جرت في أعقاب الحرب، ثم في أعمال

مؤتمر جنيف للسلام الذي انعقد بعد ذلك - كيف يمكن - بعد التعديل النسبي لموازين القوى على الأرض - أن تفضي وسيلة التفاوض رغم تعقيداتها الفنية والمراوغات التي تكتنفها إلى تغليب منطق التسوية والتفاهم على دوافع الحرب والثأر والعقائد المتضمنة حتمية «إفناء الآخر».

وحين قرر الرئيس أنور السادات -بعد زيارات أجراها لكل من النمسا ورومانيا- أن تكون له بصمة تاريخية في مسار الصراع العربي الإسرائيلي يكون من شأنها فتح الطريق أمام تسوية شاملة وعادلة ودائمة لهذا الصراع، رأى أن تكون هذه البصمة في شكل خطوة غير مسبوقة تهز كل ما هو مستقر في نفوس الإسرائيليين وفي أذهان الغرب من تصورات عن «صلف العرب» و«عنصريتهم» و«ولعهم الدائم بالحرب والاقتتال». فكانت زيارته للقدس وحديثه إلى أعضاء «الكنيست» هناك في نوفمبر 1977 بمثابة الصدمة الكهربائية التي كسرت الحاجز النفسي لديهم تجاه مصر والعرب - كما حللها السادات بقلمه في مذكراته اللاحقة بعنوان (البحث عن الذات). ويعتبر دور أسامة الباز في إعداد خطاب السادات التاريخي أمام «الكنيست» أحد أبرز الإسهامات في إحداث التغيير الذي كان مطلوبًا في مواقف الإسرائيليين والعالم.

الطريق إلى كامب ديفيد ومفاوضات السلام

واجهت مصر في مرحلة ما بعد زيارة الرئيس السادات للقدس نوعين من التحديات كان أولهما الطابع الإسرائيلي المراوغ والمماطل في مفاوضات السلام التي جرت في مينا هاوس والإسماعيلية وليدزكاسل وهيرتزليا وحتى المحطة الأخيرة في كامب ديفيد. وأما التحدي الثاني - وهو الأصعب والأقسى من وجهة نظر أسامة الباز - فهو مواقف القطيعة العربية لمصر ورفض أغلب الدول العربية الاعتراف بنتائج المفاوضات المصرية وخطوات السلام التي أبرمتها مع

إسرائيل، وقرار الجامعة العربية بتعليق عضوية مصر بها ونقل مقرها من القاهرة إلى تونس.

ولأننا قد أفردنا في هذا الكتاب فصلًا خاصًّا عن (العرب والعروبة في فكر وعمل أسامة الباز) وتناولنا فيه مواقفه من القضايا العربية عمومًا والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، كما عرضنا فيه لبعض ملامح عمله واتصالاته التي استمرت مع الأطراف العربية حتى في فترة مقاطعتها لمصر في أعقاب إبرام معاهدة السلام عام 1979 - فإننا نكتفي في هذا الفصل بتناول ملامح التحدي الأول الذي واجهته مصر في التفاوض من أجل السلام مع الجانب الإسرائيلي، ونستند في هذا إلى ما سجله الدكتور أسامة الباز بخط يده في مسودة أعدها بعنوان (المنهج الإسرائيلي في التفاوض).

يعدد أسامة الباز ملامح السلوك الإسرائيلي ومنهجه في التفاوض على مدار السنوات من 1975 وحتى بداية التسعينيات في ثماني نقاط على النحو التالي:

1 - تفضيل التفاوض دون تدخل أطراف ثالثة، وذلك انطلاقًا من اقتناع إسرائيل بأن مركزها التفاوضي والميداني أقوى من المركز التفاوضي لأي طرف عربي وحتى لكل الأطراف العربية مجتمعة، وأن دخول طرف ثالث في عملية التفاوض يمكن أن يؤدي إلى تعديل الموازين التفاوضية لصالح الطرف العربي خصوصًا إذا ما كان هذا الطرف العربي يملك بعض عناصر التأثير على مصالح الطرف الثالث كالبترول مثلًا أو كثافة التواجد المهجري لديه.

2 - السعي لتقليص دور الأمم المتحدة والتشكيك في سلامة مرجعياتها وشرعية قراراتها؛ وذلك لاقتناع إسرائيل بأن الطرف العربي يملك أغلبية أوتوماتيكية في كثير من أجهزة ومؤسسات المنظمة الدولية (الجمعية العامة مثلًا) وأن هذه الأغلبية الأوتوماتيكية مكنت الأطراف

العربية من تمرير العديد من القرارات المنحازة لصالح العرب مما يشكك في مشروعية هذه القرارات من الناحية الأخلاقية والقانونية والسياسية في آن واحد.

3 - التأثير على الموقف التفاوضي العربي من خلال مواصلة الممارسات الميدانية المستفزة واستحداث أوضاع جديدة على الأرض يكون من شأنها تكريس الأمر الواقع بما يؤدي إلى مضاعفة الجهد التفاوضي العربي وإضافة موضوعات جديدة تطيل فترات التفاوض وتزيدها تعقيدًا.

4 - تسريب معلومات غير دقيقة أو محرفة عن سير المفاوضات وما يدور فيها بهدف إقناع كل مفاوض في الفريق المقابل بأن هناك أطرافًا أخرى تتنازل ولا تلتزم بالموقف الذي اتفقت عليه معه، حتى يكون هذا عنصرًا ضاغطًا عليه كي يسير في نفس الاتجاه.

5 - اللجوء إلى طرح أفكار متعددة على التوالي قبل الفراغ من مناقشة كل فكرة والتوصل إلى خلاصتها. وقد ظهر ذلك بوضوح أثناء مباحثات الكيلو 101 التي أعقبت حرب أكتوبر مباشرة.

6 - المبالغة في إظهار تأثير الوضع الداخليّ في إسرائيل على الحكومة والوفد المفاوض وتقييده لحريتهما وذلك سواء على مستوى الائتلاف الحاكم واحتمال تأثره باتخاذ أي موقف إسرائيلي مرن، أو على مستوى الرأي العام الإسرائيلي وادعاء معارضته لأي تنازل. وقد استخدم المفاوض الإسرائيلي هذا التكتيك في ادعائه بأن 90 ٪ من الشعب الإسرائيلي يؤيدون رابين في قرار إبعاد الناشطين الفلسطينيين خارج إسرائيل والضفة وغزة، وذلك لتبرير تمسك رابين بموقفه وعدم تجاوبه مع طلبات المجتمع الدولي.

ويلاحظ أسامة الباز في المقابل محاولات إسرائيل المتكررة لإظهار اختلاف هذا الوضع في الدول العربية، وإصرارها على القول بأن شخصًا واحدًا يملك بمفرده كل مقاليد الأمور.

7 - الارتباط بمواقف معينة كالتزامات محددة ومحاولة اكتساب شرعية وقبول دوليين لهذه الالتزامات أو الارتباطات، ويضرب الدكتور أسامة الباز أمثلة على هذا المنهج مما أعلنه الجانب الإسرائيلي في المفاوضات من التزام «بعدم قيام دولة فلسطينية» والالتزام الآخر «بعدم تقسيم القدس» وضرورة «بقائها عاصمة موحدة للدولة اليهودية». ويرى أسامة الباز أن الحرص الإسرائيلي على توصيف بعض المطالب العربية بأنها غير ممكنة التحقيق Unattainable أو أنها غير قابلة للنقاش والتفاوض not negotiable إنما يتعارض جذريًّا مع المفاهيم والأصول التي أصبحت معتمده دوليًّا للتفاوض حيث يحرص الغربيون على تذكير الجميع دائمًا بأن كل شيء في عالم اليوم يجب أن يكون قابلًا للتباحث والنقاش.

8 - وتعليقًا على الخصائص الفردية والجماعية التي اتسم بها المفاوضون الإسرائيليون في مراحل التفاوض المختلفة يشير الدكتور الباز إلى تميز الأداء الجماعي لفرق التفاوض الإسرائيلية بالتنظيم المحكم والانضباط الشديد وانتظام التواصل فيما بين أفراد الفريق «فإذا ما تحدثت إلى فرد منهم وجدتهم جميعًا عالمين بما دار بينك وبينه» وبعبارة أخرى - وكما يقول د. أسامة الباز - فإن هذا الفريق يصعب اختراقه إلا في حالات نادرة، بعكس الفريق التفاوضي العربي. ومع ذلك فقد تختلف الإمكانيات الفردية لأعضاء فرق التفاوض الإسرائيلية من حيث حجم الخبرة ونوع التخصص، ودرجة الانفعال والهدوء، ومن حيث الخلفية العرقية أو نوع الجنسية التي وفد منها؛ فالإسرائيليون من أصول روسية أو رومانية يختلفون في كثير من الطباع والثقافات عن الوافدين من

أصـول إنجليزية أو يمنية أو مغربية وهكـذا. كذلك يختلف المفاوضون المنتمون إلى الليكود عن أولئك المنتمين إلى حزب العمل، وحتى بالنسبة للمنتمين لأحزاب دينية فإن بينهم فروقات يمكن ملاحظتها في درجات التشدد والمرونة، وفي تحديد ما هو مطلق وما هو نسبي.

الظروف المصرية والإقليمية والعالمية المحيطة بالمفاوضات

كان أسامة الباز يدرك جيدًا من خلال خبراته الدبلوماسية أن البيئة الداخلية وظـروف المسرح الإقليمـي والدولي تلعـب أدوارًا مهمـة -وقد تكـون الأكثر حسما- في تحقيق النجاح أو التعثر لأية مفاوضات سياسية أو عسكرية تجري بين طرفـين أو أكثر. ونظـرًا للطابع متعدد الوجوه الذي يتسـم به الصراع في الشرق الأوسـط ومحوريته في كثير من مخططات القوى الإقليمية والدولية، وفي كثير من جوانب الحياة المصرية والعربية سـواء الثقافية والدينية والاقتصادية والسياسـية والاجتماعية - فقد حرصت الدبلوماسية المصرية وهيَ تدير مفاوضاتها الشائكة والدقيقة مع إسرائيل على فحص ومتابعة كل ما يجري في الساحة الوطنية الداخلية وفي السـاحات الإقليمية والدولية، ومحاولة تهيئة الظروف في كل منها بما يساعد المفـاوض المصري في تحقيق الأهـداف المطلوبة. وربما كانت هـذه المهمة الدقيقة هي أبرز ما تميز به عمل الدكتور أسامة الباز خلال جميع مراحل التفاوض ابتداء مـن التحضير والإعداد وحتى التوقيع على الاتفاقات مرورًا بعمليات التفاوض ذاتها. ولا شـك أن جمعه بين الموقعين الدبلوماسي (كوكيل أول وزارة الخارجية) والسـياسي (كمدير لمكتب الرئيس للشـئون السياسـية) قد سـاعده في أدائه لهذه المهمة المتشابكة بالإضافة إلى استعداده الشخصي ومؤهلاته الفكرية.

فبالنسبة للمسرح المصري الداخلي لاحظ أسامة الباز أنه منذ زيارة الرئيس السادات إلى القدس عام 1977 ظهرت هناك بعض المواقف المتحفظة أو المعارضة لهذا الاتجاه السلمي من جانب بعض القوى السياسية والجماعات الإسلامية التي حاولت من خلال الصحافة الحزبية المعارضة ومن خلال تحركاتها داخل النقابات العمالية والمهنية واتحادات الطلبة تصوير الجهود السلمية المصرية وخطوات التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تراجع عن روح ومنهج الثورة المصرية عام 1952، وأنه لا سبيل إلى استرداد الحقوق العربية إلا بالقوة. كما لاحظ الدكتور أسامة الباز أيضًا أن سياسة الانفتاح الاقتصادي التي أعلنها الرئيس السادات -وخطط لتنفيذها نائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية آنذاك المرحوم الدكتور عبدالرزاق عبدالمجيد- قد طبقت بطرق ووسائل متعجلة وغير محكمة، مما كان له بعض الانعكاسات التي هددت في بعض الأحيان الاستقرار الأمني والاجتماعي (ثورة الشارع المصري في عام 1977 بسبب رفع أسعار بعض السلع الأساسية) (وظاهرة القطط السمان) (وتمرد بعض وحدات الأمن المركزي بسبب شائعة مد فترة التجنيد لعام رابع).

ومن جانبه حاول الدكتور أسامة الباز -بشروحه وتعليقاته في وسائل الإعلام، ومن خلال جهود شقيقه الدكتور فاروق الباز الذي عاد من مهجره في الولايات المتحدة ليقدم خبرته في مجالات التعمير الصحراوي واستخدام خرائط الاستشعار عن بعد- توضيح الجوانب الإيجابية والانعكاسات الاقتصادية المنتظرة لمصر بعد السلام. وظهرت لكل منهما تصريحات وتحقيقات صحفية عن تكلفة الحروب وتكلفة السلام، وعن أهمية تماسك الجبهة الداخلية ووقوفها خلف المفاوض المصري لدعمه في مواجهة المراوغات الإسرائيلية واستفزازاتها.

وفي الجانب التفاوضي حرص الدكتور أسامة الباز على تأكيد دور الولايات المتحدة ومجموعة الدول الصناعية الأخرى في أوروبا واليابان في دعم الاقتصاد

المصري، وفي تحمل التكاليف والأعباء المالية التي تكتنف عمليات انسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء في إطار الاتفاقات النهائية. وكانت له في هذا الصدد عدة مهام خارجية منفردًا أو بصحبة نائب رئيس الجمهورية آنذاك السيد محمد حسني مبارك.

كذلك حرصت الخارجية المصرية خلال فترة التفاوض على توسيع دائرة المشاركة بالرأي من جانب السفراء المصريين بالخارج وتلقي تصوراتهم وإسهاماتهم الموضوعية حول كيفية دعم أو استكمال خطط التفاوض المصرية من خلال اتصالات موازية مع مختلف الأطراف الدولية سواء المعارضة لخطوات التسوية أو المتحفظة عليها، أو المترددة في اتخاذ مواقف واضحة. ويذكر الدكتور أسامة الباز أن بعض هذه الإسهامات الواردة من سفراء مصر بالخارج ومن بعض الخبراء المصريين والعرب كان لها دورها غير المنكور في إضافة بعض المعلومات القيمة التي ساعدت في دعم وتعزيز الموقف المصري في المفاوضات. ويذكر على وجه التخصيص رسائل هامة من السفير المرحوم الدكتور محمود سمير أحمد سفير مصر في روما آنذاك ورسائل متعددة من سفيرنا في واشنطن أشرف غربال كما يذكر البحث القانوني الممتاز الذي قدمه الدكتور جورج أبوصعب (لبناني) أستاذ القانون الدولي بجامعة جنيف عن موضوع (إنهاء حالة الحرب في القانون الدولي).وكذلك الدراسة التي أعدها د. محمد عز الدين الوزير المفوض بسفارة مصر في بروكسل عن (الحدود الشرقية لمصر).

وبالنسبة للدور الأمريكي ومواقف الولايات المتحدة خلال عملية التفاوض فيبدو من أوراق الدكتور الباز العديدة أنها مرت بعدة مراحل تباينت خلالها درجات التحمس ومستويات الحياد، وتأرجح الموقف الأمريكي أكثر من مرة بين حرارة الأمل في إنجاز شيء تاريخي وبين برودة الإحباط ومرارة الشعور بإهدار الوقت والجهد في وساطة نوعية غير مسبوقة في الخبرة الأمريكية بين العرب والإسرائيليين.

وتشير إحدى أوراق الدكتور الباز التي كتبها بخط يده في أحد التقييمات المرحلية للموقف الأمريكي إلى أن شعبية الرئيس كارتر داخل الولايات المتحدة تتجه إلى الهبوط، وأن البعض يصفه بعدم القدرة على الحسم DECISIVNESS، وأنه كلما اقترب الوقت من الانتخابات الرئاسية فسوف يكون مشغولًا عن متابعة الرعاية الكاملة للمفاوضات بالوتيرة والحماسة التي بدأ بهما. ومع ذلك يشير الدكتور أسامة الباز إلى نزاهة الرئيس كارتر حين أثار موشيه ديان أمامه وفي حضور الباز موضوع «تبادل السفراء» بين مصر وإسرائيل وضرورة النص على ذلك في صلب المعاهدة، فإذا بكارتر يرد عليه بأن إسرائيل قد سحبت موافقتها على الترتيبات الزمنية للانسحاب الأول وأن موافقة الرئيس السادات كانت مقترنة بهذا الشرط، ونتيجة لسحب إسرائيل موافقتها على هذه التوقيتات الزمنية Sub phases فقد طلبت مصر هذا التعديل، وأكد كارتر أن ذلك الموقف المصري أمر طبيعي أمام الرجوع الإسرائيلي عن شيء سبق قبوله.

وفي تقييمات أخرى للدكتور أسامة الباز رأى أن قدرة الجانب الأمريكي في الضغط على إسرائيل لن تكون كبيرة، ورغم تكرار المطالبة المصرية بضرورة قيام الإدارة الأمريكية بضغط أكبر واتخاذ مواقف أكثر إيجابية لمحاولة تغيير الموقف الإسرائيلي فإن الواضح أنها لم تمارس هذا الدور في بعض المراحل بإيجابية كافية.

وكان الدكتور الباز يقدم للرئيس السادات تقييمات بضرورة تمسك المفاوض المصري بموقفه وعدم قبول أي حلول وسط أخرى حتى ولو أدى الأمر إلى رفض الجانب الإسرائيلي أو إلى تأخير التوقيع. وذكر الباز في أحد تقييماته أنه «في هذه الحالة يمكن لمصر أن تعلن أنها لم تتخل عن السلام ولا عن اتفاقيات كامب ديفيد، وأنها ستكون على استعداد للتوقيع عندما يكون الجانب الإسرائيلي مستعدًّا لقبول ما تم التفاوض بشأنه، وأنه في حالة عدم توقيع الجانب الإسرائيلي

فسوف يكون على الطرفين -الأمريكي والمصري- الحفاظ على استمرار علاقاتهم وزيادة المعونات الاقتصادية وتنفيذ الاتفاق العسكري ضمانًا للاستقرار.

■■■

وأما بالنسبة للمسرح العربي فقد اتسم بالانقسام بين مجموعة من الدول والقوى السياسية التي أبدت اعتراضها واستنكارها منذ زيارة الرئيس السادات للقدس في عام 1977، وقامت حينها في مؤتمر جبهة الصمود بطرابلس بتجميد علاقاتها السياسية والدبلوماسية مع مصر وتطبيق قرارات المقاطعة العربية على الشركات والأفراد المصريين المتعاملين مع إسرائيل، وقد ضمت هذه المجموعة (ليبيا والعراق واليمن الجنوبي والجزائر ومنظمة التحرير الفلسطينية) ثم اتسعت هذه المجموعة في مؤتمر بغداد الذي عُقد عقب توقيع اتفاقيات كامب ديفيد مباشرة لتشمل بقية الدول العربية فيما عدا (السودان وسلطنة عمان والصومال). وفي هذا المؤتمر صدرت القرارات الخاصة بمقاطعة مصر اقتصاديًّا وتجاريًّا وبتروليًّا، إلى جانب قرار تعليق عضوية مصر بالجامعة العربية ونقل مقر الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس.

ومن ناحية أخرى اتخذت عدة منظمات ومؤسسات واتحادات عربية قرارات، إما بتجميد عضوية مصر فيها، أو بنقل مقارها من القاهرة إلى عواصم عربية أخرى وحظر القروض المقدمة إلى مصر، أو إغلاق مكاتبها في العاصمة المصرية وإيقاف العمل في المشروعات الثنائية التي كانت مصر طرفًا فيها.

ورغم كل هذه الأجواء العربية السلبية والضاغطة فقد حرصت مصر من الناحية الرسمية على عدم اتخاذ مواقف مضادة وعنيفة، وكان من رأي الدكتور أسامة الباز أن تحافظ مصر على بقاء سفاراتها في جميع عواصم الدول العربية. ورغم المواقف الفلسطينية الرافضة للمساعي المصرية فإن الجانب المصري حرص على إدراج الحقوق الفلسطينية في مفاوضاته، وكان ذلك يمثل أبرز

المعضلات التي واجهت مصر خلال مراحل التفاوض المختلفة مع الجانبين الإسرائيلي والأمريكي. وكان مكمن الصعوبة والتعقيد في موضوع الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة - من وجهة نظر الدكتور أسامة الباز- هو كيفية تسويق النتائج لدى الفلسطينيين حتى لو تحقق أكبر قدر من الإيجابية فيها وبغير أن يكونوا طرفًا في التفاوض عليها، وما هي الإطارات والتوقيتات الملائمة لاشتراكهم في تلك المفاوضات؟ وهل يكون هذا الاشتراك رمزيًّا أم فعليًّا وعمليًّا؟ وإذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية ترفض العملية من أساسها فمن هي الأطراف أو الشخصيات الفلسطينية التي يمكن إشراكها في تلك المفاوضات؟ وهل تكون تلك الأطراف من الضفة وغزة أم من غزة فقط؟ وما هو الدور الذي يمكن أن يقوم به العاهل الأردني للمساعدة في هذا الموضوع؟

سيطرت كل هذه التساؤلات على تفكير أسامة الباز فيما كان يخطه بقلمه من تقييمات مرحلية في بداية عام 1979، وكان هاجس الفشل في تلك المفاوضات بين مصر وإسرائيل مقلقًا للغاية، حيث راح يتساءل: «كيف سيكون عليه الوضع عندما يكون الإسرائيليون قد بدءوا انسحابهم المرحلي ونكون نحن قد بدأنا في تطبيع العلاقات ثم يحدث فشل في مفاوضات الحكم الذاتي؟ وما هي الكروت السياسية التي تساعد مصر عند التعامل مع هذا الاحتمال؟ وإذا أدت الانتخابات الأمريكية إلى ظهور قيادة أمريكية جديدة لا نعرفها فكيف سيكون التصرف؟ وأي نوع من رد الفعل ستتخذه الأطراف العربية المقاطعة لمصر آنذاك؟

عملت مصر على موازنة العزلة العربية المفروضة عليها بتنشيط اتصالاتها مع دول حركة عدم الانحياز (وبإنشاء) «جامعة الشعوب العربية والإسلامية» تعويضًا عن تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية. كما وطدت اتصالاتها مع القيادتين السودانية والعمانية اللتين لم تشتركا في مقاطعة مصر واحتفظتا بعلاقاتهما كاملة مع القاهرة. ويذكر الدكتور أسامة الباز أن الرئيس السوداني

السابق جعفر نميري وجلالة السلطان قابوس كانت لهما أدوارهما المهمة كجسور للتواصل ونقل الرسائل بين الجانب المصري والعديد من القيادات العربية التي قاطعت مصر في العلن، كما كان لكل منهما أيضًا مقترحات وجيهة من أجل إعادة توحيد الصف العربي. كذلك كانت للملك فهد في قمة فاس 1982 مبادرة جيدة تبنى على ما حققته مصر من خطوات، وكان لهذه المبادرة أثرها في تخفيف حدة القطيعة بين الدول العربية ومصر. ومن ناحية أخرى كانت للعاهل الأردني في عام 1984 اقتراحاته المهمة حول كيفية توظيف اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية في الضغط على الولايات المتحدة وإسرائيل باتجاه العمل نحو تسوية سلمية متوازنة وشاملة على أساس مبدأ «الأرض مقابل السلام».

ورغم الموقف العلني الرافض الذي اتخذته قيادة منظمة التحرير الفلسطينية من زيارة القدس واتفاقيات السلام اللاحقة عليها، فقد لوحظ حرص القيادات الفلسطينية بمن فيها الرئيس عرفات وشقيقه السيد فتحي عرفات على الاحتفاظ بقنوات مفتوحة لاتصالاتهم مع مصر، وكان مكتب الدكتور أسامة الباز هو أبرز تلك القنوات.

تحديات السلام بعد التوقيع على الاتفاقات أو: فن إدارة الصراع في مرحلة الثمانينيات

مع اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات في أكتوبر 1981 - وقبل أن يتم انسحاب جميع القوات الإسرائيلية من شبه جزيرة سيناء حسب الجداول الزمنية التي تضمنتها ملاحق المعاهدة، ظهرت لدى الجانب الإسرائيلي بعض المخاوف من تغير القيادة المصرية في تلك المرحلة الدقيقة، ومدى التزام القيادة الجديدة في مصر بنصوص وروح معاهدة السلام.

إذ لاحظوا خفوتًا تدريجيًا في نغمة الحديث عن آفاق السلام داخل الصحف وأجهـزة الإعلام الرسـمية المصرية، مع تصاعد نغمة التقـارب بين مصر والعالم العـربي، وفي نفـس الوقت لاحظـوا أن الدعاية المعادية للاتحاد السـوفيتي بدأت تتراجع في الخطاب السياسي الرسمي والإعلامي ليحل محلها حديث آخر يذكر الناس بأهم المشروعات الاقتصادية التي قدمها الروس لمصر. وأهم من كل هذه المؤثرات -كما يقول د. أسـامة الباز- أن الرئيس الجديد حسـني مبارك قد وضع الولايـات المتحـدة كواحـدة من بـين عدة دول شـملتها أولى جولاتـه الخارجية بعد توليه الرئاسـة، إذ تعمد أن تبدأ رحلتـه في فبراير 1982 بإيطاليا والفاتيكان وفرنسـا ثم الولايات المتحدة ثم يعقبهـا في رحلة العودة المملكة المتحدة وألمانيا. كما لوحظ أن البيانات الثلاثة التي صدرت خلال زيارة الرئيس مبارك للولايات المتحدة ولقاءاته مع الرئيس الجديد رونالد ريجان قد خلت من الإشارة إلى كامب ديفيد.

حـاول الإسرائيليـون جـس النبـض والتباطـؤ في تنفيذ مراحل الانسـحاب المقرر من سـيناء وتعديل بعض مواعيدها والتعلل في ذلك بأسـباب ضعيفة، كما أصر الجانـب الإسرائيـلي على أن نقاط الحدود في منطقة (طابا) غير واضحة وأن استثماراتهم الكبيرة في هذه المنطقة ترتب لهم حقًّا في الاحتفاظ بسيطرتهم عليها. ولكن الجانب المصري تمسـك بضرورة تحقيق الانسحاب الإسرائيلي في مواعيده المتفـق عليها وحسـب الخطط والمراحل التي سـبق الترتيب لهـا في عهد الرئيس السـادات. وأمام تمسك مصر بموقفها المطالب باسترداد كامل السيادة على طابا وإصرار إسرائيل على موقفها وتعليق انسـحابها من سيناء على هذا الأمر تمكنت الدبلوماسية المصرية من إجهاض هذه المماطلات المصطنعة، وتوصلت إلى اتفاق عـلى إتمام الانسـحاب الإسرائيلي من سـيناء في مواعيده مع رفع مسـألة طابا إلى محكمـة تحكيم دولية للبـت في المواقع الأصلية لعلامات الحـدود، وكان الجانب المـصري عـلى يقين بأن ما لديـه من أدلة ووثائـق وخرائط وقرائن سـوف يكفي

لإنصافه وتأكيد سلامة دعواه. وأتمت إسرائيل بالفعل انسحابها من سيناء، وتم رفع العلم المصري على آخر نقطة احتلال في 25 إبريل 1982، وكتب د. أسامة الباز مشروع خطاب الرئيس في تلك المناسبة التاريخية مستذكرًا فيه شهداء مصر الذين ضحوا بحياتهم في مراحل طويلة من أجل الوصول إلى هذه المحطة العظمى.

ولكن الدكتور أسامة اعتبر أن هذه المرحلة المهمة لن تكتمل قيمتها السياسية والتاريخية والمعنوية بالنسبة للشعب المصري إلا إذا نجحت مصر في استعادة طابا من خلال الوسيلة التي رأتها مناسبة وهي التحكيم. وأخذ الدكتور الباز على عاتقه طوال الفترة من عام 1983 وحتى صدور الحكم في عام 1988 توفير كل الفرص والإمكانيات أمام هيئة المحامين المصرية وخبرائها ومساعديهم، كما لا شك أسعدته استجابة الرئيس مبارك لفكرة إنشاء هيئة قومية عليا للإشراف على مفاوضات طابا وتكون ذات صفة وطنية تعلو على الانتماءات الحزبية وتضيف إلى المهمة طابعًا قوميًّا وجماعيًّا مهمًّا.

كان التحدي الآخر الذي واجه مصر في مرحلة ما بعد السلام هو الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 والذي دمرت فيه معسكرات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت وطرابلس وبعض مناطق الجنوب وضغطت على منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها من أجل إخراجها من لبنان. ويروي الدكتور الباز عن الموازنات الدقيقة التي شغلت القيادة المصرية وشغلته شخصيًّا في التعامل مع هذا التطور الخطير وفي تلك المرحلة الحساسة من عهد الرئاسة المصرية الجديدة. واستنادًا إلى تخصصه القانوني وخبرته السياسية، وانطلاقًا أيضًا من الاعتبارات القومية التي حافظ عليها طويلًا في مشوار حياته فضلًا عن معرفته الوطيدة بشخصية الرئيس مبارك، أخذ الدكتور أسامة الباز على عاتقه إدارة رد الفعل المصري إزاء هذا العدوان الإسرائيلي، وكتب بخط يده بيان الاستنكار الرسمي الذي صدر عن مصر لهذا العدوان، وقدم للإعلام تفسيراته القانونية

لما ورد في معاهدة السلام من نصوص حاول الإسرائيليون تطويعها من أجل تكبيل حرية مصر في اتخاذ مواقف ناقدة أو معارضة لتصرفاتهم الاستفزازية. ولم يكتف الباز بهذا الموقف المبدئي الشجاع بل عرض قيام مصر بدور عملي لتأمين السلامة الشخصية للقيادة الفلسطينية عند خروجها من طرابلس، وحصل على موافقة الرئيس مبارك على قيامه بمهمة إلى بيروت في هذا الصدد.

ومن التحديات الأخرى التي واجهتها مصر في بدايات الثمانينيات والتي أسهم الدكتور الباز في التعامل معها تكرُّرُ الانتهاكات الإسرائيلية للحدود المصرية في سيناء وتذرعها في ذلك بمبررات واهية من قبيل منع تهريب المخدرات، والاشتباه في تحريك قوات مصرية بالقرب من الحدود، أو خطأ بعض الطيارين الإسرائيليين في تقدير المسافات. وكان الدكتور الباز يشترك مع المرحوم السفير الشافعي عبدالحميد وكيل الوزارة المسئول آنذاك عن قطاع إسرائيل والشئون العربية والشرق الأوسط - في تقديم مذكرات الاحتجاج الرسمية وفي استدعاء السفير الإسرائيلي بالقاهرة لتنبيهه إلى خطورة هذه الظاهرة المتكررة.

ومن ناحية أخرى -وبناء على ما ورد في الاتفاق الإطاري للسلام الذي سبق توقيعه بين الجانبين المصري والإسرائيلي حول بدء مفاوضات حول الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة- ورغم الصعوبات السياسية والعملية التي كان الدكتور أسامة الباز يخشى مواجهتها بسبب عدم اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فيها - رأت القيادة السياسية في مصر أهمية السعي حثيثًا من أجل التوصل إلى اتفاق يصلح أن يكون الحد الأدنى المقبول للفلسطينيين ثم عرضه عليهم إما للتوقيع والتنفيذ أو لاتخاذه أساسًا يصلح لبدء مفاوضاتهم المباشرة مع إسرائيل حين يقررون ذلك بأنفسهم.

وفي إطار المفاوضات المصرية الإسرائيلية حول هذا الموضوع والتي استمرت لأكثر من عشر سنوات نجحت مصر في إدخال المملكة الأردنية طرفًا

في المباحثات، كما نجحت في اجتذاب العديد من الشخصيات والمؤسسات الفلسطينية للإدلاء بآرائها والتعبير عن طلباتها وتوقعاتها. كما كان لمصر -من خلال الدكتور أسامة الباز- دور مهم في التمهيد للاتصالات التي أجرتها الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق سفيرها في تونس بيلترو مع ممثل منظمة التحرير الفلسطينية حكم بلعاوي، وفي تحقيق الاعتراف الأمريكي ومنظمة التحرير الفلسطينية، وفي إعلان قيام الدولة الفلسطينية من جانب واحد عام 1988 بعد أن تم إقناع الرئيس ياسر عرفات والمجلس الوطني الفلسطيني المنعقد بالجزائر في نفس العام بالاعتراف بقرار مجلس الأمن رقم 242 الذي يعتبر في حد ذاته أول اعتراف فلسطيني رسمي بدولة إسرائيل. وفي تقدير الدكتور الباز فإن كل التطورات التي حدثت فيما بعد من اتصالات سرية تمت في النرويج بين القيادي الفلسطيني محمود عباس ممثلًا للرئيس عرفات وبين الجانب الإسرائيلي تحت الرعاية الأمريكية - لم يكن لها أن تقوم أصلًا إلا على الأساس القوي الذي مهدته مصر للفلسطينيين في مفاوضاتها من أجل الحكم الذاتي. كذلك يرى أن مواقف مصر القومية التي اتخذتها تجاه القضايا العربية المستجدة كالعدوان على لبنان، والحرب العراقية الإيرانية، والغارات الأمريكية على طرابلس كان لها تأثيرها في تطوير مواقف الدول العربية من مصر والتمهيد لعودة العلاقات معها.

وكانت أفضل اللحظات التي مر بها الدكتور الباز في حياته الدبلوماسية والسياسية تلك التي أعلنت فيها القمة العربية المنعقدة في عمان عام 1989 دعوة مصر لاستئناف عضويتها الكاملة في الجامعة العربية وفتح الباب أمام الدول العربية لإعادة تمثيلها الدبلوماسي في القاهرة، وهو ما يعتبر اعترافًا عربيًا بصدق الجهود المصرية وصحة خطواتها السياسية وقدرتها في إدارة الصراع العربي الإسرائيلي.

حصاد السلام في سنوات التسعينيات

رغم ما أدى إليه غزو العراق للكويت في صيف عام 1991 من عودة الانقسام إلى الصف العربي فإنه كان سببًا في تنشيط الجهود الأمريكية من أجل تحقيق خطوات جديدة في اتجاه خلخلة الجمود القائم آنذاك في إطار الصراع العربي الإسرائيلي والمشكلة الفلسطينية تحديدًا.

فقد أدى الغزو العراقي المفاجئ للكويت إلى تحرك القوات الأمريكية لحماية مصالحها البترولية هناك وتأمين منطقة الخليج العربي من التهديدات العراقية المحتملة، وهو الأمر الذي أدى إلى انقسام في الصف العربي بين مجموعة دول تؤيد المشاركة في تحرك عسكري مع الولايات المتحدة لتحرير الكويت ومجموعة دول أخرى تعترض على تدخل القوات الأمريكية ذاتها، وتستنكر أن يكون هناك دعم عربي لهذا التدخل.

وأمام فداحة الخطوة العراقية، وخطورة ما كشفت عنه من هشاشة الوضع الأمني في الخليج وخاصة بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران وبدء مزايداتها على المواقف العربية تجاه إسرائيل، رأت واشنطن ضرورة التلميح للأطراف العربية المناوئة أو المترددة في دعمها لعملية عاصفة الصحراء -بأنها- أي الإدارة الأمريكية - مستعدة لاتخاذ خطوات جادة في تحريك السلام النائم بين إسرائيل والأطراف العربية التي لا تزال أراضيها محتلة. وحين وضعت الحرب أوزارها، وتمت عملية تحرير الكويت بنجاح، بدأت الأطراف العربية في مطالبة الولايات المتحدة بالوفاء بما وعدت به.

دعت الولايات المتحدة إلى عقد مؤتمر دولي للسلام في مدريد برعاية مشتركة بينها وبين الاتحاد السوفيتي. ورغم الصعوبات السياسية العديدة التي يرويها الدكتور أسامة الباز -والتي تتعلق بتحديد الأطراف التي تشارك في هذا المؤتمر، وتشكيل الوفد الفلسطيني المشارك فيه بالذات، وتحديد الدور الذي يمكن أن

تقوم به الأمم المتحدة في أعمال المؤتمر وفي متابعة نتائجه- فإن الآمال الكبيرة التي عُلِّقت عليه كانت أكبر من هذه الصعوبات.

انعقد المؤتمر في مدريد عام 1991 وأسفر عن مخطط متكامل لمتابعة عملية السلام على مسارين متوازيين أولهما المسار الثنائي الذي يشمل مفاوضات إسرائيلية سورية وأخرى إسرائيلية لبنانية، ثم مفاوضات إسرائيلية أردنية يدخل فيها الفلسطينيون من خلال الوفد الأردني. وأما المسار الثاني فكان للقضايا متعددة الأطراف التي تشارك فيها عدة دول عربية أخرى وإسرائيل مع بعض الأطراف الأخرى ذات الصلة بالشرق الأوسط كتركيا والاتحاد الأوروبي واليابان. وقد شملت تلك القضايا متعددة الأطراف: (اللاجئين والحد من التسلح والأمن الإقليمي، والمياه، والبيئة، والتعاون الاقتصادي الإقليمي).

وقد لاحظ الدكتور الباز أن الاتحاد السوفيتي رغم أنه كان من الناحية السياسية والمراسمية مشاركًا للولايات المتحدة في رعاية هذه المسارات فإن دوره العملي بدأ في التقلص بسبب مشكلاته الداخلية الضاغطة، وتنامي حركات التمرد القومية في بعض الجمهوريات السوفيتية، والتي تصاعدت في عهد جورباتشوف إلى درجة بدأ عندها نظامه الاتحادي في التفكك. وقد تزامن ذلك مع تصاعد الحركات الليبرالية المناوئة للأحزاب والنظم الشيوعية الحاكمة في كل من بولندا ورومانيا والمجر وبلغاريا حتى وصل الأمر إلى حد الثورات الشاملة التي أطاحت بالحكام الشيوعيين والإعلان عن تفكك حلف وارسو.

انفردت الولايات المتحدة بعملية الرعاية الفعلية لما تمخض عن مؤتمر مدريد من مسارات تفاوضية، ونجحت في تحقيق اختراق تاريخي هام على المسار الفلسطيني الأردني الإسرائيلي وذلك بالتوصل إلى اتفاق أوسلو عام 1993 بإنشاء سلطة وطنية فلسطينية في الضفة الغربية وغزة ذات صلاحيات إدارية للحكم الذاتي وذلك لفترة انتقالية مدتها خمس سنوات يتم بعدها البت في

قضايا التسوية النهائية ومنها: (القدس) و(اللاجئون) و(الحدود الفلسطينية)، ونجحت الولايات المتحدة أيضًا في التوصل إلى اتفاق سلام آخر بين الأردن وإسرائيل تم توقيعه في وادي عربة عام 1994 متضمنًا الاعتراف المتبادل بين الدولتين وتبادل السفراء وتطبيع العلاقات. كما نجحت الولايات المتحدة والأطراف الأوروبية في تحريك العمل باللجان متعددة الأطراف وخاصة لجنتي (التعاون الاقتصادي الإقليمي) (والبيئة)، أما لجنة (الحد من التسلح) فقد تعثرت خطواتها أمام تمسك إسرائيل بسياسة الغموض النووي التي تتبعها، ورفضِها الانضمام إلى نظام الرقابة والتفتيش الدولي التابع للوكالة الدولية للطاقة الذرية، مما أدى إلى توقف شبه تام لأعمال اللجنة.

وفي تقييم أعده الدكتور أسامة الباز لحصيلة ما تم من خطوات سلمية في منطقة الشرق الأوسط خلال عقد التسعينيات جاء ما يلي:

أولًا: إن خطوة إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية ودخول القيادات الفلسطينية التاريخية إلى أراضي الضفة الغربية وغزة تعتبر في حد ذاتها مكسبًا للفلسطينيين وبداية الطريق إلى إنشاء دولتهم المستقلة.

ثانيًا: إن التحديات الديمقراطية التي يواجهها العمل الفلسطيني ابتداء من تلك المرحلة وممارسته لحقوق الترشح والانتخاب واختيار ممثليه وإدارة حياته اليومية تحتاج إلى مواصلة ومثابرة وارتفاع فوق الموروث العشائري والفصائلي والجهوي، وهو اختبار حقيقي لقدرة الشعب الفلسطيني في استيعاب أصول العمل المؤسساتي الشرعي والمنظم والشفاف.

ثالثًا: إن دور إسرائيل في إنجاح أو إفشال تجربة الحكم الذاتي الفلسطيني خلال السنوات الخمس الأولى يعتبر مسئولية قانونية وسياسية وتاريخية وأخلاقية، ولن يغفر لها القانون الدولي ولا القانون الأخلاقي

أيـة ممارسـات يكون من شـأنها تعطيل هـذه التجربـة أو التحايل عليها أو إطالة مدتها.

رابـعًا : إن السـعي مـن جانـب الأطراف الأمريكيـة والأوروبية لوضع أسـس التعاون الاقتصادي بين العرب وإسرائيل لا يوازيه أدوار نشطة أوكافية تقوم بها تلك الأطراف في التمهيد لمعالجة قضايا الحل النهائي بما في ذلك التمهيد لإقامة دولة فلسطينية مستقلة، وبما في ذلك أيضًا تحقيق التوازن العسكري والأمني المفترض بين إسرائيل والدول العربية.

خامسًا: إن الـدول والـشركات ورءوس الأمـوال العربية مطالبة بـأن تتمهل في خطـوات التطبيع التـي تطلبها إسرائيل منهـا، وأن تكون سرعة الخطى في هذا الشـأن محسـوبة بدقة وإحكام ومن خلال تنسـيق يجري مع دول الطوق المباشر(*).

سادسًا : إن المسـار التفـاوضي الخـاص بالجبهـة السـورية الإسرائيليـة، والجبهة اللبنانيـة الإسرائيليـة ينبغـي أن يحظـى بدعم ودفـع من جانـب الرعاة الرئيسـيين لعمليـة السـلام، وينبغـي أن تعـترف إسرائيـل بمرجعيات الشرعيـة الدولية التي تحكم هذا التفاوض وهي قرار مجلس الأمن رقم 242 الصادرعام1967، ومبدأ «الأرض مقابل السلام» المقرر في مؤتمر مدريد.

سابعًا : وأخـيرًا فإن كل ما تحقـق وما يمكن أن يتحقق من إنجازات في مسـيرة التسـوية السـلمية للـصراع العـربي الإسرائيـلي مـا كان لـه أن يصل إلى هـذه النقطة لـولا شـجاعة الرؤية والمبـادرة لـدى القيـادة المصرية منذ

(*) يشار هنا إلى النقاش الطويل الذي دار داخل المؤسسات السيادية في مصر قبل الموافقة على استضافة المؤتمر السادس للتعاون الاقتصادي الإقليمي على الأرض المصرية، وهو نقاش يكشف عن عمق المسئولية المصرية والاعتبارات المبدئية والقانونية والعملية التي تحكم سلوكها السياسي وقراراتها بالنسبة لمراحل الصراع والتسوية في المنطقة.

عـام 1977، وإن العـرب إذا مـا نسـقوا المواقف مع مـصر يمكنهم أن يحققوا المزيد من المصالح والمكاسب، وعلى مصر دومًا أن تضع خبراتها التفاوضية والفنية والقانونية في خدمة المفاوضين العرب الآخرين.

■■■

ملامح منهج الباز في إدارة الصراع والتسوية

تميز أسـلوب الدكتور أسـامة البـاز في معالجاته ومتابعاتـه لتطورات الصراع العربي الإسرائيلي ولخطوات التسـوية السـلمية - بما فيها المفاوضات والتحكيم واللقاءات - بعدد من الملامح المنهجية أبرزها ما يلي:

1 - الرجـوع في كثـير من الأحيان إلى قـراءات متنوعة في التاريـخ والقانون الـدولي والعلاقـات الدوليـة والجغرافيا السياسـية بهـدف التعرف على السوابق التاريخية ومقارنتها بما يحدث من تطورات وسياسات ومواقف جديـدة، والتقـاط ما قـد يصلح في هـذه القـراءات من أفـكار ومخارج أو تصورات تفيد في ترشيد الرؤية المصرية وتحصيبها بالأسانيد والآفاق والمحاذيـر المحتملـة. وقـد وجدنـا في مكتبة الدكتـور الباز عـددًا كبيرًا مـن المؤلفـات والمراجـع والأبحاث التي رجـع إليهـا في مراحل مختلفة مـن مفاوضات التسـوية، والتي لوحظ فيها تنـوع مصادرها وخلفيات أصحابها ومواقفهم من الصراع والتسوية، وهو ما يميز عملية التحصيل المعرفي لدى الدكتور الباز عمومًا. ومن بين هذه الدراسات:

- دراسـة أعدهـا الدكتـور جورج أبو صعب أسـتاذ العلاقـات الدولية بجامعـة جنيـف في عـام 1977 عن (إنهـاء حالة الحـرب في القانون الدولي).

- مقال للكاتب الأمريكي السياسي ستيفن اسبيجل بعنوان Toward a middle east alternative منشورة بمجلة Commentary – عدد فبراير 1979.
- كتاب (آه... يا أورشليم – Oh Jerusalem للكاتب الصحفي اليهودي أموس ألون والذي أعاد الدكتور الباز قراءته في إطار إعداده لمشروع خطاب الرئيس السادات أمام الكنيست الإسرائيلي عام 1977.
- دراسة أعدها ثلاثة من أبرز الكُتَّاب السياسيين والباحثين بمؤسسة الأهرام عام 1972 بعنوان (تسوية القضية الفلسطينية على ضوء تحولات النظام الدولي وموجة التسويات الإقليمية) إعداد الأساتذة لطفي الخولي وعبدالمنعم سعيد ومحمد السيد سعيد.
- أعمال الندوة التي نظمتها مؤسسة دار الهلال عام 1992 بعنوان (مائة عام من التنوير والتحديث) والتي طالع منها الدكتور الباز دراسة الدكتور حسن حنفي عن (الموقف من الغرب – الماضي والحاضر والمستقبل).
- بحث الدكتور حسن نافعة بعنوان (إشكاليات وآليات التحول من السلام البارد إلى السلام الطبيعي).
- بحث أعده الدبلوماسي الأمريكي ويليام كوانت عام 1981 بعنوان: (American strategic concerns in the middle east and Persia gulf).

2 – اللجوء بين الحين والآخر إلى أسلوب الرصد التراكمي للظواهر ذات الطابع المتكرر أو التي يمكن أن تتكرر وذلك من أجل التعرف على الخط البياني لحدوثها ووتيرة تكرارها، والاستدلال بها في التحقق من اتجاه الأحداث إما تقدمًا أو تأخرًا. وقد قام الدكتور الباز بإجراء هذا

الحصر التراكمي بنفسه أو بمساعدة أعضاء مكتبه أو الإدارات الأخرى بوزارة الخارجية، وذلك في أكثر من موضوع على سبيل المثال:

- حصر دوري متجدد للأعمال الإسرائيلية التي تشكل انتهاكًا لبنود أو روح معاهدة السلام.
- حصر دوري ومتجدد للخطوات التي أقدمت عليها مصر في إطار تطبيع علاقاتها مع إسرائيل.
- حصر كامل بكافة قرارات المقاطعة التي تعرضت لها مصر من جانب الدول والمنظمات والاتحادات والنقابات والصناديق العربية في الفترة من 1977 وحتي عام 1989.
- حصر كامل ومتجدد بكافة القرارات الدولية الصادرة بشأن قضايا الصراع العربي الإسرائيلي عمومًا والقضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني على وجه الخصوص.
- حصر كامل بكافة الخطوات والإجراءات التي اتخذتها مصر لدعم المواقف العربية والحفاظ على المصالح العربية حتى في أوقات القطيعة مع مصر.

3 - استخدام أسلوب الجداول المقارنة لرصد وفحص نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف بين النصوص المطروحة للتفاوض وتعديلاتها الكثيرة. ونستطيع أن نجد لدى الدكتور أسامة الباز جداول عديدة تتضمن مقارنات بين النصوص المقدمة من الجانب الأمريكي وتلك المقدمة من الجانب الإسرائيلي وإلى جانبها النصوص المقترحة من الجانب المصري.

- سواء لبنود مشروع معاهدة السلام أو لنصوص الخطابات المتبادلة بشأن الحكم الذاتي للفلسطينيين.

4 - الاهتمام بمطالعة السير الذاتية لأشخاص الحكام والمفاوضين في الفريق المقابل وبرامجهم الحزبية ومواقفهم السياسية وأوضاعهم الاجتماعية

وحتى علاقاتهم الشخصية فيما بينهم، وقد أفاد هذا المنهج الدكتور الباز وغيره من أعضاء الفرق التفاوضية المصرية في تفسير بعض حالات التشدد من جانب بعض أفراد الفريق الإسرائيلي، وفي تفسير ميول البعض منهم في التقرب إلى مصر وزيارتها أكثر من مرة، كما أفاد تقييم وتحليل الجانب المصري لبعض حالات التشدد والاستعجال التي اتسم بها موقف الرئيس كارتر في بعض مراحل التفاوض وخاصة عند اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية في أمريكا.

5 - ورغم حرص الدكتور أسامة الباز على تأكيد التمييز بين النظرة إلى اليهودية كديانة سماوية والنظرة إلى الحركة الصهيونية كمشروع سياسي استيطاني توسعي، ورغم اقتناعه الشخصي بأن تجارب الشتات اليهودي قد ولدت لدى الكثير منهم مخاوف مشروعة، ورغم حرصه أيضًا على تذكير الجانب الإسرائيلي بملامح التعايش السلمي والإيجابي التي تمتعت بها الأقليات اليهودية في مصر والبلاد العربية لسنوات طويلة فإنه لم يسلم من الحملات الضارية التي شنتها عليه آلة الدعاية الإسرائيلية فوصفته مرة (بالمعاداة للسامية) ومرة أخرى (بالخنجر المسموم الذي وضعته مصر في فريقها المفاوض من أجل تقويض دولة إسرائيل وأمن شعبها) وكتبت عنه صحيفة (جيروسالم بوست) الإسرائيلية: «أنه رجل يخفي كراهيته لليهود خلف قناع لاعب البوكر.. فهو يصافح القادة اليهود والأمريكيين بحرارة.. مستعرضًا مهارة الثعبان الناعم».

الفصل السابع

الثقافة والفنون في حياة أسامة الباز

يدهش المرء حين يحاول حصر أسماء المفكرين والكتاب والعلماء الذين أحاطوا الدكتور أسامة الباز وأحاطهم بتلك العلاقة الفكرية الدافئة والاحترام المتبادل، والتي خلت تمامًا مما يحيط العلاقة بين أهل الفكر وأهل السلطة في أغلب الأحوال من تناقضات أو صراعات أو مظاهر تملق أو نفاق. وكان من ذكاء أسامة الباز – أو قل من طبيعته – حرصه على الظهور كمفكر مستقل لا تقيده اعتبارات موقعه الرسمي في هيكل الدولة دون إبداء ملاحظاته وأفكاره الحرة، وحرصه أكثر على عدم الذوبان في شخصية حاكم بذاته أو «شلة» بعينها من «شلل» ومراكز القوى السياسية أو مجموعات المصالح، أو أصحاب الأفكار الأيديولوجية المُقَوْلَبَةِ. وكان يفضل أن يعايش أهل الفكر والعلم والثقافة كواحد منهم، يبادلهم الرأي والفكرة بكل حرية وبغير تكلف أو اصطناع.

ورغم أن بعض هؤلاء المفكرين كانوا يقدرون له بالأساس دوره «كجسر واع ومؤتمن بينهم وحكام الدولة» – كما وصفه الأستاذ أحمد بهاء الدين ذات مرة – فإن أغلبهم كان يدرك أيضًا قيمته الذاتية «كرجل فكر ورؤية وصاحب حس تاريخي دقيق» كما كتب عنه الأستاذ طارق حجي في إحدى رسائله.

كان أسامة الباز يشعر حين يلتقي أديبًا أو مفكرًا أو مؤرخًا أو عالمًا أو فنانًا أن هناك لغة مشتركة في الخطاب تجمعهم به وتجمعه معهم، ربما بأكثر من لغة

الخطـاب في دهاليـز الإدارة ومجالس السياسـة. وكانوا هم يشـعرون بأن وجود رجل مثقف ومفكر وخلوق كأسـامة الباز بالقرب من قيادة البلاد يجعلهم أكثر أمانًـا واطمئنانًـا إلى نزاهـة المعالجة مـن جانب السـلطة لقضايا الفكـر والإبداع وحرية التعبير.

وبقـدر ما أفـاد الدكتور أسـامة الباز عالم الفكـر والثقافة والعلوم السياسـية والصحافـة من خـلال كتاباته المنشـورة في الداخل والخـارج، وباللغتين العربية والإنجليزيـة، ومن خلال محاضراته التي قدمها أمام أسـاتذة وطلاب العشرات مـن الجامعـات المصرية والعربيـة، والحلقات الدراسـية ومراكـز البحوث، وفي النـدوات الدوليـة، ومـن خـلال أحاديثه الإعلاميـة فقد حرص أيضًـا في عمله السياسي على الإفادة مما يطالعه من أعمال علمية ومؤلفات ومقالات، ومما يصل إليه من رسـائل شـخصية من المفكرين والعلماء والمثقفين - يحمل بعضها أفكارًا ومقترحات أو إضاءات تكشـف عن بعض الزوايا أو المعارف التخصصية التي قد تغيب عنه وسط متاهات الأحداث والشواغل المتلاحقة.

مكتبته الخاصة

ونظـرة سريعـة إلى مكتبتـه الخاصـة التـي تضم أكثـر من خمسـة آلاف كتاب وإصـدار باللغتـين العربيـة والإنجليزية، والتـي جمعها على مدار سـنوات عمره في مـصر والولايـات المتحـدة - تكفـي للتعرف على مـدى التنـوع في اهتمامات وقراءات أسامة الباز، فالمكتبة لا تضم فقط المؤلفات السياسية والمراجع القانونية المتصلة بالعلاقات الدولية وتاريخ الصراعات والتسويات بين الأمم والشعوب وتطـورات القضايا العربية والصراع مع إسرائيل، وإنما تشـمل أيضًا العديد من المؤلفـات في الاقتصـاد والاجتـماع والتنميـة، وفي التراجم والسـير الذاتية، وفي الأدب والشـعر والنقـد الفني، إلى جانب كتب الفقه والشريعة وتفاسـير القرآن

الكريـم، فضلًا عـن بعض المؤلفات في البيئة والفلك والطب والاسـتراتيجيات العسكرية.

وقـد لوحظ حـرص الدكتـور الباز عـلى حضور معظـم الدورات السـنوية لمعـرض القاهرة الـدولي للكتاب، ليس فقط ملبيًّا لدعـوة منظميه للتحدث أمام رواد المعرض حول أهم القضايا والشواغل السياسية أو الفكرية - وإنما كقارئ يجول في أنحاء المعرض ويشـتري في المرة الواحدة عشرات الإصدارات الجديدة من مختلف دور النشر.

وكان للدكتـور البـاز وَلَـعٌ بحضـور بعـض الصالونـات الفكريـة والأدبية الخاصـة، ومنهـا الصالون الفكـري الذي كان يعقـد في منزل المرحـوم الدكتور عبدالوهاب المسـيري منذ أواخر السـتينيات وطوال السـبعينيات والثمانينيات. وكان هـذا الصالون يضم نخبة من مفكري مـصر وأدبائها وعلمائها وصحفييها وفنانيها كالشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي والأساتذة لطفي الخولي ومحمد سيد أحمد والسـيد ياسـين ورشـاد البحراوي ومحمد سـلماوي والدكتور حسين أمين والسـفير تحسـين بشـير والأسـاتذة أيمن الأمير ومحمـد حقي، كـما كان يضم في بعض الأحيان عددًا من الفنانين والفنانات أمثال الأسـاتذة والسـيدات صلاح طاهر وجاذبية سري ومحسنة توفيق.

وتشـير قصاصات الصحف التي يحتفظ بها الدكتور أسامة الباز منذ سنوات عديـدة، والتي يرجع بعضها إلى سـتينيات وسـبعينيات القرن المـاضي، إلى ميله الواضـح لمتابعة الكتابات التي تتناول علاقة الدين بالسياسـة، وقضايا التطرف والتكفير، وأدب الحوار في الإسـلام، إلى جانب مسائل الأدب والفن وعلاقتهما بالسلطة وحرية التعبير، وكان حريصًا على متابعة كتابات المفكرين اليساريين في مصر كالأسـاتذة لطفي الخولي ومحمد سـيد أحمد وعبدالرحمن الشرقاوي ومحمد عودة، وأمينة شـفيق، وفريدة النقاش، وكذلك كتابات الأسـاتذة محمد حسـنين

هيكل وسلامة أحمد سلامة ودكتور حسين أمين والسيد ياسين ومفيد فوزي ومحمود السعدني. كما يلاحظ أيضًا احتفاظه ببعض قصاصات من الأبواب الصحفية المتخصصة في عرض ملخصات الكتب الجديدة، وأخرى عن أخبار نجوم الفن.

وفيما يلي عينة عشوائية من عناوين المقالات والأعمدة الصحفية التي كان الدكتور الباز يحتفظ بها والتي يرجع تاريخ بعضها إلى سنوات السبعينيات، وهي عينة جزئية وليست حصرًا كاملًا بكل ما لديه في أرشيفه الصحفي الخاص.

- مقال محمد حسنين هيكل: ودخل جمال عبدالناصر [الأهرام في 28/ 9/ 1973].
- مقال محمود السعدني: الأخ شوقي.. وحكومة السودان.. [المصور] التاريخ غير واضح].
- مقال مفيد فوزي: فجوة تلتئم.. وفجوة تتسع [صباح الخير في 5/ 9/ 1990].
- مقال عادل حمودة: المصريون فقراء يؤمنون بالحسد.[روز اليوسف في 12/ 7/ 1993].
- مقال محمد حسنين هيكل: صنع القرار في مصر [بصراحة. أخبار اليوم 15/ 2/ 1986].
- مقال جون بيكانين: The Best Medical Specialists In the USA مجله المدينة والقرية Town and country –الولايات المتحدة– مايو 1984.
- مقال ميشيل أبوجودة: السباق بين ميثاق بغداد وكامب دافيد [الشرق الأوسط – بلا تاريخ واضح].
- ملخص كتاب [دين الحروب] منشور في ملحق الكتب [بجريدة جيروزاليم بوست 22/ 2/ 1997].

- مقال محمود السعدني: عفوًا.. مستر شامير [المصور في 7/ 10/ 1988].
- عمود عبدالله الجفري: نقطه حوار [الحياة في 13/ 12/ 1994].
- يوسف إدريس: لويس عوض.. كفى [الأهرام في 20/ 11 / 1989].
- منال لطفي الخولي: حالة ميدانية للعجز العربي المزمن [الأهرام في 30/ 4/ 1996].
- حوار مع الشاعر عبدالوهاب البياتي: الغربة في شعري ليست سياسية بل وجدوية. [الوفد - غير واضح التاريخ].
- أخطر وثيقة سياسية في تاريخ المملكة العربية السعودية: نص الوثيقة المرفوعة إلى خادم الحرمين الشريفين بشأن الإصلاحات السياسية والدينية والاقتصادية في المملكة العربية السعودية والموقعة من جانب عشرات المثقفين والأئمة والمفكرين السعوديين. ومنهم الشيخ عبدالعزيز بن باز. [منشورة في صحيفة الشعب 27/ 5/ 1991].
- حوار مصطفى عبدالغني مع د. زكي نجيب محمود عن (التراث نقطة بداية وليس نقطة نهاية) [الأهرام في 5/ 4/ 1992].
- تحقيق صحفي بجريدة الوطن: في حياة النجوم زواج وطلاق وطلاق وعودة [بلا تاريخ واضح].
- مقال د. حسين أمين: تيتو هو المسئول عما يحدث في يوغوسلافيا الآن [مجله أكتوبر 11/ 4/ 1993].
- مقال جون ويتباك:

Confederation Now: A Framework for Middle East Peace

[مجلة ميدل إيست بوليسي - عدد يناير 1993].

- مقال د. مصطفى مشهور: مؤامرة المؤتمر الإقليمي [صحيفة الشعب في 21/ 5/ 1993].

- مقال اللواء متقاعد محمد شبل: يا شيخ غزالي حرام عليك [بجريدة الأهالي في 14/ 12/ 1994].
- حلقات عن تاريخ العهد الملكي في مصر. [إعداد أحمد عز الدين - منشور بالأحرار طوال شهري نوفمبر - ديسمبر - 1994].
- مقال فريدة النقاش: الطريق لمواجهة الضغوط [عمود ضد التيار - صحيفة الأهالي 14/ 12/ 1994].
- تحقيق صحفي عن (إدمان الشباب): أجراه نوال مصطفى ومحيي عبدالرحمن [الأخبار - 27/ 10/ 1998].
- تحقيق صحفي مع الدكتور فاروق الباز: (أنهار ضخمة تحت أرض الصحراء الغربية) [الأخبار - 27/ 10/ 1998].
- مقال جمال بدوي: لماذا قال الحلاج أنا الحق؟ [الوفد - غير واضح التاريخ].
- مقال د. حسين أمين: نعم لإقصاء الإسلاميين عن لعبة الديمقراطية [جريدة العربي في 20/ 6/ 1994].
- مقال محمد عودة: محنة الرأسمالية [صحيفة العربي في 20/ 6/ 1994].
- مقال عبدالعظيم رمضان: لغز الحوار الوطني [الأهرام في 25/ 6/ 1994].
- حوار حسن عزام مع أحد علماء الإسلام: من له الحق بالتكفير [الوفد- 24/ 6/ 1994].
- مذكرات شعراوي جمعة: الحلقة السادسة والسابعة [العربي في 20/ 6/ 1994].
- مقال د. محمد رضا محرم: الهيمنة الدينية على الثقافة والعلم [الأهالي في 22/ 6/ 1994].

- مقال اللواء صلاح سعدة: لغز عبدالعظيم رمضان [العربي 13 /6 /1994].
- مقال د. مصطفى محمود: الذين اختلفوا [الأهرام 11/ 6/ 1994].
- مقال د. محمد سيد طنطاوي: شريعة الإسلام لا تفرق بين القلة والكثرة من حيث الحقوق والواجبات [الأهرام 12/ 6/ 1994].
- مقال عبده مباشر: ولادة التناقض بين الفكر القومي العربي والمنظور الإسلامي [الأهرام 12/ 6/ 1994].
- مقال فهمي هويدي: رسالة في الحسد والحزن [الأهرام 7/ 6/ 1994].
- مقال السيد ياسين: الخصوصية الأسيوية في مواجهة النزعة الكونية [الأهرام 13/ 6/ 1994].
- مقال محمود محمد شاكر: في تأبين المرحوم د. محمد مندور [أعادت الشعب نشره في 7/ 6/ 1994].
- حوار مجاهد مليجي: مع المرشد العام للإخوان المسلمين [الحقيقة - 11 /6 /1994].
- مقال د. أحمد كمال أبو المجد: بيان 1980 بين التحليل النقدي والعتاب الموضوعي [الأهرام في 8/ 6/ 1994].
- مقال د. محمد عمارة: الحزب الإسلامي سياسي وليس طائفيًا [العربي - 13 /6 /1994].
- مقال د. غالي شكري: أعارض قيام حزب ديني إسلاميًا كان أو مسيحيًا [العربي 13/ 6/ 1994].
- مقال د. ميلاد حنا: لماذا همشتم الشباب والأقباط؟ [روز اليوسف - 13 /6 /1994].
- مقال حلمي شعراوي: لا تذهبوا مع عرفات إلى أرنجا [العربي 13 /6 /1994].

- مقال محمد عودة: باسم الحركة [العربي 13/ 6/ 1994].
- شعر محمد عفيفي مطر: رسالة إلى الشاعر السجين بدر شاكر السياب [الأهالي 15 يونيو 1994].
- تحقيق إبراهيم فهمي: حرب الفنانات العرب للإقامة في مصر [الأحرار 14/ 6/ 1994].
- محمد القدوسي: فيلم «قائمة شندلر» ممنوع بقرار وطني [الشعب في 7/ 6/ 1994].

رسائل خطية من الكتاب والمفكرين والعلماء

كذلك يزخر أرشيفه الخاص بعشرات من الرسائل الشخصية التي كان يتلقاها من بعض المفكرين والكتاب ورجال الصحافة والعلماء والتي تحمل إليه بعض الملاحظات والاقتراحات التي يرى أصحابها أن بإمكانه عرضها ومتابعتها من خلال موقعه القريب من رئيس الجمهورية ورجال الحكم. ومن بين تلك الرسائل ما كان يتلقاه بانتظام من الكاتب السياسي المرحوم محمد سيد أحمد أثناء إقامته في فرنسا، والتي عرض في آخر رسالة منها قبل وفاته أفكارًا ومقترحات هامة بشأن «إقامة الدولة الفلسطينية»، وكيفية جذب فرنسا للاشتراك في مشروعات ضخمة «لتحلية المياه في الشرق الأوسط» باعتبار أن هذه المشروعات ستكون من الحلول الحتمية في معالجة مشكلة ندرة المياه العذبة وتلافي الصراعات المحتملة حول مواردها المحدودة والمتناقصة في المنطقة.

ومن بينها أيضًا رسائل بعث بها عدد من خبراء وأساتذة الاقتصاد والتخطيط عند التحضير للمؤتمر الاقتصادي الوطني الذي دعا إليه الرئيس محمد حسني مبارك عقب توليه مقاليد الرئاسة في نوفمبر 1981، ومنهم الأساتذة والدكاترة

إبراهيم حلمي عبدالرحمن، وإسماعيل صبري عبدالله، ووجيه شندي، ومصطفى السعيد، وسلطان أبوعلي، وفؤاد الصراف.

وكان للدكتور صلاح السيد رسالة بعث بها في أوائل 1984 يعرض ملاحظاته حول «القضايا السبع» التي كان الرئيس مبارك قد أثارها في دعوته إلى المؤتمر الاقتصادي الوطني. وكان تصور الدكتور صلاح السيد أن معالجة المشاكل وظواهرها لن تتم إلا من خلال تغيير للمناخ العام، وأن أولى خطوات ذلك هي التعرض للأمراض الأساسية التي يشعر الجميع بوجودها والتي تسببت في مناخ يضعف الانتماء ويثير الحقد ويدفع إلى السلبية، وحدد منها «النفاق بكل صوره»، و«الرشوة والعملات غير المشروعة»، و«التهرب الضريبي»، و«الوساطة والمحسوبية»، و«الوصولية والوصوليين»، و«افتقاد الولاء والانتماء»، ثم «مشكلة ضعف الديمقراطية». وبعد تفصيل وتوضيح دعا كاتب الرسالة الدكتور الباز إلى مفاتحة الرئيس مبارك لإعطاء إشارة لطمأنة آلاف المخلصين الذين يحاولون بالصدق والأمانة معاونته في بداية الطريق لكنهم - كما يقول - يحاطون بإشاعات التشكيك والريبة من جانب المستفيدين ببقاء الأوضاع القائمة.

كانت هناك رسائل أخرى من الكاتب الصحفي محمود مراد نائب رئيس تحرير الأهرام عن (مستقبل التعليم في مصر)، ومن الكاتب الصحفي عبدالستار الطويلة عن انطباعاته بشأن (الانتخابات والاستفتاءات التي تجري في مصر)، و(عن ظواهر الفساد وكيفية محاربته) وعن(الزج بالشعارات الدينية في العمل السياسي والحزبي)، وأيضًا عن (ترشيد عمليات الخصخصة). ورسائل أخرى من الأستاذ طارق حجي ينقل فيها ملخصًا لكتاب قرأه بعنوان (سلبيات وإيجابيات المجتمع المصري) للدكتور عبدالعزيز ثابت وهو أستاذ بالجامعات البريطانية، ويقول الدكتور حجي في رسالته إلى الدكتور الباز (شعرت بأنني سأكون مقصرًا في حق صداقتنا الفكرية لو لم أرسل هذا الكتاب لكم) ثم أخذ

طارق حجي يعرض عناصر اتفاقه واختلافه مع الكاتب والكتاب، ومدى تماثل بعض الأفكار الواردة فيه مع أفكار الأستاذ محمد سعيد عشماوي.

ومن بين الأوراق الموجودة في الأرشيف الشخصي للدكتور أسامة رسالة من الكاتب المصري المرحوم أحمد بهاء الدين مؤرخة في 8/ 5/ 1982، وفيها يعتب الأستاذ بهاء على «صديقه أسامة» لعدم الرد على اتصالاته المتكررة، ورغم تقديره لشواغله؛ فإنه أعرب عن خشيته من أن يكون لدى الدكتور الباز ما يمنعه من الالتقاء به لأسباب تتعلق بـ«وشايات أو إشاعات». ويؤكد الأستاذ بهاء أنه «بعد تجربته الطويلة جدًّا وبناء على طبيعته يحرص دائمًا على الابتعاد عن السلطان لأن هذا هو أهم وسيلة للاحتفاظ بحرية الكاتب، وحتى لا يكون ما يقوله محسوبًا على أحد».

وهناك رسائل أخرى عديدة من الدكتور عبدالوهاب المسيري ومن الأستاذ أيمن الأمير تتضمن روايات وانطباعات عن (التوغل الصهيوني داخل الولايات المتحدة الأمريكية وأنشطة اللوبي اليهودي هناك)، وأخرى بعث بها الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين يهدي بصحبتها كتابه عن (التعليم والمستقبل) الصادر عام 1997. ورسالة أخرى من الدكتور حسن نافعة يدعو فيها الدكتور الباز إلى المشاركة في المؤتمر العام الثالث للجمعية العربية للعلوم السياسية ويرجو فيها موافقته على تخصيص الجلسة الختامية لحوار بينه والحاضرين من الأساتذة والطلاب.

ومن الرسائل المهمة التي احتفظ بها الدكتور الباز أيضًا رسالة من الإعلامي المصري الشهير المرحوم الأستاذ أحمد فراج أثناء توليه منصب الأمين العام لاتحاد الإذاعات بالدول الإسلامية والتي يعرض في صفحاتها التسع بعض ملاحظاته وانطباعاته حول ما أسماه «الأحداث الكبار»، وينقل فيها بعض معلومات في ضوء عدد من المقابلات التي تمت بينه وبين مسئولين من أصحاب الرأي

والقرار السياسي في السعودية ودول عربية أخرى. ورغم أن الرساله لا تحمل تاريخًا واضحًا فإن سياق الخطاب فيها يدل على أنها كتبت في الفترة التي أعقبت اغتيال الرئيس الأسبق محمد أنور السادات، ففيها إشارات إلى ملابسات هذا الحادث ونتائجه المنتظرة داخل مصر وخارجها - وخاصة فيما يتعلق بعودة مصر إلى الأمة العربية بعد قطيعة طويلة. ويتناول المرحوم أحمد فراج في رسالته بعض المسائل الدقيقة الخاصة «بمشروع سعودي» يجري إعداده ليكون واسطة تلتقي عندها الأفكار المصرية عن السلام العربي الإسرائيلي مع أفكار عربية أخرى، وهو ما عرف فيما بعد «بمبادرة الملك فهد» التي قدمت في قمة الدار البيضاء. كما تشمل الرسالة حديثًا آخر عن كيفية تصحيح أوضاع الاقتصاد المصري، وإلغاء القوانين الاستثنائية، وإعادة تشكيل أجهزة الحكومة ووزاراتها، وتصدير شخصيات ذات كفاءة وطهارة إلى ساحة العمل العام. كذلك لم يغفل الأستاذ فراج أوضاع الإعلام في مصر والحاجة إلى تصحيح منطلقاته وأجهزته، وكذلك موضوع «الأمن» الذي يشكل - كما يقول- «عبئًا ضخمًا على الشعب وموارده لفترة طويلة والذي لم يفلح رغم كل ذلك في تأمين حياة الرئيس المصري».

كذلك هناك رسالة مطولة أخرى من الأستاذ عبدالفتاح عبدالمنعم الصبروتي (المحامي) والتي بعث بها في 1/ 10 / 1988 بصفته «مواطنًا مصريًا غيورًا على مصالح بلده». وتدور الرسالة التي جاءت في عشر صفحات حول موضوع العلاقات المصرية العراقية الإيرانية وتنطلق روحها من استنكار لما أسماه «الانحياز الأعمى والمطلق» في السياسة الخارجية المصرية في هذا الصدد رغم كل ما فعله العراق وقيادته البعثية بمصر من هجوم ومقاطعة وتأليب وتشويه. وتحمل الرسالة في طياتها دعوة إلى تعديل لغة الخطاب المصري مع إيران «بحيث لا نكون أكثر عداء لها من أمريكا وإنجلترا وفرنسا». ويحمل صاحب الرسالة «وزارة الداخلية» مسئولية تقديم صورة غير دقيقة عن النشاط الإيراني للقيادة السياسية المصرية رغم عدم ثبوت أي دليل على صحة ما تدعيه أجهزتها الأمنية.

ويشير صاحب الرسالة إلى «الخلط السائد في أجهزة الإعلام المصرية حول المذهب الشيعي».

وإلى جانب رسائل المفكرين والمهنيين والأدباء والإعلاميين هناك أيضًا بعض الرسائل الأخرى التي بعث بها إليه عدد من السفراء والدبلوماسيين المصريين -بصفة شخصية وليست بصفاتهم الوظيفية- والتي كانت تحمل بعض أفكار ومقترحات التطوير للحياة السياسية والثقافية في مصر. ومن هذه الرسائل ما بعث بها الدكتور مصطفى الفقي بخط يده من الهند في أعقاب اغتيال الرئيس أنور السادات وتولي الرئيس حسني مبارك زمام الأمور، والتي تشمل عددًا من الملاحظات والمقترحات بشأن هيكل الدولة والأوضاع الداخلية والتوجهات الخارجية وأوضاع الإعلام والأزهر والكنيسة المصرية ودور الشباب، وهي كلها نقاط تعتبر بمنظور اللحظة الراهنة استشرافًا ذكيًا ومبكرًا لأولويات التصحيح في حياتنا الوطنية. (نص الرسالة في قسم الملاحق والمرفقات).

ومن الرسائل الأخرى ما بعث بها السفير بهي الدين الرشيدي في 17/ 6/ 1986 حول [تصور جديد لإعادة بناء العلاقات المصرية العربية]. وما بعث بها أيضًا السفير د. منير زهران رئيس بعثة رعاية المصالح المصرية في الرباط في 7/ 2/ 1985 حول [ضرورات تطوير المعالجة المصرية لما يعرف بقضية الصحراء].

كذلك أرسل الدكتور أشرف غربال سفير مصر في واشنطن في رسالة إلى الدكتور الباز بتاريخ 19/ 2/ 1982 يتبنى فيها مقترحًا لأحد أساتذة علم الحيوان بجامعة ميريلاند -وهي السيدة يوجين كلارك- بشأن تحويل منطقة رأس محمد في البحر الأحمر إلى محمية طبيعية أو إلى حديقة بحرية وطنية National Marine park بهدف الحفاظ على الشعاب المرجانية الفريدة في تلك المنطقة.

وهناك رسالة أخرى من الدكتور أشرف غربال في 8 يناير 1989 يقترح فيها على الدكتور أسامة الباز بصفته من الدارسين السابقين بجامعة هارفارد - إنشاء جمعية تضم خريجي الجامعة من المصريين، ويدعو إلى اجتماع يعقد في نادي الجزيرة أو أي مكان آخر لبحث هذه الفكرة والأشكال المختلفة لتنظيمها وإخراجها إلى النور.

ولم تكن اتصالات الدكتور الباز تقتصر على الكتاب والمثقفين المصريين وإنما امتدت لتشمل مئات من الكتاب العرب أمثال الأساتذة عابد الجابري، وجهاد الخازن، والمهدي المنجرة، وسمو الأمير الحسن بن طلال، وغازي القصيبي، والدكتور حازم نسيبة، والدكتور محمد المنتصر بالله الكتاني، والدكتور أحمد عبيدان رئيس نادي الجسرة الثقافي بقطر.

أسامة الباز... وعالم الفن والفنانين

بخلاف ما يتصوره البعض عن حتمية تركيز رجل السياسة فقط على القضايا الوطنية والدولية وتعقيدات الدبلوماسية والاقتصاد وهموم المجتمع الكبرى حرص الدكتور أسامة الباز طوال حياته على تخصيص مساحة معتبرة من وقته واهتماماته لمتابعة الأنشطة الفنية وأعمال المسرح والسينما الجادة، وكان ينشغل أحيانًا بمعالجة هموم الفنانين ومحاولة حل مشكلاتهم المهنية والاجتماعية والإنسانية.

لم تكن متابعته لعالم الفن والفنانين تصدر فقط عن تذوقه لقيم الجمال ولأشكال التعبير المختلفة، ولا عن امتلاكه شخصيًا ملكات وقدرات فنية خاصة تمثلت في موهبته الملحوظة في فنون الخط العربي التي عرف بها منذ سنوات صباه الأولى والتي جعلته يخصص جزءًا من مصروفه الشخصي لاقتناء أنواع مختلفة من «ريشة» الكتابة وأحبارها وأوراقها، والقيام بتدريبات ذاتية

لكتابـة آيات القرآن الكريم، وأبيات الشـعر العربي وإهـداء بعضها إلى أصدقائه وأقاربـه... وإنـما جـاءت اهتماماته بكل أنـواع الفنون صـادرة أيضًا عـن اقتناع موضوعي راسـخ بأهمية الفن في تشـكيل وجدان الشـعوب وصياغة الشخصية الوطنيـة وفي ترقيـة الـذوق العام ومعاني التلاقـي بعد ذلك بين الإنسـان وأخيه الإنسـان في كل المواقـع عبورًا فوق حـدود اللغة وموانع الجغرافيا والتقسـيمات الأيديولوجية والإثنية والدينية.

ولأن أسـامة الباز يملك في داخله نفسًـا فنية ذواقة لـكل أنواع الفنون وقيم الجـمال فقد وجدناه يتنقل في اهتماماته بين معارض الرسـم واللوحات التعبيرية بمختلف تصنيفاتها، وبين متاحف الآثار والأعمال التشكيلية كالنحت والزخرفة، ثم رأيناه حريصًا – رغم شواغله الجسام – على حضور بعض الأعمال المسرحية والسـينمائية الجادة. وله إلى جانب ذلك كله ولع بالأوبرا والموسـيقى السيمفونية على وجه خاص، فضلًا عن تذوقه للشـعر العـربي وحرصه على اقتناء الدواوين الحديثة.

وامتـدادًا لطابعه ومنهجه العلمي المعروف عنه في معالجة القضايا السياسـية والاجتماعيـة الشـائكة، وجدنـا لدى الدكتـور الباز ميـلًا نحو تأصيـل متابعاته للأعـمال الفنيـة من خلال اطلاعه على مناهج النقـد الأدبي والنقد المسرحي على وجـه الخصوص، وشرائه عدة مراجـع علمية متخصصة في هذه المجالات. وقد لوحظ أنه أثناء مشاركته في افتتاح معارض اللوحات والصور والأعمال التشكيلية لم يكن الدكتور الباز يكتفي بالحضور المراسمي أو بشراء بعض الأعمال المعروضة وإنما كان يحرص على مناقشـة أصحاب هذه الأعمال حول بعض الجوانب الفنية والحرفيـة ودلالاتها. وكان يسـجل بعـض ملاحظاته النقدية في سـجل الزائرين ممهـورًا بتوقيعه. وقد أبدى كثير من الفنانات والفنانين إعجابهم بالمتابعة الدقيقة للدكتور أسـامة البـاز وذكر بعضهم أنـه أضحى في المرحلة الأخـيرة واحدًا من

شـخصيات النقد الأدبي والفنـي في مصر التي يعمل لآرائهـا وأحكامها النقدية حساب معتبر.

ومن أبرز الشخصيات الفنية التي أبدى أسامة الباز إعجابًا بأعمالها التعبيرية وتابـع معارضها المرحوم الفنـان صلاح طاهر الذي أهدى إليه لوحة شـخصية لوجه أسامة الباز (بورتريه) من أعماله الزيتية، وكذلك الفنانون والفنانات أحمد محمـود خليـل وجاذبية سري، وتحيـة حليم، وريم العصفـوري، والدكتور عمر عبدالعزيز، وشاكر المعداوي، وصلاح عناني.

وفي ميـدان المـسرح والسـينما نجـد في حياة أسـامة البـاز صداقـات وطيدة تربطـه بالعديد من الروائيين وكتاب السـيناريو والمخرجين والفنانين والفنانات ليـس فقط مـن مصر بل في بلاد عربيـة أخرى. وقد تبدأ بعض هـذه الصداقات في إطار شـكايات أو طلبات لتدخل الدكتور أسـامة البازبغرض فك اشتباك ما مـع أجهزة الرقابة عـلى المصنفات الفنيـة، أو مع وزارة الإعـلام أو هيئة المسرح أو وزارة الثقافـة – أو بغـرض الحصـول عـلى موافقـة سياسـية عليـا إذا ما كان الموضوع المعروض له حساسيته الخاصة. وحين يقوم الدكتور الباز بإبداء الرأي واقتراح أسـاليب المعالجة والحلول بعد الاتصال بالمؤسسـات المعنية أصلًا يشعر الفنانون أنهم أمام شـخصية أبوية تقوم بمسـاعيها الحميدة من منطلقات ليست فقـط سياسـية وأمنية بل وفنية وإنسـانية أيضًا. وبذلك تكونت للدكتور أسـامة مكانة خاصة وموقع خاص لدى كتاب السـينما والمسرح والفنانين عمومًا. ومن أشهر الأسماء التي وطدت صلاتها بالدكتور أسامة في مثل هذه المجالات الكاتب الروائي والسينارست وحيد حامد، والكاتب المسرحي محمد سلماوي والكاتب المسرحي لينين الرملي والأسـتاذ ممدوح الليثي والشـاعر بهاء طاهر، والمخرجون جلال الشرقاوي، وسعد أردش.

وقد لوحظ أن المكتبة الخاصة بالدكتور الباز تضم إلى جانب آلاف المؤلفات القانونية والتاريخية والدينية والاجتماعية، بعض نصوص السيناريوهات الخاصة ببعض الأعمال السينمائية ومنها سيناريو رواية الأستاذ وحيد حامد بعنوان (اضحك علشان الصورة تطلع حلوة) وكذلك نص سيناريو فيلم (الجنين) الذي أعده د. رفيق الصبان عن قصة الروائي غسان مطر، وإخراج حسين كمال. بالإضافة إلى سيناريو فيلم (جمال عبدالناصر) من إعداد وإخراج أنور قوادري، وهو نص مقتبس من السيناريو الأجنبي للكاتب الإنجليزي إيريك ساندروز عام 1966.

ويذكر عدد من الفنانين والكتاب أن وجود سياسي مثقف وفنان مثل الدكتور الباز في موقع بالقرب من القيادة العليا يجعل هناك لديهم الكثير من أسباب الاطمئنان والثقة في كيفية معالجة السلطات عمومًا لقضايا الفكر والإبداع وحرية التعبير.

وصلة الدكتور الباز بعالم الموسيقى والطرب ليست في الواقع كصلته بمجالات الفنون الأخرى، ويذكر المقربون إليه أنه لم يكن يومًا يحرص -كباقي المصريين- على الاستماع لحفلات وأغنيات السيدة أم كلثوم، ولم يقم يومًا بشراء شرائط أو أسطوانات لها أو لعبدالحليم حافظ أو لغيرهم من الفنانين. ولم يكن ذلك موقفًا من الأغاني والموسيقى في ذاتها بدليل أنه كان يهوى الاستماع لصوت فيروز اللبنانية وصوت الشيخ محمد رفعت في قراءته القرآن ورفعه للأذان. كما أنه كان من المعجبين بالفنان العراقي نصير شمة، ويحرص عندما يتاح له الوقت والفرصة على حضور أعماله الفنية في بيت العود بالقاهرة.

ومن بين شهادات المقربين إليه في محيط الأسرة تروي إحدى شقيقاته أنه حين تعرضت مسرحية الكاتب الكبير محمد سلماوي (الجنزير) لبعض سهام الهجوم من جانب بعض المتطرفين الذين رأوا أن فيها تجريحًا للجماعات الإسلامية

ولأجهـزة الدولة التي تلاحقها في نفس الوقـت، وبلغ الأمر حد التهديد بحرق ونسـف المسرح الذي تقدم العروض عليه - توجه الدكتور أسـامة لمشاهدة هذه المسرحية والتحقق بنفسـه مما أثير حولها من لغط وهجوم، لكنه وجدها متوازنة فيـما تقدمـه مـن معالجـات لظاهـرة التطـرف، وفيما تبثه مـن رسـائل إلى مختلف الأطـراف، واقـترح عـلى كاتبهـا إعادة صياغـة جملـة أو جملتين على لسـان أحد الممثلين وبما لا يخل بمجمل النص الدرامي ورسائله المقصودة.

الفصل الثامن

الباز.. في رئاسة الجمهورية

من الأمور التي لايكتمل موضوع هذا الكتاب إلا بها طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين الدكتور أسامة الباز من ناحية، وشخصيات ومؤسسات القيادة السياسية العليا في مصر من ناحية أخرى، وما آلت إليه تلك العلاقة في السنوات الأخيرة.

تعامل أسامة الباز مع رئاسة الجمهورية في عهود الرؤساء الثلاثة جمال عبدالناصر، وأنور السادات، وحسني مبارك... ولكن بصفاتٍ ومواقع مختلفة. ففي عهد الرئيس جمال عبدالناصر لم يكن تعامله مع الرئاسة ذا صبغة رسمية مباشرة، فقد كان يقدم أفكاره وأوراقه من خلال السيد سامي شرف وزير شئون الرئاسة، أو من خلال السيد علي صبري، وكان معظمها ينطلق من الصفة الحزبية كعضو في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي، أو كمسئول في منظمة الشباب المنبثقة عن هذا التنظيم السياسي. صحيح أن الإدارة العامة للأبحاث بوزارة الخارجية، التي التحق بها د. الباز قبل سفره للدراسات العليا بالولايات المتحدة، كانت على صلات منتظمة برئاسة الجمهورية وأجهزة الأمن القومي، إلا أن هذه الصلات كانت تتم باسم وزارة الخارجية كمؤسسة، ولم تظهر فيها صفته الشخصية أو الفردية.

كانت مؤسسة الرئاسة في عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر تقوم في هيكلها الرسمي على أكتاف مكاتب وإدارات نوعية متخصصة يقود كلًّا منها أحد ضباط الثورة القدامى، فكان منها مكتب الرئيس للشئون العربية ويرأسه السيد فتحي الديب، ومكتب الرئيس للشئون الإفريقية ويتولاه السيد محمد فائق، ومكتب الشئون الداخلية ويتولاه السيد محمود الجيار، وقد أضيف إلى هذه المكاتب والإدارات في أوقات معينة مكتب خاص للسيد حسن صبري الخولي كمستشار للشئون العربية، ومكتب خاص للإعلام، وآخر للشئون الاقتصادية، ومكتب لشئون اللاجئين السياسيين والطلاب الوافدين. ورغم تعدد الاتصالات ومشاعر التقدير المتبادلة بين رجال الرئاسة والدكتور أسامة الباز فإنه لم يحظ في تلك المرحلة بأي موقع أو صفة رسمية في هيكل الرئاسة.

وعندما تولى الرئيس محمد أنور السادات الرئاسة، خلفًا لجمال عبدالناصر، انتقل الدكتور الباز عام 1973 من إدارة المعهد الدبلوماسي إلى مكتب وزير الخارجية إسماعيل فهمي آنذاك، حيث شارك من هذا الموقع في العديد من الاتصالات الدبلوماسية التي سبقت حرب أكتوبر 1973 والتي لحقت عليها. وكان اسمه في جدول المناوبة بغرفة عمليات وزارة الخارجية أثناء فترة الحرب أكثر الأسماء تكرارًا وحضورًا، وحصل عام 1974 -وهو بعد لايزال بدرجة وزير مفوض في السلك الدبلوماسي- على وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية ممهورًا بتوقيع الرئيس السادات. ثم شارك في الخطوات التي مهدت لعودة العلاقات المصرية الأمريكية عام 1975، ولزيارة الرئيس السادات إلى القدس في نوفمبر 1977.

كان الرئيس أنور السادات يرتاح إلى كتابات الدكتور الباز للكلمات والخطب الرسمية التي يلقيها في المناسبات المختلفة، وقد كلفه، ضمن عدد آخر من السياسيين والصحفيين، بإعداد مشروع خطابه الشهير الذي ألقاه في الكنيست الإسرائيلي.

وعندما قرر الرئيس الراحل أنور السادات تعيين اللواء محمد حسني مبارك نائبًا له في أواخر السبعينيات اختار له الدكتور أسامة الباز ليكون مستشاره السياسي، انتدابًا من وزارة الخارجية. وبدأ الدكتور الباز يباشر عمله مع نائب الرئيس، محتفظًا في نفس الوقت بموقعه القريب من السادات وبموقعه الأصيل بوزارة الخارجية.

اختزل الرئيس السادات عدد المكاتب السياسية المتخصصة التي كانت قائمة في عهد الرئيس جمال عبدالناصر، حيث توزعت أعمالها بين سكرتارية المعلومات، بإشراف السيد أشرف مروان، ومكتب نائب الرئيس الذي يديره اللواء مهندس سعد شعبان، المعروف بتخصصه في مجال الطيران وأبحاث الفضاء، وبثقافته الموسوعية وأخلاقه الرفيعة والمنضبطة، وهو ما هيأ مناخًا إيجابيًا لتكامل الأدوار بينه وبين الدكتور أسامة الباز.

وبعد تولي السيد حسني مبارك مقاليد الرئاسة، عقب اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات، تم تعديل الصفة الرسمية للدكتور الباز ليصبح مديرًا لمكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية، إلى جانب احتفاظه بموقعه الدبلوماسي كوكيل أول لوزارة الخارجية. ولم يترتب على هذه الخطوة أيُّ تعديلات في طبيعة عمل الدكتور الباز ولا في وضعه المؤسسي داخل الرئاسة، فقد ظل يعمل بمنطق المستشار السياسي للرئيس، ومحترمًا أدوار واختصاصات اللواء المهندس سعد شعبان بصفته المدير والمشرف على أعمال التسيير الفني والإداري لمكتب الرئيس. وكان الدكتور الباز يلجأ في بعض جوانب عمله الدبلوماسية والقانونية إلى أعضاء الطاقم الدبلوماسي الذي يعمل بمكتبه في وزارة الخارجية، وقد كانوا جميعًا من شباب الدبلوماسيين الأكفاء الذين أصبح لهم فيما بعد شأن كبير في تاريخ المهنة الدبلوماسية، وصار بعضهم نجومًا في دوائر العمل الوطني والمحافل العلمية، ومن بينهم السادة والسيدات: د. مصطفى الفقي ود. خير الدين عبداللطيف وهالة إسماعيل ونائلة جبر وهدى نجيب ود. وليد عبدالناصر وعلية أبوالعز

ومحمد أبو الدهب وياسر العطوي وهشـام النقيب، إلى جانب عدد من المعاونين الإداريـين الذيـن لايقلون كفـاءة وإخلاصًا ومنهم السـادة والسـيدات عبدالله خميس وسـامي خورشيد وابتهاج نصر وميرفت عبداللطيف وماري صابونجي وعفت صالح.

ومن الملاحظ أن الدكتور الباز لم يفكر طوال عمله بالرئاسـة في توظيف هذا الموقع لتحقيق مزايا خاصة لأعضاء السلك الدبلوماسي ولاحتى لأعضاء مكتبه العاملين معه، بل عمل على العكس من أجل أن تكون الوزارة وأبناؤها في طليعة الأجهزة الوطنية التي تقدم تضحيات مهنية ومادية في سـبيل اسـتعادة الاقتصاد الوطني توازنه ودعم الجهود الشاملة المبذولة لسداد ديون مصر الخارجية.

كان الدكتـور البـاز معروفًـا في أوسـاط رئاسـة الجمهوريـة بأنـه لايعـرف الشـللية، ولا يحـرص على الشـكليات، وكان عزوفًا عن متابعـة أيِّ أمور إدارية تتعلق بأوضاع العاملين في الرئاسـة أو حقوقهم. وعندما تسـأله عما إذا كان لديه صورة واضحة عن الهيكل التنظيمي لمؤسسة الرئاسة ومخصصاتها المالية وأعداد وتوزيع العاملين فيها، فسـوف يدهشـك رده بأنه لايعلم ولايـود أن يعلم، فقد كان دائمًا منغمسًـا في جوهر المسـائل الموضوعية والاتصالات السياسية ولايهمه سـواها، وربما تمر أحداث أو مشكلات جسام ببعض العاملين في الرئاسة حيث يطاح ببعضهم فجأة أو يستبدل بهم آخرون دون أن يكون لدى الدكتور الباز أيّة صلـة بالموضوع. كذلك لم يكن له في أي يوم من أيام عمله بالرئاسـة أيّة رغبة في اختيار أشـخاص معاونيه أو نوع سيارته أو اختيار سائقيها، وعندما تعلن جمعية موظفي رئاسـة الجمهورية عن أيّ ترتيبات تعدها لتصييف عائلات الموظفين في الإسكندرية أو شراء وتقسيم قطع أراض لهم، أو تسفير بعثة للحج أو العمرة، أو أيّ ترتيبات للتأمين الصحي والاجتماعي... لم يكن للدكتور أسـامة أية رغبة في الاطلاع على هذه الترتيبات أو المزاحمة فيها. وقد يدهشك أيضًا أن أسامة الباز لم يعرف في يوم من الأيام قيمة بدل الانتداب الذي يحصل عليه في مظروف مغلق،

ولاطريقة احتسابه، وكثيرًا ماكان يفاجئ موظفي الشئون المالية أو العاملين في سكرتارية المكتب بالتنازل عما في المظروف لشراء «كباب أو كفتة» لمجموعة العاملين الذين يقضون معه ساعات عمل طويلة تتجاوز منتصف الليل.

تعددت مهام وأدوار الدكتور أسامة في رئاسة الجمهورية، وتوزعت بين التحضير المسبق لمقابلات الرئيس، من خلال اتصالات يجريها، وبيانات يجمعها، ومذكرات يعدها حول موضوع وهدف المقابلة، ثم حضور تلك المقابلات مع الرئيس وتدوين ما يدور فيها من نقاط على لسان الضيف وأحيانًا ما يردُّ به الرئيس، وصياغة النقاط أو النتائج التي تنتهي إليها هذه اللقاءات، وتحديد ما يعلن عنه من هذه النتائج وشكل الإعلان وتوقيته، وتوثيق مضامين هذه المقابلات بعد ذلك في مذكرات أو محاضر. وكان من مهامه أيضًا عرض الرأي السياسي أو القانوني فيما يرد إلى الرئيس من رسائل أو مذكرات يبعث بها رؤساء الدول والمنظمات الدولية، وإعداد الردود عليها، أو فيما يرد من تقارير أو التماسات أو شكاوى تتعلق بأوضاع أو مشكلات داخلية. وقد لوحظ أن الدكتور الباز ظل -خاصة في المراحل الأولى التي أعقبت تولي الرئيس مبارك- القاسم المشترك في حضور أغلب لقاءات الرئيس التي تتم في الإطارات الوطنية الداخلية، كاللقاءات الحزبية والبرلمانية، أو مع مؤسسات المجتمع المدني ورجال الاقتصاد والأعمال والهيئات الدينية والقضائية والصحفية، إلى جانب اللقاءات مع القيادات والشخصيات العربية والأجنبية.

كان من بين ما يقوم به الدكتور الباز أيضًا إطلاع الرئيس مسبقًا على أبرز الخلفيات والملامح والطبائع الشخصية لمن يلتقيهم الرئيس، وخاصة عندما يكون اللقاء معها لأول مرة، واقتراح مداخل معينة للحديث معها. وعندما تنعقد لمصر رئاسة أحد المؤتمرات الدولية على مستوى القادة والرؤساء والملوك كان أسامة الباز يكتب للرئيس، وبخط واضح جدًّا وبكلمات مكبرة، تفاصيل الخطوات والصياغات المطلوبة لافتتاح الجلسات وإدارة المناقشات وإعطاء حق

التحدث وترتيبات إغلاق باب المناقشات ورفع الجلسات وغير ذلك. ورغم أن هذا الأسلوب في مساعدة رؤساء المؤتمرات معروف في أوساط الأمانات العامة للمنظمات الدولية والاجتماعات متعددة الأطراف، ولايعيب أي رئيس الاسترشاد به في إدارته الاجتماعات إلا أن تفصيله على النحو الذي كان الدكتور الباز يضعه أمام الرئيس مبارك يظل موضعًا لتساؤلات لا تخلو من بعض التندر.

وبعد أن تزايدت وتنوعت بمرور الزمن الأعباء الملقاة على كتف الدكتور أسامة، رئي وجوب الاستعانة بعناصر شابة ذات كفاءة للمعاونة في تلبية هذه المتطلبات، واقترح الباز على الرئيس مبارك إحياء نظام سكرتارية الرئيس للمعلومات الذي كان معمولا به في فترتي حكم الرئيس عبدالناصر والرئيس السادات. وتم اختيار السفير الدكتور مصطفى الفقي ليقوم بهذا العمل، ثم أعقبه السفير الدكتور رضا شحاتة، ثم السفير سامح شكري ثم السفير ماجد عبدالفتاح، وأخيرًا السفيرسليمان عواد الذي تولى أيضًا مهمة المتحدث الرسمي باسم رئاسة الجمهورية.

وفيما رواه لنا الدكتور الباز أنه كان يحرص في معالجاته لما قد يطرأ من مشكلات على استجلاء وطرح عدد من البدائل لحلها، وعدم الاكتفاء ببديل وحيد، ويضع لكل بديل مزاياه وعيوبه وأيّ اعتبارات أو محاذير أخرى تحيط به، وكان يكشف للرئيس أو للمسئولين الآخرين في الدولة عن تفضيلاته بين هذه البدائل، فإن لم يجد تحمسًا لما يراه يتطوع أحيانًا فيعرض استعداده لبذل جهده الشخصي في محاولة تنفيذه. ومن أبرز المواقف التي تصدى لها الباز تطوعًا ما تعلق في أواخر الثمانينيات ببعض مطالب أعضاء هيئة التدريس بالجامعات، ومشكلات أخرى تتعلق بالكنيسة القبطية، ومطالب بعض أحزاب المعارضة. وكان الدكتور الباز يجري اتصالاته مع أطراف هذه المشكلات ومع الأجهزة الرسمية ذات الصلة بدون أن يشير إلى تفويض الرئيس له في هذا الشأن، وحين

يحالفه النجاح ويتمكن من إجهاض أسباب التوتر والتوصل إلى تسويات معينة كان ينقل تلك النتائج إلى الرئيس في إنكار كامل للذات، مؤكدًا وموضحًا إيجابية الأطراف الأخرى ودورها في التوصل إلى تلك التسويات.

القرب من الحاكم... والاستقلال عنه في نفس الوقت !

اتسم تعامل الدكتور أسامة الباز مع رئيس الجمهورية بقدر وافر من الشجاعة الأدبية وعدم التكلف الذي قلما تجده لدى أي مسئول آخر، وكانت ثقته في نفسه وفي قدراته المهنية وفي نزاهة يده وتجرده عن أي مطامع أو تطلعات، تبعث فيه هذا القدر من الشجاعة والصراحة. وقد بلغت استقلاليته في بعض الأحيان حد التغيب عن بعض المناسبات الاحتفالية التي يحضرها الرئيس. ويذكر الكاتب الصحفي الأستاذ عادل حمودة في بعض ماكتبه عن أسامة الباز أنه كان يفضل أحيانًا الانفراد بأحد مرافقي الضيف الرسمي، أو النزول مع أحد الأصدقاء إلى أحد المطاعم الشعبية أو المزارات السياحية تاركًا مقعده في الموائد الرسمية ليشغله غيره.

وعن بساطته وشجاعته في التعامل مع الرئيس تروي المرحومة والدته، قبل وفاتها عام 2002 ببضع سنوات، أن أسامة الباز عاد ذات مرة من مهمة مرهقة في الخارج ودخل بيته في ساعة مبكرة من الفجر وطلب منها إغلاق الباب عليه كي يلتقط سويعات قليلة من النوم، ولكن التليفون المخصص للرئاسة الموجود في المنزل أخذ يدق بعد أقل من نصف ساعة، وحين اضطرت الوالدة للرد على رنين التليفون المستمر وجدت على الهاتف من يقول لها إن الرئيس يطلب الدكتور أسامة في أسرع وقت... فما كان منها إلا أن قالت للمتحدث بفطرة الأمومة الحريصة على صحة ولدها: «إن أسامة عاد للتو من السفر ودخل لينام

قليلًا فلا أستطيع إيقاظه مهما كان السبب»، وعندما استيقظ الدكتور أسامة بعد قليل وعرف من السيدة والدته أن الرئيس قد طلبه هاتفيًا أخذ يبتسم وهو يعد حقيبة أوراقه متوجهًا إلى مقر الرئيس في مصر الجديدة. وهناك في الرئاسة تلقى الدكتور أسامة سيلًا من الأوصاف التي نعتت السيدة والدته بالجُرأة والشجاعة والشراسة في حماية الابن، وهي صفات ظل أسامة الباز يعتز بها في شخصية والدته حتى رحيلها عن هذه الدنيا.

■■■

لم تخل علاقات د. الباز مع مؤسسات النظام السياسي وأركان الحكم من بعض الاختلافات التي أدت به في بعض الأحيان إلى حد الانقطاع والاحتجاب، وفي ذلك تشير بعض المصادر الصحفية إلى أنه كان قد أبدى تحفظًا على بعض الاتجاهات التي ظهرت داخل أركان القيادة المصرية عام 1995 لضرب السودان؛ كرد على محاولة الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها الرئيس مبارك في أديس أبابا، والتي ثبت تورط بعض العناصر السودانية فيها. وتضيف المصادر أن الباز ظل محتجبًا ولا يظهر في مقر رئاسة الجمهورية لفترة طويلة حتى تم تعديل الاتجاه السائد وتطوير رد الفعل الرسمي بعيدًا عن استخدام القوة المسلحة، واستبدل بذلك حزمة من الضغوط السياسية والاتصالات المكثفة.

كذلك كان للدكتور الباز، في مراحل أخرى، رأيه الذي أعلنه حول إمكانية تخلي الرئيس مبارك عن الحكم إذا ما توافرت الشخصية البديلة والمؤهلة لتولي مسئولية القيادة. وقد جاء ذلك التصريح في إطار الرد على أسئلة صحفية وجهتها إليه وكالة رويترز للأنباء حول مستقبل الحكم في مصر، ونشر في الأسبوع الأول من مارس عام 2005. وقد أثار هذا التصريح ردود فعل واسعة لدى بعض الصحف المصرية المعارضة التي رأى بعضها أن فيه (إهانة للشعب المصري)، (وأن هناك أكثر من مليون مواطن يستطيعون حكم مصر أفضل من مبارك)

[صحيفة الغد في 15 / 3 / 2006]، بينما رأى آخرون (أن أسامة الباز قد تجاوز بهذا التصريح حدود وظيفته)، ومنهم من تساءل (هل استأذن أسامة الباز من مبارك قبل أن يعلن إمكانية تخليه عن السلطة أم أنه أطلق بالونة اختبار كعادته في إطلاق رسائل متعددة لأطراف مختلفة في نفس الوقت؟) [صحيفة الدستور بتاريخ 15 / 3 / 2006].

وفي الوقت الذي فسرت فيه بعض القوى السياسية هذا التصريح الاجتهادي بأنه يأتي في إطار مشروع توريث الحكم لجمال مبارك، أكدت مصادر أخرى عكس هذا المعنى، وذكرت أن أسامة الباز يواجه منذ فترة ضغوطًا لتهميشه وتقليص دوره، وأن لجنة السياسات بالحزب الوطني التي يرأسها جمال مبارك تعمل على إبعاد ما يسمى بعناصر «الحرس القديم» ومنهم أسامة الباز.

وفي نفس إطار توازنات القوى حاول أحد الكتاب الصحفيين في صحيفة الدستور، تصوير علاقة الدكتور الباز بالسيد عمرو موسى وزير الخارجية في فترة التسعينيات بأنها شهدت عمليات «تكسير عظام» حتى انتهت بإقالة الباز من منصبه كوكيل أول لوزارة الخارجية، وهو تصوير غير موفق وغير دقيق للوقائع؛ حيث إن الباز قد استنفد أقصى مرات التمديد له في الجهاز الدبلوماسي بعد سن التقاعد، ولم يعد ممكنًا -وفقًا لنظام العمل الحكومي- التجديد له مرة أخرى، وقد تفرغ الرجل بهذا الخروج لموقعه كمدير لمكتب الرئيس للشئون السياسية لعدة سنوات لاحقة، بينما انتقل السيد عمرو موسى من وزارة الخارجية إلى الجامعة العربية عام 2001. ومن المؤكد أن كاتب صحيفة «الدستور» لم يكن يعرف أن كلا الرجلين يدين للآخر بمواقف وأدوار على الصعيد المهني وبمشاعر من التقدير والاحترام على المستوى الشخصي والإنساني ربما يندر أن نجد لها نظيرًا في مثل هذا الزمان.

■■■

ويرى البعض أن الانزواء التدريجي لدور أسامة الباز في المسرح السياسي قد بدأ منذ ظهور نتائج الانتخابات الفلسطينية عام 2005، والتي أسفرت عن نجاح حركة حماس في الفوز بأغلبية مقاعد المجلس التشريعي. ويبدو أن أركانًا مختلفة في مؤسسات النظام المصري لم يرق لها هذا التطور، وبدأت في انتهاج سياسات متحفظة إزاء تداعياته اللاحقة، وفي ممارسة ضغوط على قيادات حماس. كما يبدو أن أسامة الباز كانت له وجهة نظر أخرى في طريقة التعامل مع هذه التداعيات، ورغم أنه لم يصرح بشيء في هذا الشأن إلا أن أحاديثه الصحفية وكتاباته التي أعقبت عملية الاجتياح الإسرائيلي للبنان في صيف 2006 يمكن أن تكشف عن بعض التباينات بين موقفه الشخصي من ناحية والمواقف الرسمية المصرية من ناحية أخرى. وقد يكون مقاله الشهير الذي نشره باسمه المجرد من أي لقب رسمي في صحيفة الأهرام بتاريخ 2/ 8/ 2006 تحت عنوان [وعلى الباغي تدور الدوائر] الذي هاجم فيه بشدة مواقف الحكومة الإسرائيلية -أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى تكريس انسحابه بعيدًا عن دائرة الضوء، وبدء التقليص الفعلي لدوره السياسي، وخاصة فيما يتعلق بتطورات الصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية، وانتقال متابعتها إلى دوائر وأجهزة أخرى ذات طابع مؤسسي، بعد أن ظلت تعتمد أغلب هذه المتابعات على شخصية أسامة الباز وذاكرته الفردية وقناعاته، ورغم أن هذا التطور في حد ذاته يمكن أن يعتبر مفيدًا ومحمودًا ويعكس أساليب الإدارة الصحيحة إلا أن اقترانه بانزواء أسامة الباز عن المسرح السياسي قد أثار العديد من التساؤلات في الدوائر الإعلامية والدبلوماسية والفلسطينية. وهناك من فسره بأنه انسحاب طوعي من جانبه، بينما فسره آخرون بأنه إبعاد متعمد له ولدوره. وراحت عدة صحف مصرية وعربية تتساءل [أين اختفى أسامة الباز؟] [مقالات سليمان جودة في صحيفة الوفد بتاريخ 2/ 11/ 2005، وبتاريخ 15/ 2/ 2006 وبتاريخ 20/ 5/ 2006]. وتساءل حسن الشيخ في صحيفة الخميس، في عددها الصادر

بتاريخ 15/ 6/ 2006 [هل يدخل أسامة الباز الثلاجة؟]، وكان ذلك بسبب ما تردد آنذاك عن احتمال ترك الدكتور الباز موقعه في رئاسة الجمهورية وترشيحه لرئاسة المجلس القومي لحقوق الإنسان خلفًا للدكتور بطرس غالي.

ومن ناحية أخرى رأى بعض المراقبين أن مرحلة انزواء أسامة الباز قد تزامنت مع بدء تصاعد نجم جمال مبارك كوريث محتمل للرئاسة بعد والده الرئيس حسني مبارك. وطرحت صحيفة (حواديت) في عددها الصادر يوم الجمعة 16/ 6/ 2006 تصورها بشأن (تحركات رجال جمال مبارك لإبعاد الباز عن الرئاسة). وتساءل محمد عبدالشكور في صحيفة (الغد) بتاريخ 15/ 3/ 2006 (متى يتم الإطاحة بأسامة الباز؟)، وفي هذا المقال الأخير يؤكد الكاتب أن الباز محسوب في توازنات القوى السياسية بأنه من الحرس القديم الذي يجرى تغييره أو تهميشه بواسطة لجنة السياسات بالحزب الوطني، وأنه مع تصاعد نجم اللواء عمر سليمان وإحالة العديد من الملفات السياسية إليه فقد يصبح الإعلان عن الإطاحة بأسامة الباز مسألة وقت فقط.

ورغم أن أسامة الباز كان يعتبر جمال مبارك من الشباب المتعلم تعليمًا عصريًا، وممن يمتلكون تحليلات سياسية واقتصادية جيدة، وأنه يجوز له -كما يجوز لغيره- التطلع إلى المشاركة في العمل الوطني، وكان لا يتردد في معاملته كابن له عليه حق التوجيه والنصح، فإن جمال مبارك يبدو أنه كانت لديه نظرة أخرى إلى كل من تجاوز السبعين عامًا من عمره، وكان يفضل أن يحيط نفسه بمجموعة من السياسيين ورجال الأعمال الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين الأربعين والخمسين عامًا.

ويذكر بعض من شارك في مهمة الوفد المصري لطرق الأبواب الأمريكية الذي تم عام 2007 برئاسة السيد جمال مبارك وبحضور الدكتور أسامة الباز، أنهم لاحظوا بوادر تململ من جانب جمال مبارك إزاء مبادرة الدكتور أسامة

بإجـراء لقاءات جانبية مع بعض الشـخصيات الأمريكية خـارج إطار البرنامج المعـد للوفـد. ويسـتنتج بعض هؤلاء المشـاركين أن مـا خلفته تلـك الرحلة من انطباعات ومشـاعر لدى السيد جمال مبارك إزاء الدكتور أسامة يمكن أن يكون سـببًا مفسرًا لما بدأ أسـامة الباز يلاقيه من تهميش تدريجي لدوره، واستبعاده من تشـكيل الوفود الرسـمية المصاحبة للرئيس السـابق في بعض زياراته الخارجية، فضلًا عن عدم توجيه الدعوة إليه لحضور اجتماعات المجلس الأعلى للسياسات بالحزب الوطني، وعدم تكليفه بأي مهام رسـمية في الداخل والخارج ابتداءً من عام2007 تقريبًا.

■■■

مذكرات أسامة الباز

وحـين أعيت التسـاؤلات عن مصير أسـامة البـاز أصحابهـا دون أن يجدوا إجابـة واضحـة منـه أو من جانب الرئاسـة، بـدأت موجة أخرى مـن الكتابات الصحفيـة يطالـب أصحابها الدكتور البـاز بالبـدء في كتابة مذكراته السياسـية. واسـتهل الأسـتاذ سـليمان جودة هذه الدعوة في جريدة الوفد بعنـوان [أمانة في عنق أسـامة البـاز] بتاريخ 21/ 6/ 2006، ثم أعـاد التأكيد على نفس الموضوع في عـدد 28/ 6/ 2006 بعنـوان [ذاكرة الدكتور أسـامة البـاز]. وبعدها تلقف الأسـتاذ إبراهيم سـعدة في صحيفة الأخبار نفس الدعـوة، وراح يفند المزيد من أسباب الحاجة إلى هذه المذكرات (في انتظار مذكرات الباز)، وكان الأستاذ أنيس منصور قد سبق الجميع منذ يناير 1994 بما كتبه في عموده اليومي بجريدة الأهرام بعنوان «مواقف» حيث قال في 15 يناير [إن الذي رآه وسمعه وقاله وشارك فيه بالرأي الدكتور أسـامة الباز طوال عملية السـلام المـصري الإسرائيلي لا أول له ولا آخـر، وإنـه -بما عنده مـن ذكاء وعمق وفهم وصدق وإخلاص- يسـتطيع

أن يكتب لنا تاريخًا جديدًا لمصر وللمنطقة العربية ولكثير من القضايا الدولية]، ويستطرد الأستاذ أنيس منصور فيقول: [أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فالذي لدى أسامة الباز ليس في متناول ولا قدرة أحد أن يرويه للتاريخ. كما أن لديه نوادر وفكاهات تاريخية.. وإن وجد فيها حرجًا فإنني على استعداد أن أرويها وأضيف إليها من عندي وعند غيري مئات الصفحات].

ورغم صمت أسامة الباز عاود الأستاذ عادل حمودة طرح موضوع «المذكرات» في صفحات جريدة «الفجر»، لكنه حصل هذه المرة على إجابة قاطعة وصريحة من الدكتور أسامة شخصيًا ينفي فيها اعتزامه كتابة أية مذكرات سياسية، وأن أقصى ما يمكنه عمله هو إعداد كتيبات أو مذكرات لتدريب الدبلوماسيين الجدد ينقل فيها حصائل خبرته وتجاربه المهنية دون التطرق إلى وقائع وأحداث أو شخصيات بعينها.

ورغم ما استجد في الحالة الصحية لأسامة الباز منذ عام 2009 من عوارض أخذت تؤثر في ذاكرته وفي صفاء وعيه أحيانًا، ورغم أن السيدة زوجته لم تتلق ردًا من جانب المسئولين في رئاسة الجمهورية حين اتصلت بهم في الشهور الأخيرة عام 2010 لتنقل إليهم تطورات الحالة الصحية للدكتور أسامة واحتياجه لرعاية علاجية خاصة - فإنه ظل ملتزمًا بالذهاب يوميًا إلى مكتبه القديم الموجود في مبنى المعهد الدبلوماسي خلف مسجد «عمر مكرم» بميدان التحرير؛ حيث يقضي هناك كل صباح سويعات قليلة يطالع فيها الصحف المحلية والأجنبية وبعض برقيات سفاراتنا في الخارج، وأحيانًا يستقبل بعض الشخصيات التي تطلب مقابلته للسؤال والمجاملة دون أن تكون على علم بحالته الصحية.

والملاحظ أن د. أسامة الباز ظل حتى تاريخ وفاته في سبتمبر 2013 صامتًا ولم ينبس ببنت شفة عما يدور في مصر بعد 25 يناير 2011. ومن غير الواضح ما إذا كانت حالته الصحية والذهنية كانت تمكنه من إدراك حقيقة وأبعاد ما حدث

مـن تغيرات كـبرى في المسرح المصري والعربي. وحـين نشرت إحدى الصحف المصريـة في شـهر فبرايـر 2011 صورة لـه في ميـدان التحرير وقـد التف حوله أعداد من المواطنين الموجودين هناك في إطار التظاهر، لم تكن الصحيفة على علم كامـل بظروفـه الصحية التي يمر بها، ولا بأن طريقـه اليومي إلى مكتبه في المعهد الدبلوماسي يمر بميدان التحرير.

الفصل التاسع

أسامة الباز.. الإنســـــان

رغـم ملامـح التماسـك ومظاهـر الاحترافيـة والهدوء التـي كانـت تبدو في ظاهـر الحديـث، وفي طريقة عمل وسـلوك الدكتور أسـامة البـاز، وفي حضوره السـياسي والوطني العام.. فإن ذلك لم يسـتطع أن يحجب -خاصة عند المقربين منـه والمخالطـين لـه في أغلـب مراحل حياتـه- بعض نقـاط الضعف الإنسـاني والحساسـية الشـديدة التـي يحـاول جاهـدًا أن يخفيها، رغـم أنها تمثـل في الواقع -وبموازين الأخلاق- أسبابًا لمزيد من الزهو والاعتزاز.

كانت أولى هذه النقاط شـدة تعلقـه بوالدته وخوفه عليها طوال حياتها، وأما الثانيـة فهـي زهده غير العـادي في الطعام وفي الغذاء عمومًـا.. وهي صفة تطال أيضًا جوانب أخرى من مباهج الحياة ومن أدواتها الضرورية. وأما نقطة الضعف الإنسـاني الثالثـة في حياة أسـامة البـاز فهي تحفظـه ونظرته المحفوفـة بمخاوف وهواجـس تجاه كثرة الإنجاب وتربية الأطفـال عمومًا. وإلى جانب تلك النقاط الثلاث تظهر أيضًا في شـخصيته وسلوكه ملامح إنسانية أخرى كالولاء الشديد للأصدقاء، والحرص على خدمة البسطاء من الناس والتواضع معهم.

وفي هذا الفصل نتجول داخل أسـامة الباز الإنسـان.. لنتعرف عن قرب على حقيقة وأبعاد تلك الجوانب الإنسانية..ما ظهر منها، وما بطن.

بـر الوالـديـــن

نشـأ أسـامة البـاز- كما عرفنـا في الفصل الأول - وسـط بيئـة أسرية تقدس دور الأم عمومًـا، وتجعل من هذا الدور محـور حياة الأسرة جميعًا. وقد لا يكون في هـذا اختـلاف كبير عما كان يسـود في معظـم العائلات المصريـة في الريف أو الحضر، أو عما يسود في كثير من ثقافات البلاد الأخرى. إلا أن الجديد والخاص الـذي ميـز حياة أسـامة الباز أن هذا الـدور المنوط بالأم قد اسـتمر حتى بعد أن شـب هو وأشـقاؤه عن الطوق وبلغوا مبلغ الرجال والسيدات، وبعد أن كونوا بذواتهـم أسرات جديـدة ذات فروع وأحفاد وأصهار وأنسـاب. وظل دور الأم ومكانتهـا محورًا تدور به وحوله وتحت ظلاله حركتهم في الحياة، وتنطلق قياسًـا عليه أحكامهم ورؤاهم لمعاني الحق والخير ومعايير الأمن والعدل والنفع.

وحين سـافر أسـامة البـاز إلى الولايات المتحـدة الأمريكيـة في عام 1959؛ لاستكمال دراسـته العليا في القانـون الدولي، كان هاجسـه الرئيسي عند سـفره يدور-كما يروي أشـقاؤه وشـقيقاته- حول صحة والديه، ورضـا والدته عنه.. وحـين عـاد إلى مصر بعد وفاة والده المرحوم الشـيخ السـيد البـاز، وجد والدته تتحمـل وحدهـا مسـئولية تربية أشـقائه الصغار «حـازم» و«صفـاء» و«نبيل»، بعـد أن تزوج أشـقاؤه محمد وعصام وفـاروق، وتزوجت أيضًا شـقيقتاه «ليلى» و«ثريا»، واستقل كل منهم مع أسرته الصغيرة في بيته الجديد.

أصر الدكتور أسـامة على عدم معاودة السـفر خارج البـلاد لفترات طويلة، وحتى في الفترات التي كان عمله السـياسي فيها يقتضي السـفر في مهام رسـمية بالخـارج كان يحرص عـلى محادثة والدتـه تليفونيًا بين الحين والآخـر للاطمئنان عليهـا وطمأنتهـا على أحوالـه.. ورغـم أنه لم يكن مـن عادته أبدًا أثناء سـفره في الخارج أن يزور الأسـواق للتبضع منها، أو اسـتجلاب هدايا على نحو ما يفعل أغلـب المسـافرين من بلادنا إلى الخـارج، فإنه كان يخص والدتـه ببعض الأدوية

والأدوات الصحية «كفرش الأسنان» و«المعجون» و«المواد المطهرة»، وأحيانًا بعض الأدوات الخفيفة التي تيسر لها عملها المنزلي. وكان أول شيء يقوم به عند العودة لإسعادها وإعادة البهجة إلى قلبها أن يطلب منها طبقًا من الحساء الذي يعرف أنها تتقنه. ورغم أنه قد لا يحتسي من هذا الطبق إلا قليلاً فإنه كان يقصد بهذا الطلب إشعارها بأن دورها في الحياة لا يزال فاعلًا ومطلوبًا.

كان الدكتور أسامة الباز يسعد كثيرًا حين يجد والدته - رغم تواضع نصيبها من التعليم النظامي - قادرة على التقاط معاني الأحداث الكبرى في البلاد، وكان يحرص على الاستماع إلى آرائها الفطرية البسيطة فيما يجري من شئون البلاد والعباد. ويتذكر الدكتور الباز في إعجاب وانبهار كيف كانت والدته تبدي تخطئتها للمتظاهرين في الشوارع حين يدمرون ما يعتبر في الأصل ملكًا للجميع، وكيف كانت تبدي له أحيانًا انطباعاتها التلقائية تجاه بعض التطورات الفلسطينية والعربية.. وكيف كان يستلهم من بعض هذه الانطباعات رؤى جديدة يعزز بها رؤيته السياسية أو يصحح بها بعض التوقعات.

كانت والدة الدكتور أسامة الباز تدرك جيدًا خصوصية وحساسية الدور السياسي والدبلوماسي الذي يقوم به نجلها، وتقوم حسب إمكاناتها بما يلزم لمساندته ودعمه وتهيئة المناخ الملائم لتحقيقه، فكانت تحرص على ضبط حركة الدخول والتزاور في المنزل وفقًا لبرامج عمله وساعات راحته. وحين كان الدكتور يسافر في مهام خارجية كانت تسجل له أسماء ومواعيد الاتصالات التليفونية التي تتم له في غيابه، وتحفظ له الصحف والمجلات والرسائل التي تصل إلى المنزل باسمه، لكنها -بحسها الأمني التلقائي- كانت ترفض استلام الطرود أو الأشياء المغلفة الموجهة إليه، وتطلب من حاملها تسليمها في المكتب. ولأنها تتعاطف مع الدور الإنساني الذي يقوم به نجلها مع المواطنين البسطاء الذين يلجئون إليه في بعض الأحيان لقضاء احتياجاتهم أو تذليل خدمات لهم - فقد كانت تحرص على تذكيره ببعض هذه الحالات دون أن يكون في الأمر إثقال

عليه أو افتئات على حالات أخرى. ولكن الذي يستحق أكثر من الإعجاب والتقدير أنها كانت ترفض تمامًا استلام أيّ طلبات أو رسائل تأتي من الأقارب والأصهار في الدقهلية، أو من المعارف والجيران في حمامات القبة، في الوقت الذي كانت تقبل فيه طلبًا من «عامل البلدية» الذي يقوم بتنظيف الشارع، أو من «قارئ عداد الكهرباء البسيط»، أو أحيانًا من إحدى المعلمات في المدرسة المجاورة للمنزل التي تطلب مقعدًا متحركًا لأحد أقربائها المعاقين.

كان الدكتور الباز يخشى على والدته من أن يصيبها قلق على صحته البدنية أو النفسية، فيحرص على التظاهر دائمًا أمامها بما يريحها ويطمئنها. وحتى في أحرج الأوقات التي كانت تمر به أو يمر بها - سياسيًّا أو صحيًّا أو نفسيًّا - كان يبدي لها ما يروقها ويطمئن قلبها. وحين أصيب في أواخر منتصف التسعينيات بأعراض القصور في الشريان التاجي وطلب منه الأطباء ضرورة إجراء جراحة في القلب بالولايات المتحدة.. أصر على إخفاء الخبر عن أسرته، وبالأخص والدته، وذكر لها أنه سيسافر في مهمة رسمية بالخارج، حتى أتم الله له الشفاء وتعافى وعاد ليخبرها أنه أجرى على هامش المهمة بعض الفحوص الطبية العادية.

وتروي شقيقات الدكتور الباز أن والدتهن كانت تشعر في تلك الأيام التي قضاها ابنها في المستشفى أن شيئًا ما يضيق به صدرها، وأنها لا تستطيع التنفس بسهولة، وكأن قلب أسامة الباز جزء من قلبها.. ولم تكن تدري سببًا لذلك حتى عاد إليها بنفسه يطلب منها -كعادته عند العودة من السفر- أن تعد له طبق «الشوربة» المفضل.

وحين مرضت والدة الدكتور أسامة مرضها الأخير في شهر مايو عام 2002، لاحظ الجميع على الدكتور أسامة قدرًا كبيرًا من التوتر النفسي والعصبي في سلوكه وفي ردود الفعل. وزاد من عصبيته أنها لم تكن ترضى بنقلها إلى المستشفى

مكتفية بتمريض بناتها لها في المنزل. وحين اشـتد عليها المرض في الأيام الأخيرة صرخ الدكتور أسامة في وجه شقيقاته آمرًا بنقلها فورًا إلى أقرب مستشفى.

توفيت السـيدة زاهية أبو العطا حمودة في فجر الجمعة 2 يونيو 2002، ووقع الخبر لدى ابنها أسـامة البـاز كالصاعقة، فاهتز قلبـه وارتعدت فرائصه، وخشي الأشقاء والأصدقاء على صحته فنقلوه فورًا إلى المستشفى لمتابعة حالة قلبه.

ومنذ رحيل السـيدة الوالدة إلى رحاب الله شـعر أسـامة الباز أن هرمًا كبيرًا في حياتـه قد سـقط، وأن الدنيا من حوله قد تغيرت.. وكانـت زياراته إلى منزلها بعـد رحيلها تثير لديه أنواعًا شـتى من المشـاعر القاسـية، لكنه ظـل مواظبًا على تلـك الزيـارات؛ لاسـتلهام معـاني القـوة والإيـمان التي بثهـا أصحـاب البيت فيـه؛ ولاسـتمداد الـدفء بذكريات عزيـزة عن الأهـل والجيران ورفقـة الصبا والشباب.

أسامة الباز: الزوج.. والوالد

تـزوج الدكتور أسـامة الباز مرتـين؛ الأولى في عام 1970 من الدبلوماسـية مها فهمي، وكان عمره إذ ذاك تسـعة وثلاثـين عامًا، وقد جمع بينهما حب العمل والثقافة الواسـعة والرغبة في تحدي التقاليد الاجتماعية البالية. وقد اتفق الاثنان عـلى ألا يكون أي منهما عائقًا أمام عمل الآخر وطموحه، فسـافرت الزوجة إلى تونس عام 1973 لتشغل وظيفة سكرتير ثانٍ بسفارتنا هناك، حاملة في أحشائها بـذرة مـن نتاج حب عظيم لرجل عظيم. ثم سـافرت بعد ذلـك إلى لندن. أبلت السـيدة مها فهمي بلاءً طيبًا وأثبتت قدرة المـرأة المصرية على العمل الدبلوماسي المنتـج والمفيـد، حتى ولـو كانت تدفـع إلى جانب ذلك ضريبـة الأنوثة ومتاعب الحمل والأمومة. وكان ميلاد «باسل» العزيز في 4 / 7 / 1975 أجمل ثمرة لحب متميز بين زوجين يقدر كلاهما للآخر فكره ودوره وطباعه وطموحاته.

ومـن أسـف أن هذا الـزواج لم يصمد طويـلًا أمام أعاصير الحيـاة وأمواجها وتقلباتهـا العاتيـة، فكان الانفصـال بينهما عـام 1983، وكان انفصالًا متحضرًا ارتفع فيه الاثنان فوق السفاسـف والصغائر إلى مسـتوى يليـق بعقليهما ومكانة كل منهـا في المجتمـع. ولعـل أصعب مـا كان في الأمر هو توزع مشـاعر الطفل البريء «باسل» بين أبوين متباعدين.

كان «باسـل» يكبر ويترعرع في أحضان والدتـه، لكنه لم يغب للحظة واحدة عـن فكر أبيه ورعايته الدائمة. فحين كان الطفـل يتنقل مع والدته، بين عواصم العـالم في تونـس وفيينـا وواشـنطن، كان قلب الوالـد وفكره يلاحقانـه دائمًا من القاهرة بالسؤال والمتابعة وتلبية أي احتياجات أو مطالب.

ومـن بين الأوراق الشـخصية العديدة التي ظل الدكتور أسـامة الباز محتفظًا بهـا، لأكثر من ثلاثـة وثلاثين عامًا، «كراسـة بيضـاء» تحمل صفحاتهـا خطوطًا ورسـومات ملونـة كانـت أول مـا خطته يـد الطفل «باسـل» في سـنوات عمره الأولى، ومعها صور من شـهادة ميلاده، وعشرات من الخطابات التي تنقل فيها الأم أخبار الطفل وتطور مراحله العمرية، وأحواله الصحية والمدرسية.. ومعالم نبوغه المبكر.

كان الطفـل «باسـل» حين يتعرض لنزلـة برد أو نزلة معويـة، مما يتعرض له الأطفال كافة في سنوات العمر الأولى، يثير الذعر والهلع لدى والده، وخصوصًا حـين يكون الطفل مـع والدته في الخارج على مسـافة آلاف الأميال من والده في القاهرة. وقد كتب أسـامة الباز إلى شقيقته الطبيبة أثناء إقامتها في نيويورك عددًا من الرسـائل التي تفيض قلقًا وانزعاجًا على أحـوال طفله الصحية. وفي إحدى هذه الرسائل المؤرخة في 6/ 9/ 1976 كتب يقول:

«ألمت بباسل في مطلع الأسبوع الماضي نزلة معوية حادة جعلته خائر القوى، وأخـذ وزنـه يتناقص، ولك أن تتصوري مقدار جزعـي وهلعي وأنا بعيد عنه..

والحق أنني أتوق لعودته قريبًا.. فعندئذ يكون في متناول سمعي وبصري على الأقل.. وأكون مدركًا لإبعاد أي شيء يناله.. أما هكذا.. فإن المرء يمكن أن يفقد صوابه.. ومع أنه شفي من نزله البرد والحمد لله.. فما زال يعاني من الهزال الذي أصابه.. وأمه تكون فاقدة الصبر في مثل هذه الأحوال، وتصر على تعويضه عما حل به من نقص فتكون النتيجة هي إتخام جهازه الهضمي؛ فيتعب من جديد وندخل في حلقه مفرغة كئيبة».

وفي رسالة أخرى في نفس العام كتب أيضًا يقول :

«باسل الآن أصبح أحسن كثيرًا، وقد بدأ يسترد وزنه الذي كان قد فقده، وأفقدنا معه قدرًا كبيرًا من عقلنا، وأمه هلعة جزعة لا تكاد تقوى على تحمل أي وعكة تصيب باسل، فما بالك وقد أصيب بنزلة معوية حادة جعلته يقتات على ماء الأرز ليل نهار لمدة ثلاثة أسابيع تقريبًا.. وما أزعجني هو أنها أخبرتني تلفونيًا أن وجهه أصبح كالليمونة حجمًا ولونًا، وأن الملابس الداخلية التي قد ضاقت عليه منذ ستة أشهر أصبحت واسعة عليه جدًا الآن.. وأنها تتحسر كلما تطلعت إليه.. المهم.. كل هذا أصبح over والحمد لله».

وفي رسالة ثالثة مؤرخة في 3 يناير 1977 كتب د. أسامة الباز إلى شقيقته صفاء في نيويورك يقول لها:

«عدت إلى القاهره كما ترين مؤخرًا إذ طالت إقامتي في تونس أكثر مما خططت.. وهذا منطقي وطبيعي.. وخاصة أن «باسل» كان مصابًا بالبرد والكحة.. ولكنه شفي منهما بحمد الله. وأصبح سليمًا معافى، وهو fun وشقي يحب اللعب والحركة باستمرار، ولا يبكي إلا عندما يوضع في سريره (تصر أمه على وضعه في السرير في السادسه تمامًا حتى لو كان قد استيقظ من الـ nap في الخامسة والربع... وهي تزعم أن نمو الطفل يحدث أثناء نومه، كما أن قلة النوم

تجعل الطفل قليل المناعة ضد الأمراض، أي أنه أصبح عرضة للمرض، وهو ما يؤرقها نظرًا للمتاعب الصحية التي مر بها».

وعندما عاد باسل مع والدته إلى القاهرة، بعد انتهاء مهمتها الدبلوماسية في تونس، كتب الدكتور أسامة يقول: «الوالدة بصحة جيدة.. وكذلك باسل (باعتبارهما أهم شخصين في حياتي)، وقد تأقلم هذا الشيطان الصغير على مصر وأصبح خبيرًا بقيمها وطرق التصرف فيها.. وبعد أن كان لا يقبل أن يأكل سوى الطعام المضروب في الخلاط لدرجة «الهرس» فهو الآن حريف في «المحشي والمكرونة والسبانخ واللحم الذي يجاور العظم».. كما يصرخ إذا منعناه من التقاط رغيف الخبز كلما رآه على البوفيه.. وهو يحب الآن التهريج مع عمه نبيل، ويعلم أن «تيتا» هي رئيسة المنزل فلا يستطيع أن يتحايل عليها «to push her around».

ولأن السفراء من زملاء الدكتور أسامة يعرفون قدر هذا الطفل في حياة والده ومنزلته عنده.. فقد كان مدخلهم في كثير من خطاباتهم واتصالاتهم الهاتفية، وفي العديد من اللقاءات التي تجمعهم به -هو السؤال عن «باسل العزيز». يقول أحد السفراء من زملاء أسامة الباز إنه لم يره مهتمًا بالنزول إلى الأسواق أثناء سفراته الخارجية إلا بعد أن كبر ابنه، وصارت له طلبات محددة من «مضارب للتنس» أو «ملابس» أو «أحذية رياضية».

تابع الوالد بكل شغف وكلف تطور المراحل الدراسية لولده باسل، حتى جاء وقت التحاقه بالجامعة فراح يستطلع له الفرص الممكنة والمتاحة للدراسة بأفضل الجامعات، وفعلًا التحق «باسل» بجامعة هارفارد الأمريكية وتمكن بعد فترة - وبسبب تفوقه العلمي والرياضي الملحوظ - أن يحصل على منحة دراسية مكنته من نيل شهادة «البكالوريوس» ثم «الماجستير».

ولأن باسل الباز نبتة طيبة من شجرة طيبة فقد أظهر لوالده بعد ذلك عرفانه بالجميل، وراح يتابع -حتى من موقعه البعيد في الولايات المتحدة، حيث يعمل بإحدى الشركات ذات الصلة بالشرق الأوسط- أحواله الصحية، ويبارك له حياته الجديدة مع شريكة حياته التي ارتبط بها منذ عام 1997.

■■■

جاء الزواج الثاني للدكتور أسامة الباز من الإعلامية الشابة أميمة تمام في ظروف سياسية دقيقة. وقد تعرف إليها من خلال عملها بإدارة الأخبار والشئون السياسية بالتليفزيون المصري، حيث قدر فيها توقدها الذهني وطموحها المهني. وقد ازداد توثقًا بها حين علم أنها من بيت علم وأدب، إذ كان والدها الأستاذ الدكتور تمام حسان أستاذًا معروفًا للغة العربية وآدابها في كلية دار العلوم، وهو أيضًا مستشار للتربية والتعليم في كل من المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية. وخالها المفكر الإسلامي المرحوم الدكتور رشدي فكار- صاحب العطاء الفياض في ربط جسور التواصل بين العلوم الإسلامية والفكر الغربي الحديث. ورغم فارق السن بينهما إلا أن رجاحة عقل السيدة أميمة تمام واستعدادها لمواصلة التعلم والاستزادة من المعرفة وتطوير الذات، جعلها أكثر قدرة على تفهم ظروف زوجها ومقتضيات موقعه السياسي والدبلوماسي الحساس.

حرص الدكتور أسامة الباز من ناحيته على تنمية ملكات اللغة والحوار لدى زوجته أميمة تمام، وعلى معاونتها في اكتساب خبرات إعلامية وسياسية جديدة. وعندما أتاح لها التليفزيون المصري الفرصة للقيام بمهام إعلامية خارجية في مواقع ميدانية تتسم بالصعوبة.. شجعها الدكتور الباز على خوض هذه التجربة لتثبت قدراتها الذاتية والمهنية.. فسافرت في عام 1998 إلى «بلجراد» و«بريشتينا» لتغطية تطورات الأحداث اليوغسلافية الساخنة آنذاك في إقليم

كوسوفو، وأجرت هناك عددًا من اللقاءات والأحاديث الإعلامية الهامة، ثم سافرت في مهام أخرى إلى الخرطوم، ورام الله، وإلى بيروت. كما أجرت حوارات تليفزيونية دقيقة مع عدد من القيادات الفلسطينية واللبنانية والسودانية. وكانت أسعد ما تكون حين تجد قلوب الناس في كل هذه المواقع تحوطها بالتقدير، ليس فقط لارتباطها باسم زوجها المحبوب أسامة الباز وإنما أيضًا لملكاتها الشخصية وطموحها المهني.

وقد ارتفعت هذه السيدة في قلب زوجها حين أضافت إلى حياتهما الزوجية نسمات دافئة بالطفلة الجديدة مريم الباز التي أدخلت البهجة إلى القلوب وجعلت خريف العمر لدى أسامة الباز يبدو كأنه ربيع مبارك.

أسامة الباز.. وخدمة البسطاء والضعفاء

تلقى الدكتور أسامة الباز على مدار سنوات عمله بوزارة الخارجية ورئاسة الجمهورية المئات من الرسائل والالتماسات والعرائض، الشخصية والجماعية، التي يطلب أصحابها تدخله الشخصي لإنصافهم، أو لتلبية بعض احتياجاتهم وطلباتهم الخاصة بالعمل أو العلاج أو السفر أو مد الإعارة أو النقل من موقع إلى آخر، أو إيجاد سكن، وكانت بعض هذه الطلبات تأتي من جانب شخصيات سياسية عربية تزكي طلبًا لبعض معارفها أو أقربائها وأبناء عشيرتها؛ كالمرحوم الأستاذ عز الدين السيد (رئيس البرلمان المصري السوداني) والأستاذ سعيد كمال ممثل منظمة التحرير الفلسطينية بالقاهرة، وبعضها الآخر كان يأتي في شكل تزكية يكتبها أحد أشقاء الدكتور أسامة أو أحد أقاربه في الدقهلية، وأحيانًا من جانب بعض أصدقائه الأعزاء جدًّا لديه كطبيب الأسنان المشهور الدكتور كمال الإبراشي. ورغم أن حالات كثيرة من بين تلك الحالات كانت تستحق بالفعل الاهتمام والرعاية إلا أن أسامة الباز لم يكن يولي لمعظم هذه التوصيات اهتمامًا

بقدر ما كان يفعل بالنسبة لطلبات فردية بسيطة ينقلها له شفويًا عامل فقير من عمال النظافة البلدية، أو عسكري مجند في الأمن المركزي، أو طالب معاق يرجو المساعدة في الحصول على مقعد متحرك لتمكينه من الانتقال بسهولة إلى معهده الديني.

كان من بين الطلبات التي تأثر بها الدكتور أسامة الباز وعمل على تحقيقها بنفسه - التماس تقدمت به إدارة مركز المسنين الكائن بشارع «الرياض» بمصر الجديدة لنقل ابنة إحدى المسنات النزيلات في الدار إلى عمل يزيد راتبه الشهري على 55 جنيهًا؛ نظرًا لاحتياجها إلى أيٍّ فروقات تساعد في تخفيف أعباء الحياة المتعاظمة.. وطلب آخر تقدم به أحد المواطنين الذين تضرروا من زلزال عام 1992 للحصول على إحدى شقق الإيواء التابعة لمحافظة القاهرة بمنطقة العبدة. وقد أجرى الدكتور الباز اتصالًا بالمسئولين بالمحافظة لإتمام هذا المطلب الإنساني.. وطلب آخر من المواطن محمد محمود خليل عمران الموظف بمديرية الشهر العقاري بمحافظة قنا للحصول لابنه المعاق محمد محمد محمود خليل على عمل بوزارة العدل بعد أن يحال والده إلى المعاش خلال شهور معدودة.

كان الدكتور الباز يميز -بحسه الإنساني والاجتماعي الدقيق- بين أصحاب الطلبات الذين يمكنهم الانتصاف لأنفسهم بالطرق المعتادة، وبين أصحاب الطلبات الذين تظهر أحوالهم الخارجية وقدراتهم في التعبير عجزًا واضحًا عن فهم الحقوق والمقتضيات الإدارية، وغير ذلك.. وكان يميل إلى التحرك لخدمة هذا الصنف الأخير من ذوي الاحتياجات وأصحاب المظالم.

ويروي أحد سائقي الوزارة الذين عملوا معه كيف أفرغ الدكتور أسامة ذات يوم كل ما كان في جيبه من مبالغ حصل عليها في إحدى سفرياته الخارجية، وأودعها له في السيارة بعد أن علم عن ظروفه المادية الضاغطة التي كان السائق يمر بها في تلك المرحلة، وكيف أن الدكتور أسامة اضطر يومها إلى اقتراض قيمة

فاتورة التليفونات من إحدى سكرتيراته، بعد أن اكتشف أنه دفع للسائق كل ما كان يحمله في ذلك اليوم من نقود.

ومن ناحية أخرى يروي أحد حراس الأمن المنتدبين من وزارة الداخلية للعمل بمكتب الدكتور أسامة بوزارة الخارجية، أنه أبلغ الدكتور ذات يوم باعتزامه الزواج في تاريخ محدد بعد ثلاثة أسابيع.. وطلب منه إعفاءه في إجازة لبضعة أيام لإتمام هذا المشروع.. وإذا بالدكتور الباز يفاجئ هذا الحارس يوم عقد قرانه بالحضور بنفسه للتهنئة ومشاركته الفرحة مع عائلته الصغيرة في منطقة «المرج» على أطراف القاهرة.

وهناك روايات أخرى يحكيها بعض موظفي مكتب الخارجية في مطار القاهرة. فرغم أن هذا المكتب مخصص أصلًا لخدمة كبار السفراء والمسئولين في الخارجية عند قيامهم بمهام رسمية إلا أن الدكتور أسامة الباز لم يكن يرضى أبدًا أن يقوم أحد من أعضاء هذا المكتب بتسهيل إجراءات فحص الجوازات والأختام، أو استثناء حقيبته الشخصية من التفتيش، وكان يصر على الوقوف في طابور المسافرين أو العائدين مهما كان طويلًا.

ويذكر أحد الموظفين المحليين في بعثة مصر الدائمة لدى الأمم المتحدة في نيويورك كيف كان الدكتور أسامة الباز يحمل له في بعض سفراته، وعند عودته إلى الوطن، خطابات شخصية موجهة إلى أهله في مصر مصحوبة بملابس العيد التي تدخل البهجة على أطفاله.

كما تذكر إحدى سكرتيرات الدكتور أسامة وقفاته الإنسانية معها ومع أسرتها، حين تعرض زوجها لحالات صحية حرجة اضطرته إلى إجراء جراحات عاجلة، وكيف كان الدكتور أسامة يحرص على زيارة زوجها في المستشفى للاطمئنان عليه رغم شواغله الجسام.

ونفس الشيء يتكرر من جانب الدكتور أسامة حين يعلم أن السيدة التي تعاون والدته في أعمال المنزل قد أصيبت بمرض أو تعرض أحد أبنائها لظرف صحي طارئ. وكان الدكتور في هذه المواقف يحرص على مداومة السؤال عنها وعن أولادها، ولم يكن يرضى بأن يعرف أحد من أهل هذه السيدة أن مصروفات علاجها مدفوعة بالكامل... ومقدمًا.

أسامة الباز... والأصدقاء

وللصداقة في عرف أسامة الباز معنى خاص وقيمة أخص. فهي بالنسبة له صله بين اثنين أو أكثر تتوطد عبر الزمن ولايكون من ورائها نفع يرتجى أو مصلحة مباشرة. والصديق في رأيه هو ذلك الشخص الذي حين تجلس إليه وتتحدث تشعر أنك تجلس إلى نفسك وتتحدث معها. فلا تكلف ولا اصطناع ولا مواربة ولاتزويق في الكلام. والصديق الحقيقي هو الإنسان الذي تعرفه في الشدائد بأكثر من معرفتك له في أوقات المسرة والهدوء. وهو الذي يخلص لك النصيحة ويصارحك بالحقائق مهما كانت مرة أو قاسية. ولاتقوم صداقة حقيقية بين شخصين إلا إذا كان كلاهما يؤمن بحق الآخر في الاختلاف. فالتماثل والتشابه أو التطابق في المواقف ليس بالضرورة صنوًا للصداقة، وإنما قد تنشأ الصداقة بين اثنين مختلفين في الرؤى وفي الخلفيات الاجتماعية والمادية.. بل أيضًا في المستويات الفكرية والتعليمية. فقط هي القيم الأخلاقية التي يلزم أن تكون متماثلة بين شخصين كي تقوم بينهما صداقة قوية.

وهذا الفهم العميق لمعنى الصداقة ومتطلباتها جعل الدكتور أسامة الباز يميز بوضوح طوال مشوار حياته بين من يعتبر «صديقًا» ومن يسمى «زميلًا» أو «شريك عمل» أو رفيق موقف. فزملاء العمل في المهنة الدبلوماسية كثيرون ويعدون بالمئات وربما بالآلاف إلا أن «الأصدقاء» منهم عددهم قليل.

ولأسامة الباز أصدقاء من خارج الوسط الدبلوماسي بأكثر مما له من صداقات داخل هذا الوسط. ومعظم صداقاته تعود إلى سنوات الدراسة الجامعية وربما إلى بعض بدايات العمل المهني والنشاط الفكري والإعلامي في الستينيات والسبعينيات. ولعل أبرز الأسماء في هذا الصدد والتي كان الدكتور الباز يعتز بها اعتزازًا خاصًا المرحوم المستشار أحمد سلامة رئيس اللجنة التشريعية بمجلس الشعب سابقًا، والمرحوم الأستاذ أحمد الحفني (المحامي) والدكتور كمال الإبراشي طبيب الأسنان، والدكتور إبراهيم شحاتة والدكتور إسماعيل سراج الدين والدبلوماسي الفلسطيني سعيد كمال والدكتورة ليلى تكلا، والأساتذة أنيس منصور ولطفي الخولي، والدكتور إسماعيل صبري عبدالله، والمهندس حسب الله الكفراوي، والدكتور شريف بسيوني، والدكتورة علية البنداري، والدكتور عبدالوهاب المسيري، والدكتور صبري الشبراوي، ود. طارق حجي ود. منى مكرم عبيد ورجل الأعمال العصامي د. إبراهيم كامل وحرمه السيدة راندا حافظ، والكاتبة الأمريكية جوديث كيبور والمستشرقة الأمريكية آنيتا بكر، والسفراء: تحسين بشير، وأحمد ماهر، وعبدالرءوف الريدي، ومحمد شاكر، وعمرو موسى، وعبدالحليم بدوي، ونبيل العربي، والمستشار مقبل شاكر.

وقد يضاف إلى هذه القائمة من أسماء «الأصدقاء» بعض الأشخاص الذين دخلوا إلى حياة أسامة الباز في مراحل متأخرة نسبيًا كالسيدة راقية ماهر، والمرحوم محمود السعدني، والكاتب الروائي وحيد حامد.

■■■

الغذاء والصحة.. والمرض.. في حياة أسامة الباز

عرف عن الدكتور أسامة الباز منذ طفولته وشبابه زهده غير العادي في الغذاء والطعام عمومًا. وكان ذلك سببًا يؤرق والديه وأشقاءه كثيرًا، حيث لم يكن هناك أحد يعرف على وجه اليقين ما إذا كان هذا الزهد أو قلة الإقبال على الطعام يعود إلى أسباب خلقية أو مرضية أم يرجع إلى رفضه الطوعي لأنواع الطعام التي تعد له.

كان أسامة الباز يخرج من منزل الأسرة في الصباح دون تناول أي إفطار.. بخلاف المعتاد لدى كثير من الناس في مصر.. وباستثناء كوب من الشاي مع الحليب أو حبة من حبات الفاكهة المتاحة.. لم يكن الدكتور يعوض في مكتبه ما يفتقده كل صباح من سعرات حرارية لازمة لتشغيل جسمه وتحريك الدورة الدموية إلى عقله المزدحم بالشواغل والأفكار والمواعيد واللقاءات. ولم يكن له موعد محدد لتناول وجبة الغداء، إذ كان أحيانًا يضطر إلى حضور مأدبة رسمية فيتناول فيها القليل مما يقيم أوده ويحافظ في ذات الوقت على قواعد البروتوكول ولوازم الضيافة ،خاصة حين يكون هو الداعي. وفي أحيان كثيرة كان ينتظر حتى يعود وقت المغرب إلى منزله ليحتسي هناك طبقًا من «الحساء» المفضل وقطعة من الدجاج المسلوق وبعض الخضراوات الطازجة. ونادرًا ما عرف عنه أنه جلس إلى مأدبة عشاء كامل في وقت مبكر أو متأخر من المساء. وحتى في المرات التي كان واجبه الدبلوماسي يحتم عليه المشاركة في مثل هذه المناسبات الرسمية كان أسامة الباز يلتقط بطرف الشوكة أو «الملعقة» بعض ما يقدم له محافظًا –وهذا هو الأهم في رأيه– على الشكل العام للجلسة وإطارها المراسمي.. وفي كثير من المرات لوحظ أنه يشارك في بداية الاحتفالات والمآدب الرسمية لإثبات حضوره الدبلوماسي، وسرعان ما يتسلل منها عند أول فرصة تتاح له للخروج من الزحام. وكان في بعض الأحيان يفضل التوجه مع صديق له أو

بعض الأصدقاء إلى مطعم شعبي يتناول فيه الطعام العاجل FAST FOOD الذي يفضله سواء كان على الطريقة الأمريكية أو كان من إنتاج محلات «التابعي الدمياطي» المصرية.

وللدكتور أسامة الباز -مع ذلك- ولع خاص بأكلات السمك بأنواعها المختلفة وخاصة «البوري». وكان في بعض الأحيان -وحتى وقت قريب- يفضل الذهاب مع بعض رجال الرئاسة إلى أحد مطاعم الأسماك المشهورة في حي شبرا، خاصة عندما يتقدم بهم الوقت إلى جوف الليل بعد عناء يوم طويل من العمل المستمر.

كذلك كان له ولع ببعض أنواع الحلوى والمعجنات كالبقلاوة أو «عيش السراي»، وكان يفضل شراءها بنفسه من أحد المحلات الواقعة في شارع قصر العيني بوسط القاهرة. وعندما يكون في رحلة خارجية إلى أحد بلاد الشام كان يفضل أن يصطحب عند العودة إلى والدته علبة من الحلويات الشامية المشهورة في هذه البلاد.

ويشرح أحد الأطباء المصريين هذا الموقف العجيب من جانب الدكتور أسامة إزاء الطعام عمومًا فيقول إن لكل جسم آدمي طريقته في بناء الأنسجة METABOLISM، وقد تختلف هذه العملية من إنسان إلى آخر، فالبعض قد يحتاج لبناء الأنسجة إلى كميات من المواد النشوية والكربوهيدراتية، بينما يكتفي البعض الآخر بمجرد الفاكهة أو العسل وربما ببعض الحلوى. والعجيب أن أسامة الباز لا يشعر في أي وقت من الأوقات بالجوع، ولايذكر أحد من أفراد أسرته أو مخالطيه أنه أعرب يومًا عن ذلك. والأعجب أنه لم يصب في أي يوم من الأيام بدوار أو بهبوط في الدورة الدموية بسبب نقص الغذاء، ونادرًا ما كان يصاب بنزلة برد أو متاعب في المعدة أو الجهاز الهضمي.

وللدكتور أسامة تعليقاته الناقدة لطريقة المصريين في الاحتفال بضيوفهم وبالمناسبات الاجتماعية والدينية من خلال إتخام «الكروش» بالعشرات من صنوف الطعام وحشد المآدب العربية بالخراف المشوية الكاملة «والمحشوة بالأرز وأنواع المكسرات» فضلًا عن اللحوم الأخرى التي يتباهى البعض بتنويعها. وكانت له في ذلك بعض التعليقات والنصائح التي كتب عنها في إحدى رسائله لشقيقته أثناء إقامتها في نيويورك مع زوجها الدبلوماسي بعد أن بلغه من بعض أصدقائه ومعارفه أن هذه الشقيقة وزوجها يقيمان في بيتهما الصغير بجزيرة «مانهاتن» مآدب حافلة لكل من يزور نيويورك من الدبلوماسيين أو الصحفيين المصريين.

كانت أولى المرات التي اكتشف فيها الدكتور أسامة الباز زيادة نسبة الكوليسترول في الدم بتاريخ 18/ 9/ 1983، لم يكن قد تجاوز الـ 45 عامًا. وقد أوضحت تحاليل معامل القاهرة الطبية تحت إشراف الدكتور حسن زاهد أن نسبة الكوليسترول قد بلغت وقتها 280 وحدة، وعندها عاد ومعه تعليمات الطبيب بالامتناع عن مأكولات عديدة كتبها بخط يده في ظهر ورقة التحاليل المعملية.. وتشمل تلك الممنوعات ما يلي:

- اللحم الأحمر (الجزء السفلي من أي شيء) وحتى اللحم الأبيض يتم تقليله.
- المكسرات.
- الأنشوجة والبطارخ والسردين والتونة (علشان الأملاح).
- التقليل من كمية المانجو والفراولة بقدر الإمكان.
- SATURATED FAT وهو موجود في الدهنيات الحيوانية.
- تجنب الأطعمة ذات الفضلات: البطيخ / المانجو / البرتقال / الخس.

وفي 10/ 10 / 1988 أعاد الدكتور الباز الكشف فأوضحت نتائج التحاليل المعملية أن الكوليسترول قد انخفض إلى 272 وحدة، لكن الطبيب كتب له بخط يده على ورقة مرفقة بنتيجة التحليل: (الكوليسترول عندك عالي ياسمسم..بطل أكل البيض المقلي والكافيار).

وفي تطور لاحق اكتشف الأطباء المعالجون في عام 1994 بعض أعراض القصور في الشريان التاجي، فصدرت له قرارات علاج على نفقة الدولة بمستشفى الصفا وكايروسكان وبرج القاهرة ومستشفى مصر الدولي. ثم اضطر بعد ذلك إلى السفر إلى الولايات المتحدة في 5/ 10 / 1995 لإجراء عملية لتوسيع الشرايين والأوردة بمستشفى كليفلاند بولاية أوهايو تحت إشراف الدكاترة جارسيا، وشلدون، ولوب.

وكان الدكتور الباز قد أجرى قبل ذلك بحوالي عامين عملية استئصال غدة بمستشفى الصفا بالدقي - وذلك في23/ 12/ 1993. تحت إشراف الأستاذ الدكتور علي الشربيني.

■■■

ومن بين الأوراق الشخصية التي يحتفظ بها الدكتور الباز ورقة بعنوان (رياضة المشي بداية الطريق إلى الصحة والسعادة) أعدها الدكتور محمد شرف وفيها حصر لفوائد المشي، وأهمها: تنشيط الدورة الدموية والتنفس، والحفاظ على لياقة الأوعية الدموية والرئتين وعضلة القلب، وزيادة قدرة الأنسجة على استخدام الأوكسجين وتعطل الإحساس بالإرهاق والتعب. كما أن المشي يرفع من الطاقة الإنتاجية الجسمانية أي قدرة الجسم على العمل لساعات أكثر، بالإضافة إلى معالجته السمنة، وتقليله من الدهون والكوليسترول في الدم والمساعدة على النوم، ومعالجة الكثير من الأعراض النفسية والعصبية.

وإلى جانب تلك الورقة توجد أوراق أخرى تتضمن قائمة بالسعرات الحرارية المتوافرة لبعض الأطعمة والعناصر الغذائية، وورقة ثالثة عن الطاقة المقترحة يوميًّا بالكالوري للرجال والسيدات في حالة النشاط المضاد.

■■■

كانت للدكتور أسامة الباز قبل ذلك جولات علاجية أخرى مع صديقه الدكتور كمال الإبراشي طبيب الأسنان المشهور وذلك في منتصف السبعينيات. حيث أجرى له الدكتور الإبراشي عملية كبرى MAJOR نزع له فيها ضروس العقل الأفقية الأربعة، وقوّم ما كان معوجًّا من أسنان أخرى. وقد اضطر وقتها إلى تلقي مخدر طبي كلي GENERAL من طبيب التخدير دكتور إسماعيل حجاج -شقيق السفير أحمد حجاج- وحول هذه الواقعة كتب الدكتور أسامة إلى شقيقته الدكتورة صفاء يقول في إحدى رسائله في عام 1976:

«فضلت أن أحضر إلى منزل عمك بهجت بعد العملية خشية أن تنزعج الوالدة لرؤيتي والدم يتساقط من فمي.. والورم يسيطر على خدي من فوق لتحت.. والإشكال الحقيقي أن الدكتور الإبراشي أصر على خلع الضروس الأربعة مرة واحدة.. وأنا أكتب هذا الخطاب إليك في اليوم الثاني للعملية.. وحالتي لا بأس بها، والألم محتمل دون أي مسكنات، وألعن وقت كان فترة الإفاقة من البنج - HANGOVER وهو شعور سخيف يجعلك في حالة إغفاء، بل هي أقرب إلى الإغماء».

وحين اقترب عمر الدكتور أسامة الباز من الثمانين عامًا - لاحظ الجميع أنه ظل محافظًا على رشاقة جسمه دون أي ترهل، ومواظبًا على رياضة المشي بانتظام لمدة ساعة على الأقل يوميًّا، ولم يكن ينقصه إلا بعض مقويات الذاكرة التي أخذت في التراجع بعض الشيء خلال العامين الأخيرين من حياته.

وللمـرء أن يتسـاءل من قبـل ومن بعد – عـما إذا كانت هنـاك في العالم طاقة عقليـة تسـتطيع أن تحافـظ على كل هذا الكـم الزاخر من المعلومـات والحوادث والتواريـخ والأسـماء والمواقع التي اسـتوعبها هذا الرجل في مشـواره الطويل؟ وأي آلة حاسـبة أو جهاز كمبيوتر ذلك الذي يسـتطيع أن يرتب تلك الأحداث ويصنفها ويسترجعها... وهي تحمل من المشاعر والانفعالات أضعاف ما تحمل من وقائع وأرقام وأسماء... ليس فقط مما يخص فردًا بعينه أو بلدًا بذاته أو مرحلة بعينها، وإنما تخص ملايين من أبناء مصر والعالم العربي والشرق الأوسط والعالم على مدار نصف قرن أو يزيد....!

■■■

الفصل العاشر

أسامة الباز.. بعيون وأقلام المصريين والعرب والأجانب

حظي أسامة الباز على مدار مشواره السياسي الطويل بتقدير واحترام أغلب رجال السياسة في مصر ممن ينتمون إلى مختلف القوى الحزبية القديمة والحديثة وأغلب المثقفين والكتاب وأساتذة الجامعات ورجال الجيش والأمن والقضاء، ورجال الدين مسلمين وأقباطًا والاقتصاديين والفنانين والإعلاميين، وحتى التجمعات العمالية والنقابات المهنية والاتحادات الطلابية والنسائية وهيئات المجتمع المدني، إلا أن ذلك لم يمنع بعضًا من شباب الصحفيين ورجال القانون المعارضين لبعض جوانب السياسة المصرية من توجيه سهام النقد في بعض الأحيان إلى الدكتور الباز باعتباره أحد أبرز مستشاري النظام السياسي المصري خلال العقود الأربعة الأخيرة وأحد مهندسي سياسة السلام المصرية مع إسرائيل. واللافت للنظر أن أحدًا من هؤلاء الناقدين -على قلتهم- لم يتجاوز في نقده حدود الاختلاف السياسي مع الرجل، وأن الجميع من مؤيدين وناقدين قد أجمعوا على نزاهة أخلاقه وعفة يده وطهارة لسانه وتجرده عن المطامع والتطلعات الشخصية، كما اتفق الجميع على الاعتراف له بوطنية الدوافع وبساطة السلوك والبعد عن التكلف والنفاق.

وفي هـذا الفصل نحـاول رصد بعض ملامح صورة أسـامة الباز كما ظهرت في مختلـف الدوائر المصرية والعربية والأجنبية، ونعتمد في ذلك على عدة مصادر **أولها** ما كتب عنه في الصحف والمؤلفات المصرية وفي الرسائل وإهداءات الكتب الموجهـة إليـه من بعـض الشـخصيات الوطنيـة والكتـاب والمفكريـن. **وثانيها** مـا كتب عنـه في الصحف والمؤلفات العربيـة. **وثالثها**: ما كتـب عنه في المصادر الأجنبية والإسرائيلية.

صورة الباز في الصحف والمؤلفات المصرية:

يبدو أن الكاتب الصحفي الأستاذ عادل حمودة كان أكثر الصحفيين المصريين متابعة لشـخصية أسـامة الباز وتطورات دوره السـياسي، فقد كتب عنه في مجلة روز اليوسـف عندما تـولى الدكتور الباز العلاقات الخارجية لمنظمة الشـباب في أوائل السـبعينيات، ثم كتب عنه في نفس المجلـة بتاريخ 16/ 1/ 1995 يقول: «أسامة الباز مسئول سياسي مصري.. مرتب العقل.. متماسك الأعصاب.. قوي الذاكـرة.. واعٍ لما يفعل.. ويفعل مـا يمليه عليه ضميره الوطني والقومي.. وهو ثمـرة من محصول مصر الحضاري.. وجزء من عصـارة قلبها وعقلها.. وهذا ما جعله يمزج بين السياسـة والحياة الدبلوماسية والإبداع الفني والأدبي، ويحرص عـلى متابعة الحياة الثقافية بقدر حرصه على متابعة ما يجري في العالم». ويسـتطرد الأسـتاذ حمودة فيقول: «هـو لا يميل إلى البروتوكول المتزمت.. عشـاؤه في بيت أحد الأصدقاء أفضل من عشاء على مائدة في البيت الأبيض، وهو قادر على نقد رواية أو مسرحية أو لوحة تشكيلية بنفس قدرته على نقد النظام الدولي الجديد».

ووصف الأسـتاذ عادل حمودة موقف الدكتور أسـامة الباز في مفاوضات كامب دافيـد بأنـه كان بمثابة «ضرس العقـل بالنسـبة للرئيس السـادات..» و«واضع الحواجز والموانع بالنسبة للإسرائيليين».

وفي موضع آخر ينشر الأستاذ عادل حمودة في جريدة الفجر يوم 3/ 7/ 2006 تحقيقًا صحفيًا عن أسامة الباز.. جاء فيه «يفضل الدكتور أسامة الباز استخدام المترو من المعادي حيث يسكن إلى ميدان التحرير حيث مكتبه، ويسهل على الركاب التعرف إليه.. وهم يجدونها فرصة لمد جسور الدردشة بينهم وبينه، فهي سابقة لم تحدث من قبل أن يجد الناس المستشار السياسي لرئيس الجمهورية يشاركهم الزحام.. في وقت يختبئ فيه الوزراء من محدثي السلطة وراء ستائر سياراتهم الفارهة.. محاطين بحراسة عصبية تعزلهم عما حولهم، وتشعرهم بأهمية لا يستحقونها، وخطورة لا يتعرضون لها». والحقيقة -كما يقول عادل حمودة- «أنه مسئول متواضع.. شديد التواضع.. تجده بين الناس سائرًا على الأقدام دون حراسة تحاصره.. وتجده في طابور الجوازات قادمًا من الخارج بلا تشريفة تسبقه.. أو تجده بين جمهور معرض فني يتأمل لوحة تشكيلية لفنان شاب يصر على تشجيعه». ويستطرد الكاتب فيقول :«طوال السنوات التي شغل فيها الباز مواقع قيادية وحساسة لم يتغير ولم يتكبر.. ولم تظهر عليه أعراض المسئولين الكبار والصغار الذين ساهم في وصولهم إلى مناصبهم، ومن هذه الأعراض التعالي والغطرسة والكلام من طرف الأنف.. وهو مرض سياسي شائع في مصر..».

وفي صفحة كاملة من صفحات جريدة «صوت الأمة» حاول الأستاذ خيري شلبي تحت عنوان (قمر النيل) استكشاف الجوانب الجاذبة في شخصية أسامة الباز فقال عنه [إنه أصبح كفتى الشعب المدلل الذي يوده الجميع، تألفه كل الفئات وكأنه قد امتلك خصائص القط البلدي الوديع الجميل، يغري كل من يراه بالرغبة في احتضانه وإشعاره بالحب والمودة] ويستطرد الكاتب الأديب متسائلًا: [هل لأنه نوع فريد من النحل يعطي العسل دون أن يقرص؟ أم لأن وجهه قريب الشبه بوجه القط البلدي مضيء العينين؟ أم هو وجه صعلوك مصري أصيل تراه على ملايين الأشكال والألوان بين خمسة وستين مليون مصري

كعادل إمام وزكريا الحجاوي ومحمود السعدني وكامل الشناوي وبيرم التونسي وزكريا أحمد وأحمد فؤاد نجم... وغيرهم ممن تحتوي نفوسهم روح الصعاليك وإن تنكرت في أزياء ومناصب بعضها حساس وبعضها الآخر شائك.

وكتب الأستاذ محمود فوزي -المحاور الصحفي المعروف- في مقدمة حواره المنشور بمجلة أكتوبر عدد الأحد 12 فبراير 1995 - يقول: [الدكتور أسامة الباز طراز خاص من الرجال.. دبلوماسي من الطراز الأول ومع ذلك فهو صريح جدًّا.. مفكر سياسي رفيع المستوى.. ومع ذلك فهو يتابع تفصيلات الأحداث مهما كانت صغيرة.. ويعيش الحياة السياسية بعشق شديد.. وهو هادئ ورقيق وودود.. ومع ذلك فهو مقاتل عنيد في الحق المصري والعربي. وهو مصري حتى النخاع.. وطني متشدد لا يساوم على حقوق وطنه.. ومع ذلك فهو يؤمن بأن التفاهم هو أفضل وسيلة لحل الخلافات. وهو من الصقور العربية.. ومن الحمائم أيضًا. وتلك هي المعادلة الصعبة التي ينفرد أسامة الباز بحلها].

وفي باب (دبلوماسي في مهمة) الذي كان ينشر في الصفحة الدبلوماسية لجريدة الأهرام بإشراف الأستاذ محمد الحناوي كتب الأستاذ إبراهيم البهي في 25 إبريل 1995 يقول: [في جميع مهامه الدبلوماسية يظهر الدكتور أسامة الباز مدى وطنيته وحبه الشديد لكل ما هو مصري. وعندما سألته إحدى الطالبات في جامعة جنوب الوادي بقنا ذات يوم عما إذا كان يستطيع أن يقول لأمريكا: لا.. أجابها في شجاعته المعهودة وثقته العالية: «قلناها كثيرًا.. ونقولها لكل ما يتعارض مع مصلحة مصر الوطنية، ومن غير الطبيعي أن يتصور أحد أن السياسة المصرية نسخة كربونية من السياسة الأمريكية»]. ويصف الأستاذ البهي في ختام مقاله أسامة الباز بأنه [المايسترو الحقيقي للسياسة الخارجية المصرية].

وفي25 فبراير 2001 كتبت الصحفية نجوى عزت بمجلة نصف الدنيا تقول عنه: [أسامة الباز واحد من مثقفي مصر الكبار، يحظى باحترام وحب الجميع، وبشعبية واسعة، حيث يعرفه الخاصة والعامة. ويمكن أن يقابله المرء في الشارع أو السوق أو المترو أو التاكسي. يمشي وحده دون حراسة كأي مواطن في وقت أصبحت فيه الحراسات الخاصة ظاهرة ملحوظة. وقد اكتسب حب الجميع لبساطته المفرطة واختلاطه بكل فئات الشعب، وبسبب سعة صدره في مناقشة الآخرين والاستماع للرأي الآخر باحترام].

وفي عموده الصحفي (مختصر ومفيد) بصحيفة الجمهورية كتب الأستاذ سمير رجب بتاريخ 15 ديسمبر 2009 يقول: [تحية كبيرة للدكتور أسامة الباز. كثيرون غيروا آراءهم بمجرد الابتعاد عن النظام. بعضهم هجا بقسوة، وبعضهم ادعى بطولات زائفة... إلا هو. مخلص وصامت ومتأمل، ومخزن معرفة].

وفي مقدمة تقريره عن تكريم محافظة الدقهلية للدكتور أسامة الباز كتب الأستاذ عادل البطريق في الأهرام بتاريخ 13/ 2/ 2003 يقول: (يأتي تكريم محافظ الدقهلية الدكتور أحمد سعيد صوان للدكتور الباز ليس فقط لأنه من أبناء المحافظة الذين يعتزون بانتمائهم إليها، وإنما لأنه راح يملأ سماء مصر كلها بنبوغ وعطاء، فهو الملقب بمهندس الدبلوماسية المصرية، ويشهد له الجميع بالعقلية المبدعة، والقدرة على التفاوض الهادف، والتعامل مع كل الأطراف في هدوء وثقة واضعًا نصب عينيه مصلحة الوطن دائمًا) ويشير أحمد البطريق إلى ما أطلقه بعض المصريين على الدكتور الباز بأنه «هنري كيسنجر المصري»، وينقل بعد ذلك النكتة التي كانت تتردد في حفلات الكوكتيل بالقاهرة في أوائل الثمانينيات والتي تصف وزير الخارجية الأمريكي السابق وهو يخطو جيئة وذهابًا في مكتبه بواشنطن مغمغمًا: «أنا أسامة الباز الأمريكي».

وفي عـدد إبريـل 2007 نشرت مجلة الإذاعة والتليفزيون حوارًا صحفيًّا دسًّا أجرته السيدة سوسن الدويك مع الدكتور أسامة جاء في مقدمته (إن الدكتور أسامة البـاز أصعب مفاوض مـصري مع إسرائيـل في مفاوضات كامـب دافيد وصياغة معاهـدة السـلام عـام 1979 ...وهذا باعتراف القـادة الإسرائيليـين في مذكراتهم ووثائقهـم). وتضيف: (هو نجم في عالم السياسـة، ومثقف من طراز رفيع، ورغم كل مهامه فهو يجد وقتًا لارتياد المسارح ودور السينما والأتيليهات والمتاحف لمتابعة الأعمال الفنية الراقية) (وهو كمحارب قديم لا يترك موقعه بسهولة).

رسائل من شخصيات مصرية:

في الفـترة الـتـي قضاها أسـامة البـاز أواخر عـام 1995 بالولايـات المتحدة لإجـراء جراحة دقيقة في القلب بمركز كليفلانـد بولاية أوهايو تلقى عديدًا من الرسائل نختار من بينها ما يلي:

- رسـالة خطيـة من الكاتـب الصحفـي عبدالسـتار الطويلة يقـول فيها: [لايوجـد أحد في القاهرة يشـعر أنها خاوية على عروشـها لغيابك عنها مثلي، إنني أشـعر بوحدة شـديدة لأنه حتى لو لم يكن ميسـورًا للمرء أن يلقاك كما يهوى فإن مجرد إحساسـه بأنـك موجود في مصر يريح ويهدئ مـن القلـق. إنني أرجو لك من كل قلبي الشـفاء السريع.. والعودة إلينا صحيحًـا معافى كـي نلهث وراءك وأنـت تمشي في شـوارع القاهرة على طريقة الجري.

أيهـا الصديـق الأعز.. عـد إلينـا بسرعة فنحـن ومصر كلهـا في حاجة إليك.. ومسـتقبلها في حاجة إليـك أيضًـا... فأمثالك من الرجال عملة نـادرة في أيامنـا الرمادية هذه.. ولا شـك أن الرئيس يفتقـدك، ويفتقد مشورتك وآراءك المستنيرة، وتجردك من كل أطماع الدنيا الزائلة..].

كلمات الإهداء من المؤلفين والأدباء والمفكرين:

من بين مئات الكتب التي أهداها مؤلفوها إلى الدكتور أسـامة الباز - ضمن آلاف الإصـدارات التي تزخر بها مكتبته الخاصـة- نختار هنا بعض الصياغات الخاصة التي كتبها هؤلاء المؤلفون في إهداءاتهم بخط اليد - والتي تكشـف عن حجم ونوع التقدير الذي يحظى به الدكتور الباز لديهم جميعًا.

كتب إليه الأستاذ محمود السعدني إهداء لمؤلفه (ألحان السماء) يقول فيه: [إلى الدكتور أسـامة الباز.. البقيـة الباقية من الذين يقـرءون فيفهمون]. وعلى صدر مؤلفـه الآخـر (القضية) كتب الأسـتاذ السـعدني أيضًـا إهداء يقول فيـه: [عمنا أسـامة الباز.. أحد القلائل الذين أعطوا القضية ولم يأخذوا منها.. وهي معجزة في هذا الزمان].

وفي إهـداء الأسـتاذ عبدالسـتار الطويلـة لمؤلفـه (أمـراء الإرهـاب) كتـب يقـول في 10/ 3/ 1993: [صديقي العزيز د. أسـامة البـاز، كانت كلماتك هي الـشرارة الأولى في خـروج هذا الكتاب إلى الوجود، سـلاحًا من أسـلحة الدفاع عـن الديمقراطيـة ضد الهمجية. مع تحيـاتي]. وعندما أصدر نفـس الكاتب عام 1996 مؤلفه الثاني بعنوان (حكومة مدنية أم دينية؟) كتب في إهدائه يقول: [إلى الصديق الدكتور أسـامة الباز.. تقديرًا للـدور التنويري داخل النظام وخارجه، وتأكيدًا أننا في خندق واحد ضد خطر حكومة الظلام والتخلف].

أما الدكتور رمسـيس عوض -وهو شـقيق الكاتب المرحوم لويس عوض- فقـد أهـدى الدكتور أسـامة الباز في 4 ينايـر 1992 كتابه المعنون (أدباء روسـيا المنشـقون) قائلًا: [إلى السـياسي والفنان الدكتور أسـامة الباز.. تقديـرًا وامتنانًا لصنيعك مع شـقيقي المرحوم لويس عـوض]. والمعروف أن لويس عوض كان قـد تعـرض في بعـض المراحل لحملـة هجوم من جانـب بعض القـوى الرجعية في مـصر والعـالم العربي تتهمـه بالانخلاع عن البيئـة الوطنيـة والترويج لأفكار

واتجاهـات مـن شـأنها تقويض ملامـح الثقافـة العربية لصالـح الثقافـة الغربية والأوروبية بالذات. ويبدو أن الدكتور الباز قد سـاند الدكتور لويس عوض في تلك الأزمة، وعمل على تنحية الشـبهات التي أحاطت بفكره وعمله، إذ كانت تربطـه به معرفـة لصيقـة، وكان الاثنان يلتقيـان كثيرًا في حضور الأسـتاذ محمد حسـنين هيكل والأسـتاذ أحمد بهاء الدين، وفي إطار نـدوات «الأهرام» الفكرية والأنشطة الثقافية بالجامعات المصرية.

ولدينا بخط يد الدكتور لويس عوض نفسه إهداء مكتوب على كتابه الصادر في عـام 1987 بعنوان: (المحـاورات الجديدة) يقول فيه: [هدية للصديق العزيز أسامة الباز.. مع دعوة إلى الابتسام في مجتمع المحجبات].

وفي إهدائـه لكتابه: (متمـردون لوجه الله) كتب الكاتـب الصحفي المرحوم محمود عوض يقول في 1/ 11/ 1981 [إلى الدكتور أسامة الباز.. الوجه المشرق والمشرف للدبلوماسية المصرية في الثمانينيات.. محبة وإعجابًا وتقديرًا].

وكتب الدكتور غبريال وهبة في 16/ 6/ 1996 إهداء لمؤلفه (أثر الكوميديا الإلهيـة لدانتي في الفن التشـكيلي) يقول: [إلى نابغة مصر وبديعها.. الفيلسـوف المفكـر الأسـتاذ الدكتـور أسـامة الباز.. أهـدي كتابي مع أسـمى آيـات التقدير والاحترام].

أما الأسـتاذ طارق حجي صاحب المؤلفات العديدة عن الماركسـية والشئون المصريـة فقـد حرص على إهداء الدكتور أسـامة نسـخة مـن كل مؤلفاتـه تقريبًا ابتداءً من مؤلفه الأول (نقد الماركسية) ثم مؤلفه (تجربتي مع الماركسية) ومؤلفه الثالث (الشـيوعية والأديان) وفي إهدائه لهذا الكتاب الأخير كتب طارق حجي يقـول: [الدكتور أسـامة الباز: في غابة الحـكام بالعالم الثالث يكون السـياسي ذا الثقافـة الواسـعة والدرايـة الكبرى بعلـوم التاريخ والسياسـة والفلسـفة كطائر

العنقاء الذي رمزت به العرب لمطلق الندرة. لذلك كانت سعادتي بلقائكم يوم 12/ 11/ 1997 بلا حدود - مع تقدير لا إخاله يخصني عنكم].

وفي إهدائه لمؤلفه (أفكار ماركسية في الميزان) الصادر عام 1987 كتب الأستاذ طارق حجي يقول: [إلى الدكتور أسامة الباز الذي ذكرني الحوار معه بحديث أفلاطون الطلي عن حكم الفلاسفة.. مع بالغ الإعجاب].

■■■

ومن بين كتاب المسرح والرواية أهدى الأستاذ لينين الرملي إلى الدكتور أسامة الباز مسرحيته (أنت حر) قائلًا في إهدائه: [إلى الدكتور العظيم أسامة الباز مع كل التقدير للدور الذي تؤديه من أجل مصر]. كما كتب له في مناسبة صدور روايته (سعدون المجنون) يقول: [إلى الدكتور أسامة الباز.. أحد الرجال الذين يجعلون من مصر بلدًا أفضل].

أما الأستاذ وحيد حامد فقد كتب في إهدائه المؤرخ في 9/ 11/ 1984 لروايته (استيقظوا.. أو موتوا) فيقول: [إلى الأستاذ الدكتور أسامة الباز.. صاحب الرؤية الواضحة، وصاحب العقل الفريد.. والإنسان.. والصديق].

وكتب الأستاذ جمال الغيطاني في إهدائه للمجلد السادس من أعماله الكاملة يقول: [الصديق العزيز.. والأخ الأكبر.. الدكتور أسامة الباز: إنسانًا رائعًا، وصديقًا حميمًا.. مع امتناني العميق وشكري العميق].

أما الروائي إبراهيم عبدالمجيد فقد أهدى إليه مجموعته القصصية (إغلاق النوافذ) بكلمة قصيرة يصفه فيها بـ «المفكر والدبلوماسي الكبير».

وهناك في مكتبة الدكتور الباز مؤلفات عديدة للدكتور نصر حامد أبوزيد منها (التفكير في زمن التكفير) وعليه إهداء بتاريخ 31/ 1/ 1995 يقول فيه: [إلى الأستاذ الدكتور أسامة الباز.. الأفق المفتوح.. والعقل المبدع]. وكتابه

(المرأة في خطاب الأزمة) وعليه إهداء يقول فيه: [إلى الأستاذ الدكتور أسامة الباز.. رجل المهام الصعبة دائمًا]، وكتابه (إشكاليات القراءة وآليات التأويل) وعليه إهداء من نفس المؤلف يقول فيه: [إلى الدكتور أسامة الباز.. وأرجو أن يكون ما أكتب جديرًا باهتمامه].

كذلك هناك كتاب (الفريضة الغائبة) للدكتور فرج فودة والذي يهديه صاحبه إلى الدكتور الباز [مع خالص التقدير وأطيب التمنيات].

كذلك هناك كتاب (ممولو الإرهاب) للكاتب الصحفي عبدالقادر شهيب الذي أهدى إلى الدكتور أسامة الباز نسخة منه [راجيًا أن تجدوا في هذا الكتاب محاولة لمساندتكم في مهمة حماية الأمن القومي المصري.. مع كل التقدير والاحترام].

■■■

وقد لوحظ اهتمام العديد من الكاتبات المصريات بإهداء نسخ من مؤلفاتهن إلى الدكتور الباز حيث نجد إهداء من الكاتبة عبلة الرويني لمؤلفها (سيرة أمل دنقل الجنوبي) تقول فيه: [إلى الدكتور أسامة الباز تقديرًا لشخصه وبساطته.. ورقي علاقته بالشارع المصري].

وكتاب آخر للكاتبة فايزة سعد بعنوان (اغتيال صحفي) تقول في إهدائها [إلى قلب مصر النابض.. إلى الوطنية والذكاء والإخلاص.. إلى أعز أبناء مصر الدكتور الفاضل أسامة الباز.. مع حبي وتقديري].

أما الفنانة إسعاد يونس فتقول في إهدائها لكتابها الساخر (مذكرات نورا المذعورة): [إلى رمز من رموز الوعي والتواضع.. إلى الرجل الذي يشكل مزيجًا راقيًا من الحصافة والبساطة ونبل المنبت.. إلى الدكتور أسامة الباز مع أرق تحياتي].

وتقـول الكاتبـة الصحفية الأسـتاذة منى رجـب في إهدائها لمؤلفهـا (عندما تثور النسـاء): [إلى الدكتور أسـامة الباز أهدي بعض قصص استقيتها من أرض واقعنا].

كذلـك تهـدي إليه الكاتبة منى حلمـي كتابها (رجل جديـد في الأفق): [مع خالص المودة والتقدير].

أمـا الروائيـة فوزية مهران وتقول لـه في إهدائها لروايتها (جيـاد البحر) عام 1993: [إلى إنسان مصر العظيم.. الدكتور أسامة الباز.. تقديرًا لدورك الفائق، وعملك الساطع، وروحك المتألق].

■■■

وهنـاك عدد من الكتـاب والمؤلفين المهتمين بالشـئون المصريـة الذين أهدوا الدكتـور الباز نسـخًا مـن إصداراتهم الأولى، ومـن بينهم الأسـتاذ عادل حافظ مؤلف كتاب (مبارك: التاريخ والتحدي) الذي كتب يقول في إهدائه: [الأسـتاذ الدكتـور الفاضـل أسـامة الباز مـع تقديـري لرحابة رؤيتكـم في قـراءة التاريخ السـياسي لمصر المسـتقبل مع واقع متغير... وكان طبيعيًا أن نتعلم من مسـيرتكم السياسـية أن التاريخ السـياسي لمصر يتحرك إلى الأمام، لكـن هذه الحركة لا تتم من تلقاء ذاتها.. فالثقة في النصر هي التي تصنع النصر].

وهناك كتاب الأسـتاذ أحمد عـز الدين بعنوان (مـن أوراق رئيس المخابرات المصريـة الأسـبق أحمـد كامـل) يهديـه في 23 / 10 / 1990 إلى الدكتـور الباز قائلًا في إهدائه: [إلى من أعتقد أنه عميد مدرسة العقلانية المصرية بتراثها المجيد وخلاياهـا الحية ونبضها المجتهـد والمتجدد.. رغم أنها متحـداة الآن في الداخل والخارج أكثر من أي وقت مضى].

أمـا الدكتور ماجد فخر فهو يهدي كتابه المعنون (طريق مصر وتحدي البقاء) [إلى السـياسي البـارع.. والوطنـي المخلـص الدكتور أسـامة الباز.. مـع التقدير والاحترام].

ويقول الأسـتاذ علي مسـعد طه في إهدائه لكتابه (إسرائيل.. إلى أين) الصادر عام 1999: [هذا إهداء إلى رئاسة الجمهورية ممثلة في شخص السياسي الحكيم.. الأخ الكريم الدكتور أسامة الباز مدير مكتب الرئيس.. مع خالص التحية].

أمـا الدكتـور غبريـال وهبة فهـو يهـدي في 8/ 2/ 1996 مؤلفه (جرح في كرامة رجل) [إلى سـعادة الأستاذ الدكتور أسامة الباز الذي شرف مصر عالميًا.. مع أسمى آيات التبجيل والاحترام].

وفي إهداء الدكتور أحمد صبحي منصور لكتابه (حرب الردة: دراسة أصولية تاريخية) الصادر عام 1995 - يقول: [إهداء إلى الأستاذ الدكتور أسامة الباز مع أمل عظيم في يقظة مصرية تنال رعايته واهتمامه].

أمـا الدكتـور محمد إبراهيـم منصور مدير مركز دراسـات المسـتقبل بجامعة أسيوط فهو يهدي كتابه (خيار التصنيع العربي في ظل النفط) [إلى ابن مصر الغيور والعربي الأصيل الدكتور أسامة الباز تقديرًا وحبًا.. واعترافًا بوافر فضله].

ويهدي حسـن الهواري كتابه (إحنا التلامذة عبدة الشـيطان.. فمن الجاني؟) [إلى د. أسـامة الباز مهندس السياسة المصرية العريقة.. والفنان القدير.. والمفكر الكبير.. مع حبي وتقديري].

ونفـس تعبـير «مهنـدس السياسـة المصريـة» يسـتخدمه أيضًـا الكاتب أحمد الشـايب في إهدائـه لمؤلفه (صديقـي الرئيـس) إلى الدكتور البـاز حيث كتب في 9/ 11/ 1988 يقـول: [إلى أحـد أبناء مصر.. الأرض الطيبـة؛ وأحد مهندسي السياسـة المصرية.. الأستاذ الدكتور أسامة الباز أهدي مؤلفي مع خالص تحياتي وعظيم تقديري].

وأما الدكتور عبدالهادي مصباح فيهدي كتابه (الاستنساخ بين العلم والدين) فيقول في إهدائه: [إلى أستاذنا الفاضل الدكتور أسامة بك الباز.. صاحب الأخلاق الرفيعة والمتميزة.. وصاحب العطاء المتجدد بلا حدود.. الذي أتعلم منه كل جميل وحكيم ورائع.. العالم والدبلوماسي.. الأستاذ.. المؤمن.. وهو الشخصية التي شرفتني الأيام بلقائها ومعرفتها].

وهناك من بين كبار الكتاب والمسئولين والسياسيين المصريين من أهدى إليه مؤلفاته، واقتصرت لغة الإهداء على عبارات التحية والتقدير والاعتزاز كما فعل الدكتور أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب في صدر مؤلفه القانوني (النقض في المواد الجنائية) والسيد محمد حافظ إسماعيل في مؤلفه (أمن مصر القومي في عصر التحديات) وفضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي ومؤلفه (بنو إسرائيل في الكتاب والسنة) وفضيلة الدكتور عبدالمنعم النمر ومؤلفه (الشيعة والمهدي والدروز) والسيد أمين هويدي ومؤلفه (العسكريون والأمن في الشرق الأوسط وتأثيرهما في التنمية والديمقراطية) والسيد محمود رياض في صدر مذكراته المعنونة (البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط - من 1948 حتى 1978) والأستاذ إبراهيم نافع في مؤلفيه (الفتنة الكبرى / عاصفة الخليج) و(سنوات الخطر) والأستاذ خالد محيي الدين في صدر مؤلفه (الآن أتكلم) والأستاذ إبراهيم سعدة ومؤلفه (مرحبًا بالتحدي) والأستاذ الدكتور حسين أمين ومؤلفه (المال وطبيعة البشر) والأستاذ محسن محمد وكتابه (سنة من عمر مصر) والكاتب الصحفي محمود فوزي في مؤلفيه (السادات المفترى عليه) و(هيكل: الثعلب السياسي الكبير) والدكتور سعد الدين إبراهيم ومؤلفه (تأملات في مسألة الأقليات) والأستاذ السيد ياسين في مؤلفه (الوعي القومي المعاصر - أزمة الثقافة السياسية العربية) والأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين ومؤلفه (التعليم والمستقبل).

أما الدكتور إسماعيل صبري عبدالله فقد اختص الدكتور أسامة الباز بصفات [المفكر والمناضل والصديق الحميم] وذلك عندما أهدى إليه كتابه (وحدة الأمة العربية: المصير والمسيرة) وذلك في 17/ 4/ 1995. بينما أبدى الأستاذ الدكتورإبراهيم شحاتة المدير السابق بالبنك الدولي في إهدائه لكتابه (وصيتي لبلادي) [رجاء إلى الأخ العزيز أسامة الباز بأن يسمح وقته بقراءة هذا الجزء مع أطيب التمنيات والتقدير].

وفي إهدائه لكتابه (على مقهى الحياة) كتب الدكتور سمير سرحان يقول: [إلى أخي المفكر الكبير الأستاذ الدكتور أسامة الباز أهدي هذا الجهد المتواضع عن كفاح جيلنا وأيامه.. مع خالص التحية والتقدير والاحترام].

وأبدى المرحوم الدكتور عبدالوهاب المسيري في إهدائه (لموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) الصادرة عام 1973 [تقديرًا واحترامًا عميقًا مع عرفان بالجميل] والمعروف أن الدكتور أسامة الباز كان قد قام بتقديم الدكتور المسيري للأستاذ محمد حسنين هيكل ورتب معه فرصة العمل والكتابة بالأهرام بعد عودة الدكتور المسيري من بعثته العلمية في الخارج، كما كان للدكتور الباز دور في فتح الطريق أمام اتصال الدكتور المسيري بوزارة الخارجية ومعهده الدبلوماسي.

ويصف الدكتور غالي شكري في إهدائه لكتابه (بداية التاريخ: من زلزال الخليج إلى زوال السوفيت) الدكتور أسامة الباز بـ«الصديق» و«المفكر الكبير».

وكانت غبطة الدكتور الباز كبيرة حين تلقى من الدكتور محمد أبو الفتح الغنام -وهو ضابط شرطة بالإدارة العامة للشئون القانونية بوزارة الداخلية- نسخة من مؤلفه (الإرهاب وتشريعات المكافحة في الدول الديمقراطية) وعليها كلمة إهداء رقيقة من المؤلف يذكره فيها بلقاء سابق جمع بينهما في مؤتمر لحقوق الإنسان بسيراكيوز عام 1988.

■■■

ومن دواوين الشعر المهداة إلى الدكتور أسامة الباز بخط أصحابها نجد عدة إهداءات من الشاعر فاروق جويدة لمجموعته الأولى بعنوان (كانت لنا أوطان) ومجموعته الثانية (زمان القهر علمني) ومجموعته الثالثة (لن أبيع العمر) يصفه فيها [بالصديق العزيز] وعندما صدرت للأستاذ فاروق جويدة (الأعمال الكاملة) كتب عام 1991 يقول: [إلى أخي وصديقي الكريم دكتور أسامة الباز.. العقل المستنير.. والخلق الطيب.. واليد النظيفة.. والضمير الحي.. مع كل حبي وتقديري].

كما نجد الشاعر الأستاذ محمد التهامي يكتب إليه في إهدائه لديوانه (أغنيات لعشاق الوطن) يقول في 3/ 9/ 1996: [إلى موضع إعجابي الشديد فكرًا وروحًا وعملًا أهدي رمز التقاء دائم مع حبي وتقديري]. وعندما أصدر ديوانًا آخر بعنوان (يا إلهي) أهداه [إلى الأستاذ الدكتور أسامة الباز المستشار السياسي للسيد رئيس الجمهورية تقديرًا وحبًّا وإعجابًا].

وهناك ديوان للشاعر المصري الصعيدي الدكتور قرشي عباس الدندراوي بعنوان (ماذا تبقى له؟) وهو يضم في مقدمته المطبوعة في صلب الديوان إهداء إلى الدكتور أسامة الباز يقول فيه: [كم أنت رائع في زمن غير جميل.. وكم يحسدون مصر عليك، لعلهم يعرفون ما الفرق بين «الأسامة» و«الضباع»، وبين «الباز» و«بغاث الطير»].

أما الشاعر محمد أبو دومة فقد أهدى إلى الدكتور أسامة ديوانه الأول عام 1992 بعنوان (الوقوف على حد السكين) واصفًا أسامة الباز «بالأديب المفكر الكبير»، وعندما أصدر ديوانًا آخر عام 1993 بعنوان (أتباعد عنكم.. فأسافر فيكم) كتب إهداء يقول فيه: [إلى المفكر العربي الكبير الأستاذ القدير أسامة الباز مع كل التقدير، وأرجو أن يروق لكم شعري].

■■■

صورة الباز في الكتابات العربية

تحت عنوان (الباز) كتب الأستاذ غسان الإمام في بابه الأسبوعي (أصداف ولآلئ) المنشور بصحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 20/ 2/ 1993 مقالًا أشبه بقصيدة الشعر المنثور يقول فيه:

«لكل شمس كواكبها وأقمارها..

دخلت الشمس الساداتية برج الكامب فاحترق كوكباها إبراهيم كامل وإسماعيل فهمي، وأكملت الأقمار بعد الشمس والكواكب المشوار..

انتظر بطرس غالي على رف الدبلوماسيين ليتوهج قمره في الفضاء الدولي...

وصعد عصمت عبدالمجيد جوزاء الخارجية ليتقاعد قمره في الجامعة العربية..

وكان أسامة الباز أكثر الأقمار شبابًا...

لمع بقدر ما أعطته الشموس من نور...

فأخذ من الناصرية عروبتها.. لا أحلامها

وأخذ من الساداتية واقعيتها.. لا طباعها..

وأخذ من المباركية بقدر ما أعطاها...

وجاوزته النجوم فتلألأت.. وانطفأت.

وتجاوزته الشهب.. فتوهجت.. واحترقت.

وظل قمره دائمًا قريبًا من الشمس.

يدور في فلكها ويلمع بنورها.

فإذا لمع.. لا يحاول أن يسطع.

يقترب منها.. فلا ينشد وزارتها..

تأتمنه على سياستها.. فيكتفي بالبقاء في برجها..

■■■

الأقمار في طبعها الوفاء لشموسها.

وهيكل والباز قمران سياسيان نادران.

لكن هيكل دارت في فلكه أقمار..

فتحول قمره إلى مؤسسة فلكية..

وبقي الباز.. قمرًا بلا توابع.

هيكل فلسف خبرته وتجربته ووزعهما بين سيده وقلمه..

والباز يخطط ويفكر.. ولا يفلسف.

تستطيع أن تنزل على سطحه.. تقرأ تضاريس السياسة على وجهه.

لكن يستحيل أن تنفذ إلى عمقه.

فهو يعرف أكثر مما يقول..

ويقول بالقدر الذي يجب أن تعرف.

والباز في وجهه مصري صميم.

وهو في صميمه عربي الحلم.

وهو في حلمه يحلق بجناح الواقع..

فالباز طائر ينشد الممكن لا المستحيل...

الملاحة الفضائية جرأة على الحلم.

الطيران الجوي دقة في القيادة.

هيكل طار مع ملاح فضائي حلق معه في مجهول الفضاء.

ولم يعرف كيف يهبط على أرض السياسة.

الباز يعمل في كابينة طيار محترف.

يدرس الأضواء بدقة مهندس الملاحة الجوية.

يقدم دراسته.. ويترك للطيار اتخاذ القرار.

وبعضهم يريد من الطيار أن يخترق الفضاء.

وبعضهم يريد للطائرة أن تمشي على الأرض.

■■■

ومن ناحية أخرى كتب الأستاذ إبراهيم الصوص في 31 مارس 1979 رده الفلسطيني على مقال كان الدكتور أسامة الباز قد نشره في مجلة المستقبل قبل ذلك بأسبوع واحد. وقد اختار «الصوص» لمقاله عنوان (هل يعقل أن تكون عشرون دولة عربية على خطأ.. ومصر وحدها على حق؟) وقد لوحظ أنه رغم شقة الخلاف الواسعة بين رؤية مصر التي كان الباز يشرحها ويدافع عنها في مقاله وبين الرد الفلسطيني والرؤى العربية الأخرى فإن إبراهيم الصوص أكد أنه «لا يشك أحد في إخلاص الدكتور الباز وصدق نواياه تجاه القضايا العربية». وكان أقصى ما استخدمه الكاتب الفلسطيني في مقاله تساؤل «عما إذا كان الدكتور الباز قد اكتشف جهازًا للغوص في أعماق النفس البشرية يستطيع به أن يميز بين سطح المجتمع الإسرائيلي وأعماقه؟» بالإضافة إلى وصف بعض ما جاء في مقال الدكتور الباز بأنه «أوهام لا تسندها حقائق». ولكن الكاتب الفلسطيني لم يجرؤ على نعت الدكتور الباز بأية أوصاف أو نعوت كتلك التي حملتها الكثير من الأقلام والدوائر العربية في وصف الرئيس السادات ومواقفه السياسية في تلك الحقبة».

■■■

كلمات إهداء من مؤلفين عرب:

لم تقتصر نظرة التقدير لفكر ودور الدكتور أسامة الباز على المفكرين والكتاب المصريين بل امتدت لتشمل أيضًا العديد من شخصيات الفكر والساسة العرب. ولأننا هنا في هذا الفصل نركز فقط على ما سجله الكتاب والمؤلفون في إهداءاتهم الشخصية لمؤلفاتهم.. لذا سوف نحيل في بيان مظاهر التقدير والتكريم التي حظي بها الدكتور الباز من جانب دوائر أخرى إلى مواقع أخرى في هذا الكتاب.

ومن بين المؤلفين العرب الأستاذ الدكتور محمد جابر الأنصاري -عضو مجلس الدولة في البحرين سابقًا- الذي أهدى مؤلفه المعنون (العالم والعرب سنة 2000) ويقول في إهدائه بتاريخ 14/ 2/ 1988: [إلى الأخ الكبير الدكتور أسامة الباز مع خالص الاعتزاز والتقدير لدوره، متطلعًا لمزيد من الحوار].

ومن جانبه أهدى الدكتور حازم نسيبة -أردني من أصل فلسطيني- كتابه (نحن والعالم) وكتب في إهدائه يقول للدكتور الباز: [يشرفني ويسعدني أن أرفع هذا الكتاب من خلالكم إلى السيد الرئيس الأكبر محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية.. الشقيقة الكبرى.. مع عميق احترامي] وكان ذلك بتاريخ 27/ 9/ 1984.

كذلك هناك إهداء بتاريخ 13 / 6 / 1985 من الأستاذ عبدالهادي البكار -سوري- لكتابه (المأزق: مصر والعرب الآخرون) ويقول الأستاذ البكار في إهدائه: [إلى معالي الأخ الدكتور أسامة الباز مع كل المودة والاحترام].. ثم يذيل بملحوظة بالخط الأحمر يحدد فيها الصفحات التي أورد الحديث فيها عن الرئيس محمد حسني مبارك.

كذلك أهدى الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر الأمين العام للمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم مؤلفه عن (العرب وإفريقيا) وكتب في إهدائه يقول: [إلى سيادة الأستاذ الدكتور أسامة الباز.. اعتزازًا بدوره الكبير في تعزيز

العلاقات العربية الإفريقية، وإعزازًا لشخصه القادر، مع عظيم المودة والتقدير - تونس في 20 / 12 / 1988].

وهناك ضابط فلسطيني برتبة عقيد كتب في 3/ 4/ 1986 إلى الدكتور الباز يهديه نسخة من رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان (العسكريون والدولة: دراسة تحليلية في بناء قوة المجتمع الإسرائيلي 1928 - 1988) ويقول في إهدائه: [يشرفني ويسعدني أن يحوز هذا الكتاب تقدير سيادتكم عن أطروحتي التي قدمتها بصفتي المدنية].

ويلحظ القارئ من تواريخ هذه الإهداءات السابقة أنها كانت تتم خلال فترة القطيعة الرسمية بين مصر والدول العربية في أعقاب توقيع مصر على معاهدة السلام مع إسرائيل عام 1979، ورغم ذلك فقد حرص مؤلفو هذه الكتب من الشخصيات العربية على استمرار التواصل مع مصر من خلال بعض رموزها الفكرية والقومية ذات التوجه العروبي الأصيل.. وكان الدكتور أسامة الباز أحد أبرز تلك الرموز الذي وظف قدراته واتصالاته في اتجاه رأب الصدع وإنهاء القطيعة بين مصر وشقيقاتها الدول العربية.

وهناك مؤلفات أخرى لكتاب عرب من بينهم الأستاذ فيصل أبو خضرا (فلسطيني) الذي أهدى الدكتور الباز في 12/ 1/ 1992 مؤلفه بعنوان (تاريخ المسألة الفلسطينية: الأزمة.. والحل) الصادرعن مركز الإعلام العربي في بيروت. وفي إهدائه كتب المؤلف يقول: [إلى الدكتور أسامة الباز السياسي الأمين المعاشر للقضية العربية الكبرى.. فلسطين.. مع أطيب تحياتي].

كذلك أهدى الأستاذ أحمد الحباسي -عضو اللجنة المركزية للتجمع الدستوري الديمقراطي في تونس، والذي كان يعمل أيضًا قنصلًا عامًّا لتونس في بنغازي- كتابه بعنوان (وللتغيير رسالة) وقال في إهدائه: [إلى الدكتور أسامة الباز المفكر العربي والقومي مع أسمى عبارات التقدير وخالص الود وأجمل الأماني].

وتلقى الدكتور الباز مؤلفات أخرى من السيد عبدالرحمن البيضاني (مصر وثورة اليمن) في 15/ 2/ 1993 ومن السيد يوسف الحسن (أوراق واشنطن) و(اندماج)، ومن السيد غازي القصيبي (أزمة الخليج... محاولة للفهم)، ومن الدكتور نيكولا فاندام (صراع السلطة في سوريا: الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة) وكان ذلك 10/ 1/ 1995.

كما تلقى من السيد فاروق مانجونة -وهو فلسطيني مهاجر إلى لندن- إهداء لمؤلفه (ثلاثية الوطن الحائر) أو (قصة الحرب والسلام بين أبناء العم) وفي إهدائه يقول: [معالي الأستاذ الدكتور أسامة الباز: تحية ومودة. حرصت على لقائكم جدًّا.. ولما أعياني الاتصال أصبت بما يشبه الإحباط.. وقبل بلوغ سن اليأس حالفني الحظ بإرسال هذه الرسالة مع كتابي الذي آمل أن تجد فيه ما لم تجده في غيره من الكتب حول القضية - مع تقديري واحترامي].

الباز في الصحف والكتابات الإسرائيلية:

نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية في عددها الأسبوعي الصادر في 4/ 12/ 1981 مقالًا بعنوان (رجال الرئيس الجديد في مصر) بقلم عوديد جرانوت جاء فيه [أن هناك ثلاث شخصيات مقربة جدًّا من الرئيس محمد حسني مبارك هي الدكتور أسامة الباز.. والسيد محمد حقي رئيس هيئة الاستعلامات والمتحدث الرسمي باسم الرئاسة والسيد سعد شعبان الياور العسكري للرئيس]. وعن أسامة الباز يقول الكاتب: [إنه أحد مفاتيح السياسة المصرية المعاصرة أو هو من يمكن تسميته باليد اليمنى للرئيس وإنه يفضل العمل والعمل الدائب على التحدث للصحافة، ولا يتذكر أحد من الصحفيين الأجانب أنه استطاع تبادل حديث مطول معه منذ حادث اغتيال الرئيس السادات] ويستطرد الكاتب قائلًا: [إن الباز لا يهمه الألقاب التي يحملها أو

التي يطلقها عليه الصحفيون سواء أكانت وكيل وزارة الخارجية أم مدير مكتب الرئيس أم مسئول الشئون السياسية أم وزير شئون رئاسة الجمهورية. فالمهم بالنسبة له العمل والتواجد الشخصي مع الرئيس لساعات طويلة من النهار]. ويقول الكاتب: [إن مصدرًا مصريًا كبيرًا ألمح للإسرائيليين ذات مرة أن لأسامة الباز موقفًا معينًا تجاه المسألة الفلسطينية نابعًا من اقتناع وجداني وعقلي، فالمسألة الفلسطينية تلتهب داخله كالنار.. ولن تكون لكم أيها الإسرائيليون حياة سهلة معه]. ويذكر الكاتب أن الدكتور الباز صرح له من قبل أن له «أصدقاء كثيرين من الفلسطينيين» وأن ذلك يفسر اهتمامه الشديد بحل المشكلة الفلسطينية.

ويرى عوديد جرانوت أن أسامة الباز رجل غير عادي وليس روتينيًا.. فهو لا يأبى إذا اتهم بإبداء مواقف متشددة تجاه الإسرائيليين. ويتذكر أنه إبان مبادرة السلام المصرية كان الباز مهيأ أكثر من وزير الخارجية آنذاك للتحول الذي أحدثه الرئيس السادات في السياسة الخارجية المصرية نحو التحرر من الارتباط بالاتحاد السوفيتي ومواصلة العلاقات مع الولايات المتحدة، والأهم من ذلك أنه لم يهتز إزاء المبادرة.. ورافق الرئيس السادات في زيارته إلى إسرائيل في نوفمبر 1977. ومنذ ذلك التاريخ اختاره الرئيس السادات للمشاركة في تحمل جزء من التبعة السياسية، وفي معاونة الرئيس مبارك على التخلي عن الصبغة العسكرية والاتسام بالصفة المدنية والسياسية. ويرى الكاتب أن أسامة الباز كان «المهندس الحقيقي في إعادة صياغة السياسة المصرية في عهد مبارك» والتي أساسها إعادة الأواصر بين مصر والدول العربية دون المساس بالعلاقات مع إسرائيل.

وفي نهاية المقال يشير الكاتب إلى أن أسامة الباز [يميل إلى الوحدة، فهو بدون سكرتارية ولا معاونين، ومن الصعب إثناؤه عما يؤمن به، ومن الصعب أيضًا إيقاعه في فخ].

وفي مقال آخر بصحيفة جيروسالم بوست الإسرائيلية - نشر في عدد 22 ديسمبر 1994 حول موقف مصر الضاغط من أجل توقيع إسرائيل على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية يرى الكاتب [أن هذه الضغوط جزء من برنامج طويل المدى بدأ بأنور السادات، وازداد حدة بعد مبادرة الرئيس مبارك لإخلاء الشرق الأوسط من كافة أسلحة الدمار الشامل.. بهدف تحجيم إسرائيل وتجريدها من قنابلها النووية].. وتقول الصحيفة: [إن العقل المدبر وراء كل ذلك هو الدكتور أسامة الباز].

وتستطرد الصحيفة فتقول - كما ذكرنا سابقًا -: [إن كثيرًا من الخبراء الدوليين في مصر يصفون د. أسامة الباز بأنه رجل يخفي كراهيته لليهود خلف قناع لاعب البوكر.. فهو يصافح قادة اليهود والأمريكيين بحرارة مستعرضًا في ذلك مهارة الثعبان الناعم].

وتضيف الصحيفة [باعتباره اليد اليمنى لمبارك يمارس الباز سياسته التقليدية المعادية لإسرائيل، وأحد توجهات تلك السياسة هو إقناع الولايات المتحدة بتخفيض أعداد المراقبين في قوات حفظ السلام متعددة الجنسيات في سيناء بزعم أن ذلك يخفض من تكلفتها المالية، ولكنه من وراء ذلك يريد أن يفسح لجنرالات الجيش المصري مساحة أكبر للتحرك في سيناء بدون أن يراقبهم أحد]. ومن ناحية أخرى يقول عيزرا فايتسمان رئيس إسرائيل ووزير دفاعها الأسبق في كتابه (الحرب من أجل السلام): [إن أسامة الباز كان يزرع الألغام المضادة تحت قدمي الرئيس السادات خلال مفاوضات كامب دافيد، وكان علينا أن نحذر لئلا نرتطم بهذه الألغام].

وفي مذكراته عن الحرب والسلام كتب موشي ديان - وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق - [أن أسامة الباز كان ضرس العقل المؤلم في مفاوضات كامب دافيد].

ويقول في موضع آخر: [إنه متشدد في ثوب ناعم.. ولا يمكن كسره أو تحريكه بسهولة عن موقفه].

ومن ناحية أخرى كتب شمعون بيريز رئيس إسرائيل ووزير خارجيتها الأسبق في كتابه عن الشرق الأوسط الجديد [أن أسامة الباز كاد يقتل الرئيس السادات أثناء مفاوضات كامب دافيد].

ماذا قالوا في رثائه؟

وبعد رحيل الدكتور أسامة الباز في 13 سبتمبر 2013 تعددت كلمات الرثاء والتأبين من مختلف الجهات والشخصيات والمواقع. وإذا كانت جميعها قد أكدت الصفات الوطنية والأخلاقية والمواقف السياسية للراحل الكريم فإن كلًّا منها تميز بالتركيز على جوانب خاصة من عطاءاته الفياضة.

ففي نعي وزارة الخارجية الذي صدر عقب الوفاة مباشرة جاء أن أسامة الباز كان «قيمة وطنية عظيمة وأن أدواره في خدمة قضايا مصر السياسية والدبلوماسية ستظل مذكورة على مر العصور». أما بيان السيد عمرو موسى رئيس لجنة إعداد الدستور في ذلك الوقت ورفيق رحلة النضال الدبلوماسي الطويلة مع الدكتور أسامة فقد أشار إلى تعدد عطاءات الراحل الكبير في مجالات السياسة والدبلوماسية والقانون والثقافة. وهو تقريبًا نفس ما تضمنه بيان نادي قضاة مصر الذي عبر عن «افتقاد مصر لشخصية وطنية امتد عطاؤها إلى ساحات القضاء والعدالة إلى جانب ساحات السياسة والعلم والعلاقات الخارجية والإعلام».

وأشار النعي الصادر عن الدكتور نبيل العربي الأمين العام للجامعة العربية إلى «نضج المواقف القومية والعروبية للراحل الكبير ودوره في مفاوضات السلام ومتابعة تطورات القضية الفلسطينية».

ومن جانبه وصف السفير محمد صبيح رئيس قطاع فلسطين بجامعة الدول العربية الدكتور الباز بأنه [كان الجسر الدائم للتواصل بين مصر والعرب والقضية الفلسطينية] وكشف في مقاله المنشور في أهرام 23/ 9/ 2013 عن لقاءات المرحوم الدكتورالباز بجميع القيادات الفلسطينية بمختلف اتجاهاتها السياسية وفصائلها التنظيمية حتى في أحلك الأوقات التي شابت العلاقات المصرية الفلسطينية.

وكتب الدكتور بهجت قرني أستاذ العلوم السياسية في أهرام 17/ 9/ 2013 تحت عنوان [الباز وهيكل وذاكرة مصر] يؤكد على ما كان لدى كل من الدكتور الباز والأستاذ محمد حسنين هيكل من معلومات وأسرار عن السياسة المصرية والعربية. وقال «إن وفاة الأول واحتراق فيلا برقاش التي يملكها الأستاذ هيكل بعد فض اعتصامي رابعة والنهضة بساعات قليلة حدثان يثيران الخوف والأسى على ذاكرة مصر السياسية».

وركزت الصحفية هدايت عبدالنبي في تأبينها للفقيد بمقالها المنشور بالأهرام يوم الأحد 15/ 9/ 2013 على مواقف شخصية لها مع الدكتور الباز ومع أفراد أسرته، وعلى بعض جوانب من سلوكه الإنساني والاجتماعي الفريد.

وفي أول عدد يصدر لمجلة (الدبلوماسي) بعد وفاة الدكتور الباز خصص رئيس مجلس إدارة النادي الدبلوماسي ورئيس تحرير المجلة السفير محمد الضرغامي افتتاحية عدد سبتمبر 2013 لتأبين الفقيد، وجاء في مقاله: [السفير أسامة الباز موسوعة مصرية نقية ومتحركة وعطاء غزير بلا حدود، وقد امتلك العديد من القدرات القانونية والسياسية والثقافية والإنسانية، وعايش تحولات جذرية على مدى ستة عقود شارك فيها بدور فاعل في صناعة وتقرير السياسة الخارجية المصرية. وسيبقى اسمه حاضرًا بقوة في ذاكرة الأمة وفي قلوب من عرفوه].

وفي نفس العدد كتب السفير الدكتور وليد عبدالناصر - وهو أحد تلاميذ الفقيد المقربين إليه والذين عملوا معه في مكتبه بوزارة الخارجية لعدة سنوات - يقول: [لم يكن العمل بمكتب الدكتور الباز أمرًا عاديًّا أو سهلًا فهو حلم مهني لكل دبلوماسي شاب في مطلع حياته كي يتعلم منه ويستفيد ويكتسب خبرات فريدة لا تتوافر إلا في هذا الموقع]. ويروي الدكتور وليد عبدالناصر عن أستاذه الراحل [أنه كان يتحلى دائمًا بالنظرة الثاقبة الجامعة لكافة التفاصيل والخلفيات والباحثة عن العوامل الخفية وغير الظاهرة في أي موضوع. وكان يتميز بالقدرة على تحويل أية أفكار أو تصورات إلى برامج عمل قابلة للتنفيذ والترجمة على أرض الواقع].

وثائق وصور



Embassy
of Arab Republic of Egypt
Freetown

Office of the Ambassador

شخصي

١/١

سيادة الأخ الكاتب الفذ الدكتور أسامه الباز

تحياتي وأشواقي وأطيب التمنيات بعام ١٩٨٩ راجيا

لكم دوام السعادة والازدهار.

ها هي صورة الصفحة الأولى من جريدة الأهرام

الصادرة يوم مولدك السعيد.. ترى كيف كان العالم يفكر

وقتها؟!! وكيف لم يشر الأهرام إلى أن الدنيا استقبلت في

هذا اليوم شخصية عظيمة جدا.. نفتخر جميعا.. ونفخر

بها بمصر.. لدرجة أنه نشر ذلك في الطبعة الثانية

أو في عدد اليوم التالي..

مع سعيد ذكرياتي معكم وأطيب تحياتي

المخلص

أحمد سمير مختار

▲ رسالة السفير أحمد سمير مختار إلى الدكتور أسامة في 1/ 1/ 1989 مرفقًا بها صورة الصفحة الأولى من جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ 6 يوليو 1931 وهو تاريخ ميلاد أسامة الباز.

السنة السابعة والخمسون — العدد ١٦٧٢٩ — 6 - 7 - 1931

الأهرام

الاثنين ٦ يوليه ١٩٣١ — ٢٠ صفر ١٣٥٠ — ٢٩ بؤونه ١٦٤٧

Al-Ahram
EGYPTIAN DAILY PAPER FOUNDED 1875

Al-Ahram
QUOTIDIEN EGYPTIEN FONDE EN 1875

بين تعديل القانونين
موضوع جوهري يتحتم الالتفات إليه
السجن السياسي

نفقات التعليم وغلاء المعيشة
يجب أن تكون المدرسة مطابقة للحياة العملية



ما قل ودل

أربع سنوات في انجلترا

في عالم الطيران
فوز عالمي جديد

مدام ماريز باستيه

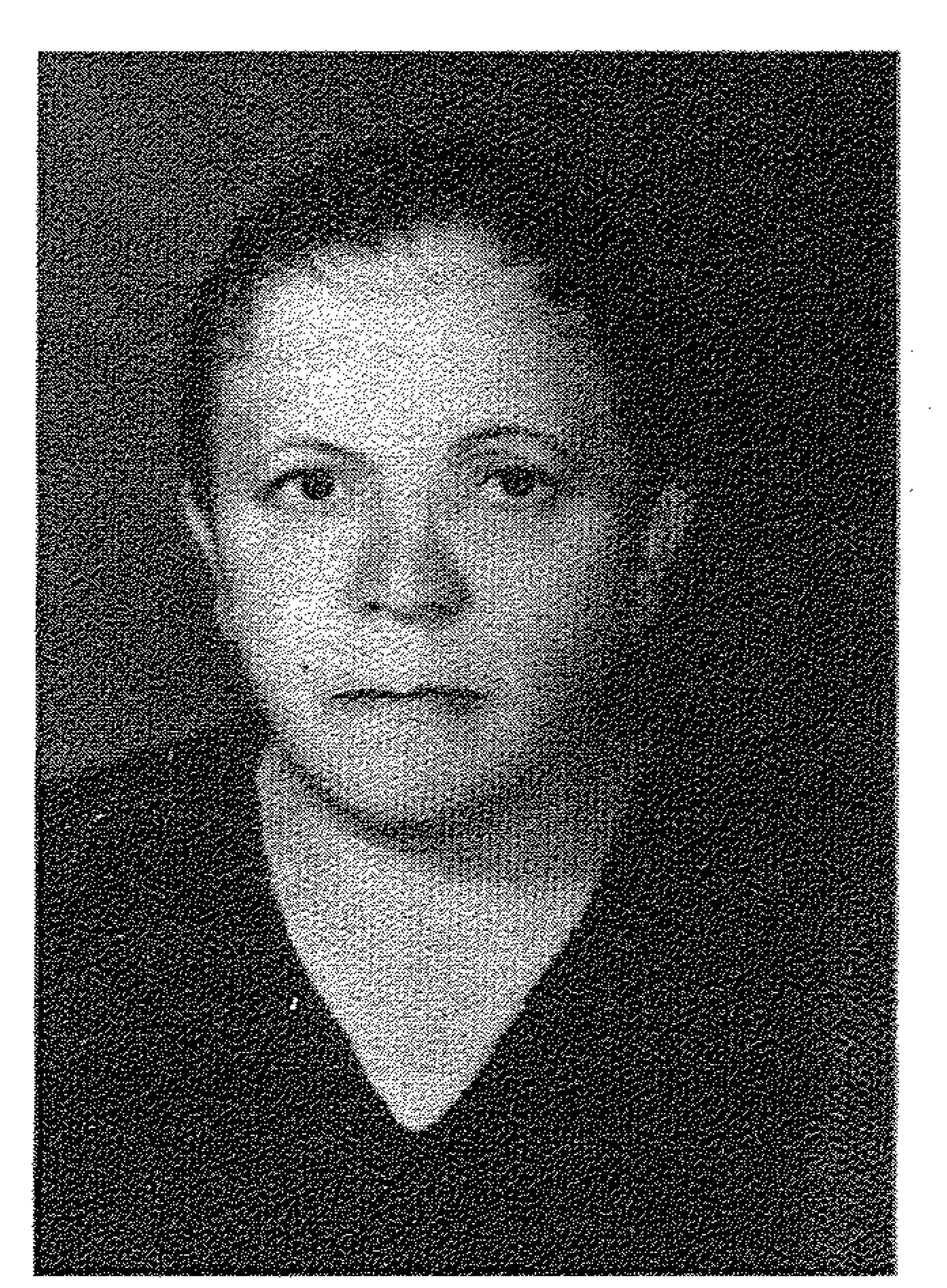
الطيارات في أمريكا

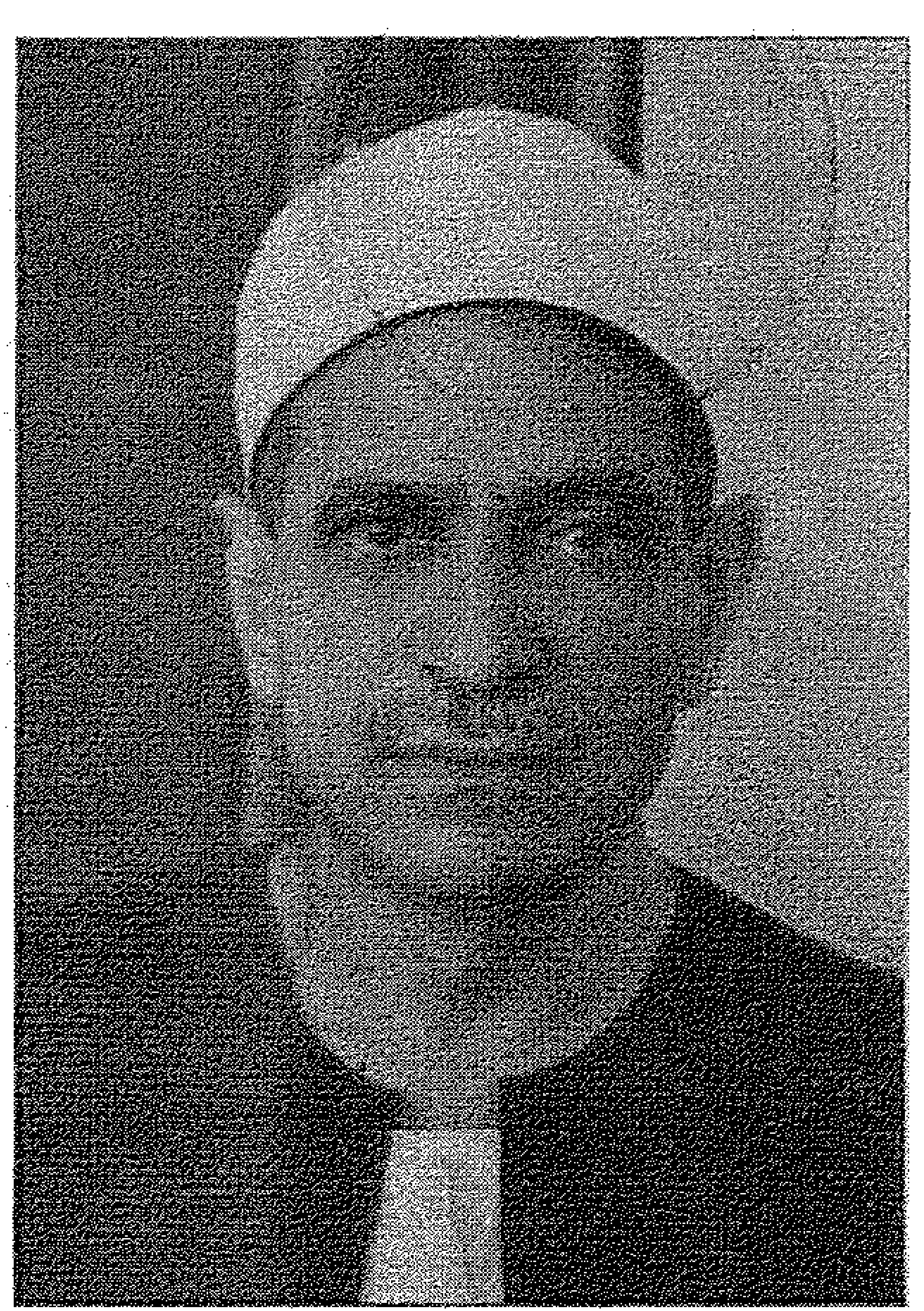
دير القلمون
والأثر النبوي المكذوب فيه وعليه
بقلم شيخ العروبة أحمد زكي باشا

في الصيف اشربوا
كونياك أوتار
أكبر منعش ومقوٍ ومانع للحميات
مع الصودا أو مع الماء البارد

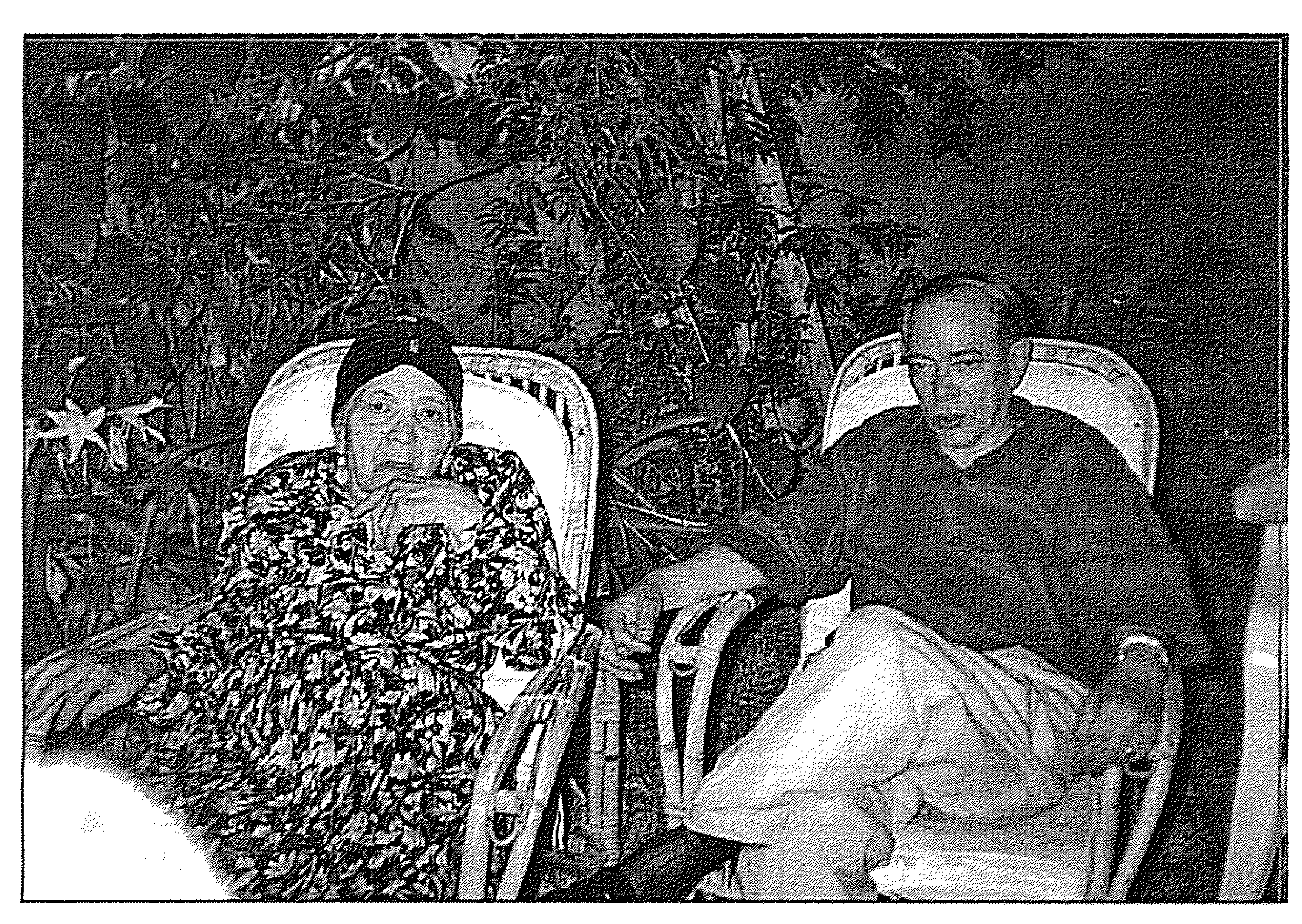
حوادث وأخبار في الصفحات ٦ و ٧ و ٨

▲ تابع: رسالة السفير أحمد سمير مختار إلى الدكتور أسامة في 1/ 1/ 1989 مرفقًا بها صورة الصفحة الأولى من جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ 6 يوليو 1931 وهو تاريخ ميلاد أسامة الباز.





▲ صورة الشيخ السيد الباز والسيدة زاهية حمودة والدا أسامة الباز.



▲ المرحوم الدكتور أسامة مع المرحومة والدته في حديقة منزل الأسرة بحمامات القبة - القاهرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز فاروق

كتبت إليك منذ يومين خطابا وأرسلته إليك مع بعض المسافرين واليوم وصلني خطابك الأخير فكانت فرحتي به لا توصف وإنه عندي كشهادة أحتفظ بها. ولقد قرأته مرات ولم أشبع من قراءته بعد. سرني جدا أنك موفق في عملك محبوب من أساتذتك فالحمد والشكر على نعمائه عليك فهذا من فضل الله وهو دليل التوفيق في الدنيا. جعل الله أيامك كلها سعادة وعزا وسعادة وطمأنينة.

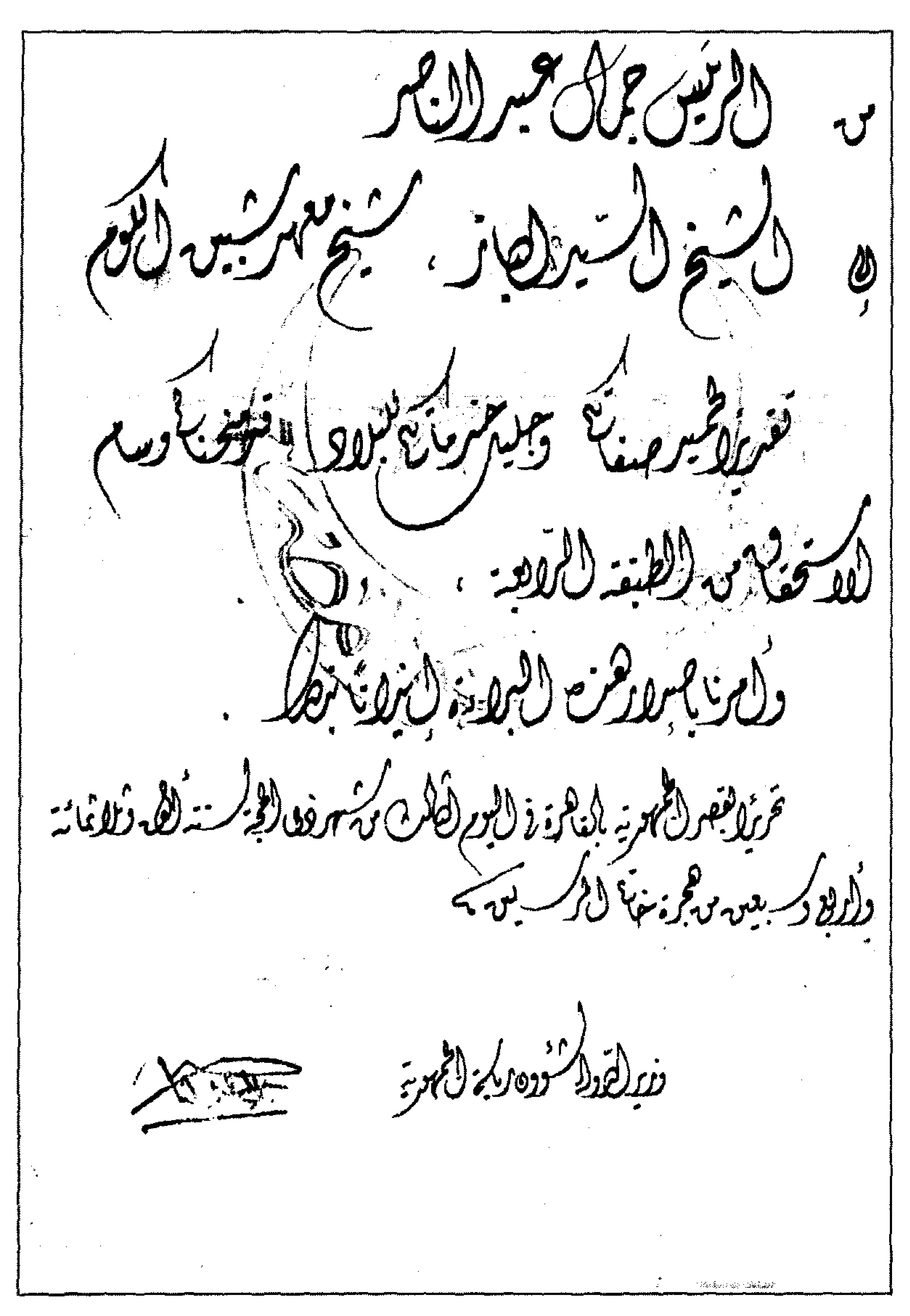
أما عن سروري من توفيقك في المحاضرة التي ألقيتها وحضرها أساتذتك وغيرهم فحدث عنه ولا حرج ذلك لأني أعلم أن مثل هذه المواقف ستكون مفتاحا تفتح به الأبواب المغلقة أمامك وتجعل الصلة بينك وبين أساتذتك وأخوانك صلة أساسها الاحترام والتقدير - جعل الله الخير من نصيبك في دنياك - لم أملك نفسي ولم أصبر على عدم الكتابة إليك مع أني تعبت قليلا بعد أن كتبت لك خطابي السابق لشدة فرحي بخطابك الذي أرسلته ومن علمت أنك في صحة جيدة موفق في دراستك سألتني عن رأيي في أن تبقى بجامعة رولا بميسوري حتى تحصل على الماجستير في يونيه ١٩٦١ ثم تسعى لتحويلك إلى جامعة هارفارد أو تسعى لتحويلها من الآن والحق يا ولدي أني لم يظهر لي وجه الصواب في هذه المسألة ولا أدري بم أشير عليك. لأني لا أضمن أن تقبلك جامعة هارفارد إذا حصلت على الماجستير من جامعة أخرى وربما كانت المدة التي تقضيها في جامعة ميسوري التي أنت بها الآن أقل كثيرا من المدة التي تقضيها بجامعة هارفارد للحصول على الدكتوراه وربما كان لسمعة أساتذتك بالجامعة التي أنت بها أثر كبير في حصولك على الدكتوراه مبكرا وأخيرا ربما كانت الدكتوراه التي تحصل عليها من هارفارد خيرا من أي دكتوراه تحصل عليها من جامعة أخرى. كل هذه الخواطر خطرت ببالي بعد قراءة خطابك لأني بعيد جدا عن البيئة التي تعيش فيها ولا أقدر على ابداء رأي اعتقد أنه الصواب. وعلى كل حال أفضل أن تبقى بالجامعة التي التحقت بها حتى يحضر أخوك أسامة إليك في أغسطس المقبل إن شاء الله وعند ذلك عليكما أن تستشيرا ذوي الرأي ثم افعلا ما يوفقه الله في اختياره لك وأسأله تعالى أن يختار لك الخير وسأكلف أسامة بأن يكتب لك عن رأيي إن كان لي رأي في ذلك

إنا في تقدم مستمر وصحتي لا بأس بها ولله الحمد ووالدتك وأخوتك جميعا بخير يهدونك عاطر التحية ووالدتك فخورة بك تقول إنها تهنئ نفسها (بلولو تباعها) والحالة عندنا على ما يرام ولله الحمد

لا تتأخر في الكتابة إلينا بل لا تترك فرصة تمكنك من إخبارنا بأحوالك إلا انتهزتها لأننا في شوق شديد لمعرفة أخبارك. أما رمضان فقد هل علينا منذ ثمانية أيام وإن كنت لا أصوم لأن الأطباء حذروني من الصيام تحذيرا شديدا ولست أدري كيف تتمكن أنت من الصوم إذا أردت ذلك على كل حال الذي يهمني جدا أن ترجع إلينا سليم الأخلاق عربي شرقي في كل صفاتك وعاداتك والله يهديك سواء السبيل ويهيئ لك الرشد والخير من أمرك ولك تحياتي ودعواتي

والدك
السيد الباز

▲ صورة لخطاب الشيخ السيد الباز إلى ولده فاروق الباز عقب سفر الأخير إلى الولايات المتحدة عام 1959م.



من الرئيس جمال عبد الناصر

إلى الشيخ السيد الباز، شيخ معهد شبين الكوم

تقديراً لحميد صفاته وجليل خدماته للبلاد قد منحناه وسام

الاستحقاق من الطبقة الرابعة،

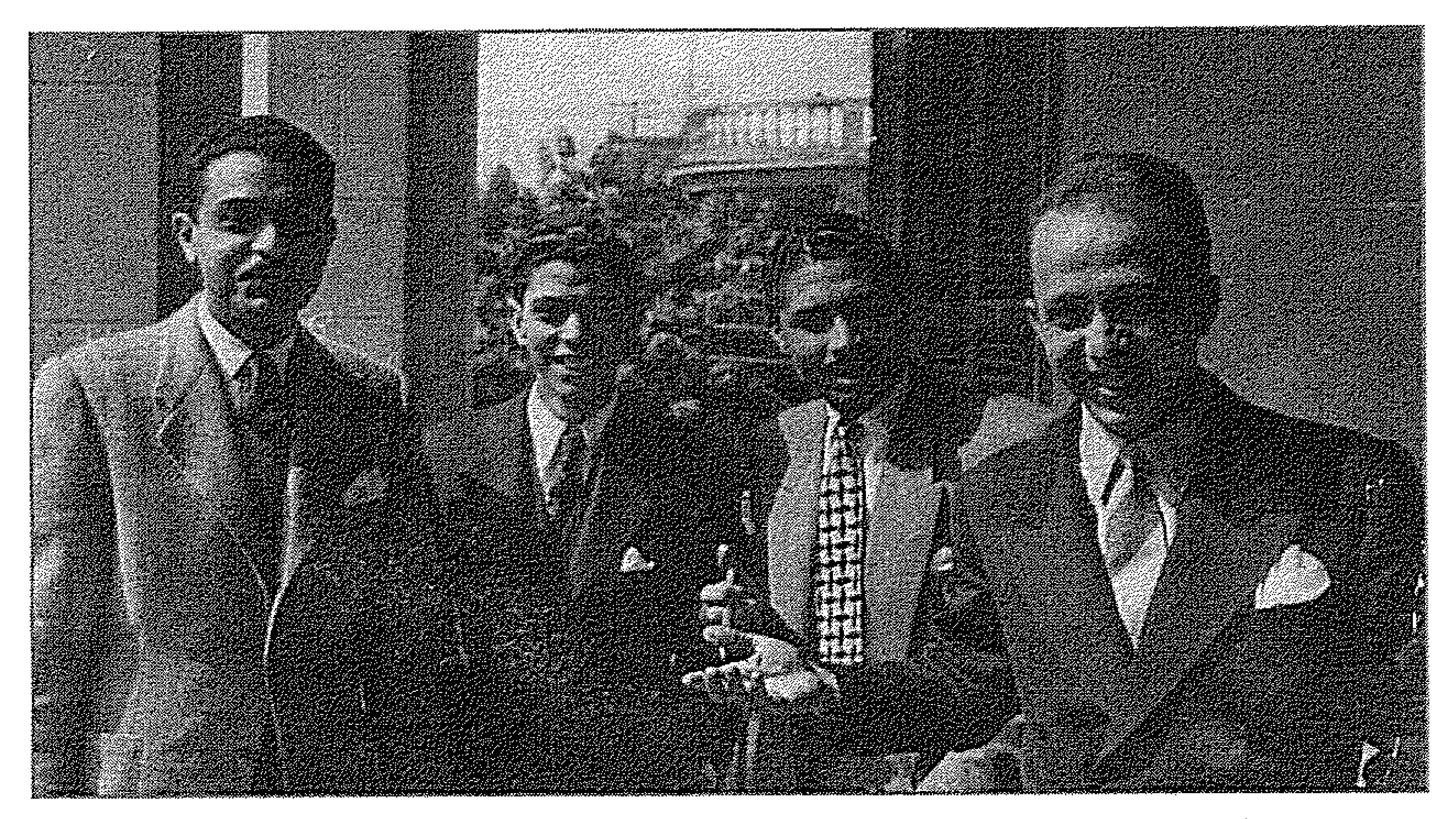
وأمرنا بإصدار هذه البراءة إثباتاً لذلك.

تحريراً بقصر الجمهورية بالقاهرة في اليوم الثالث من شهر ذي الحجة لسنة ألف وثلاثمائة

وأربع وسبعين من هجرة خاتم المرسلين

وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية

▲ براءة وسام الاستحقاق الممنوح من الرئيس جمال عبدالناصر إلى فضيلة الشيخ السيد الباز شيخ معهد شبين الكوم الأزهري.



▲ صورة د. أسامة مع بعض زملائه في النيابة العامة عام 1954م.

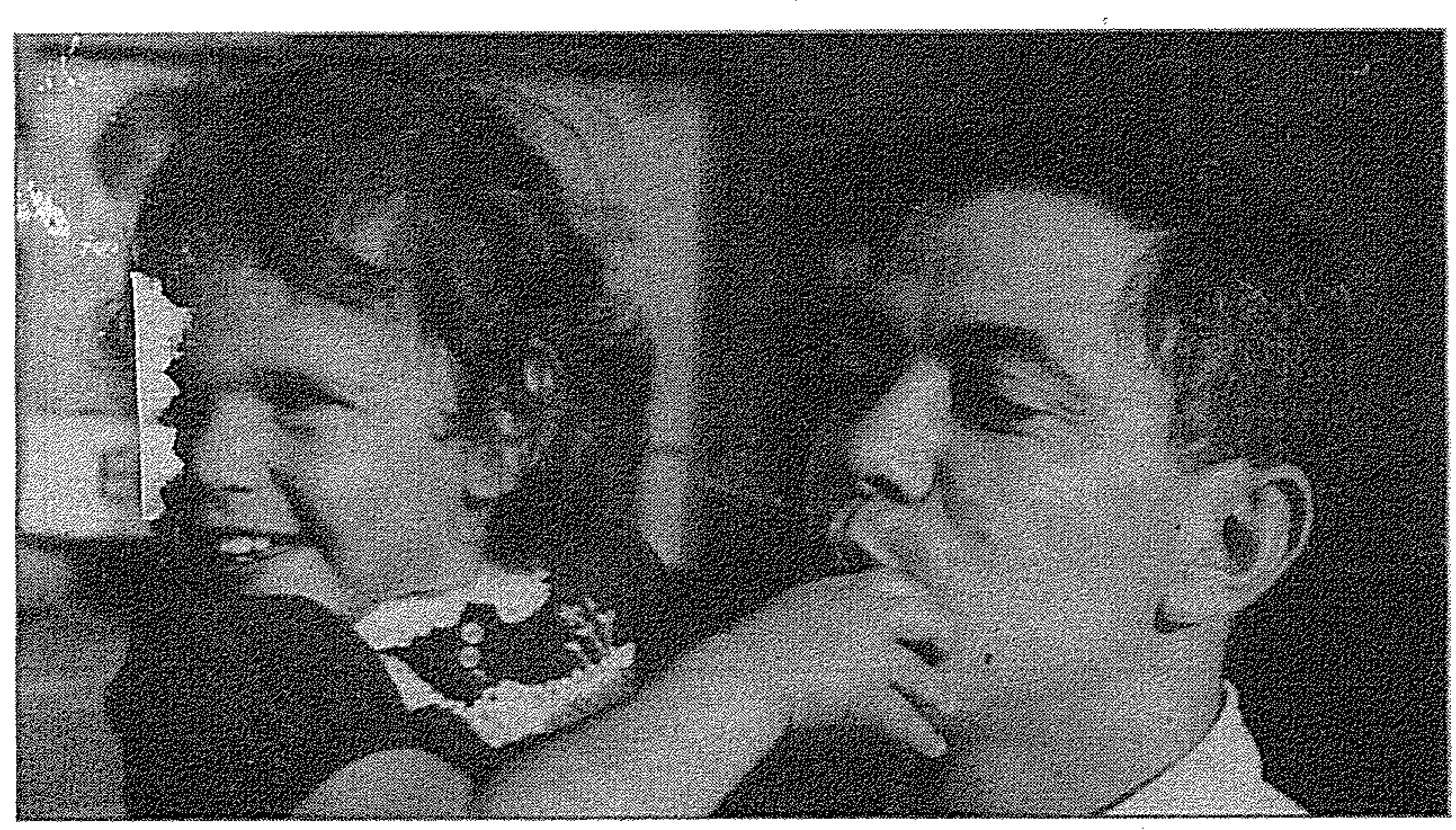
مؤسسة النقل العام لمدينة القاهرة

٥٩٢

٢٧

طابع تجديد أكتوبر ١٩٦٠			طابع تجديد إبريل ١٩٦٠	طابع تجديد يناير ١٩٦٠
طابع تجديد نوفمبر ١٩٦٠	طابع تجديد أغسطس ١٩٦٠		طابع تجديد مايو ١٩٦٠	طابع تجديد فبراير ١٩٦٠
طابع تجديد ديسمبر ١٩٦٠	طابع تجديد سبتمبر ١٩٦٠		طابع تجديد ١٩٦٠	طابع تجديد مارس ١٩٦٠

▲ كارنيه اشتراك أسامة الباز في مؤسسة النقل العام بالقاهرة عام 1960م.



▲ صورة أسامة الباز مع أولى كريمات شقيقه فاروق الباز بالولايات المتحدة (يرجح أنها بتاريخ 1960م).



بطاقة عائلية

صادرة طبقاً لأحكام القانون رقم ٢٦٠ لسنة ...

بالقانون رقم ١١ لسنة ١٩٦٥ في شأن الأحوال المدنية

رقم البطاقة	مكتب سجل مدني	محافظة
[illegible]	الزيتون	القاهرة

تاريخ صدورها ١٩٧٠/١/١٢

ينتهي العمل بهذه البطاقة ١٩٧٥/١/١٢

الاسم أسامة الباز

تاريخ ومحل الميلاد ستة يوليو واحد وثلاثون ...

الديانة مسلم

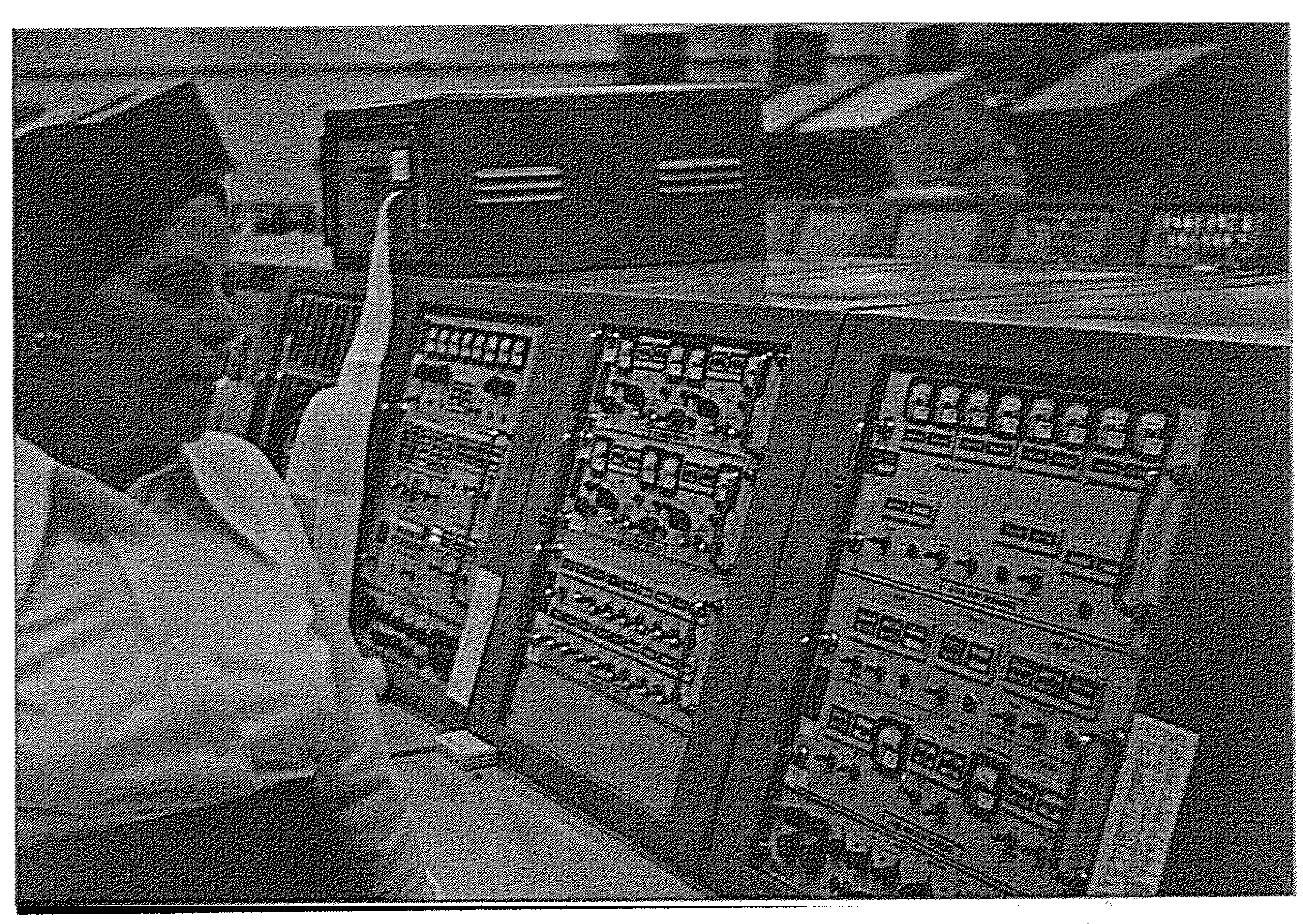
وظيفة أو مهنة وكيل وزارة الخارجية

محل العمل وزارة الخارجية

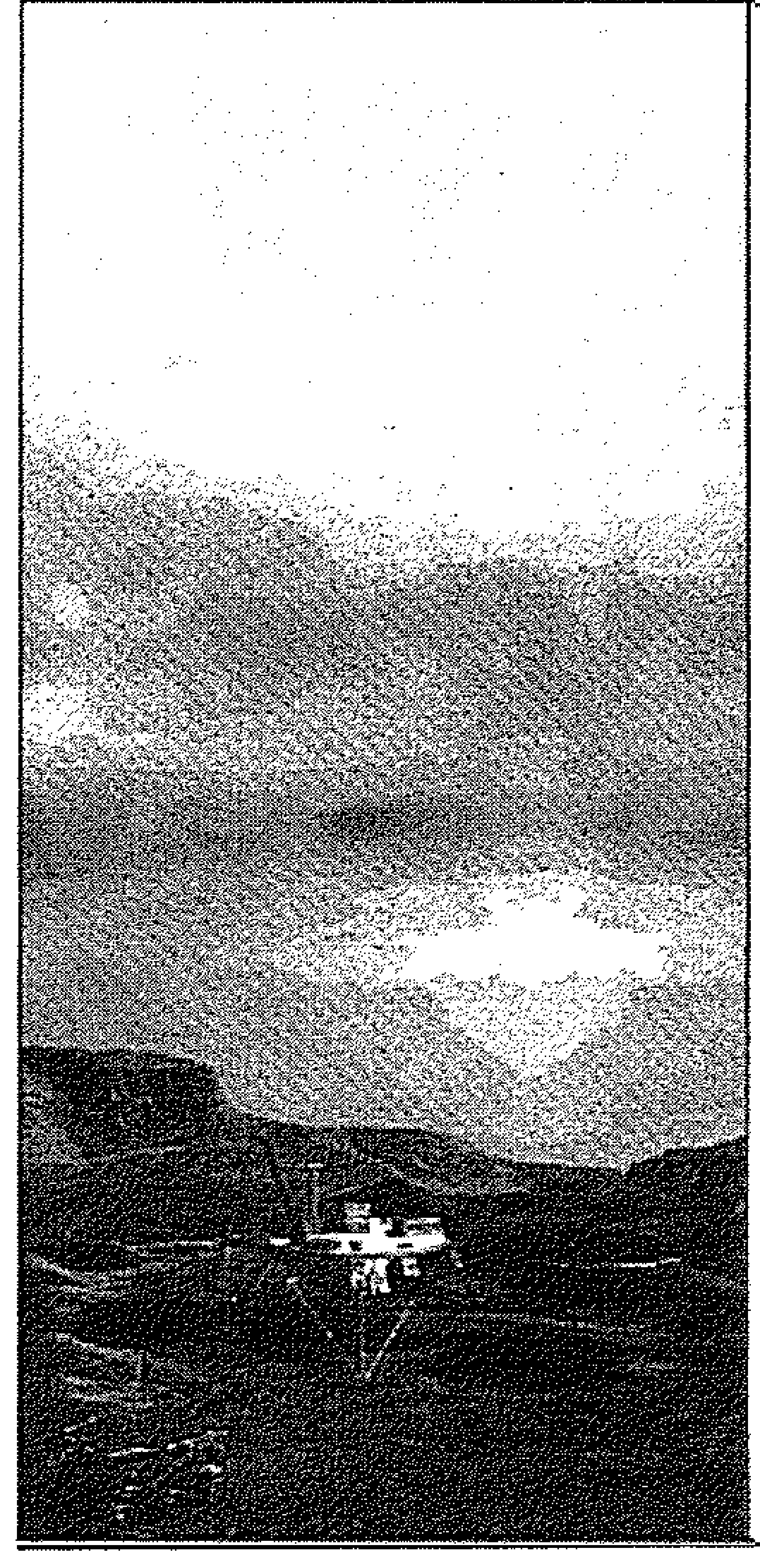
محل الإقامة ١١٨ ... شقة ١٢

فصيلة الدم gr. O

▲ بطاقة التعريف الخاصة بأسامة الباز.



▲ صورة لوالدة أسامة وفاروق الباز أثناء زيارتها لمحطة إطلاق أبوللو - هيوستن عام 1989م.



Mars 2001 Lander Participation Certificate

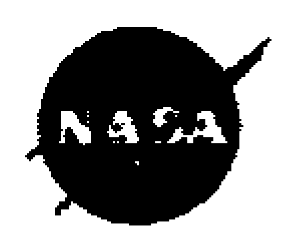
Presented to

Zahia Abulata Hammouda

Thank you for joining us on this mission of exploration and discovery. A compact disc bearing your name will be mounted on the Mars 2001 Lander, which along with the Orbiter and Rover will help us explore the ancient highlands of Mars.

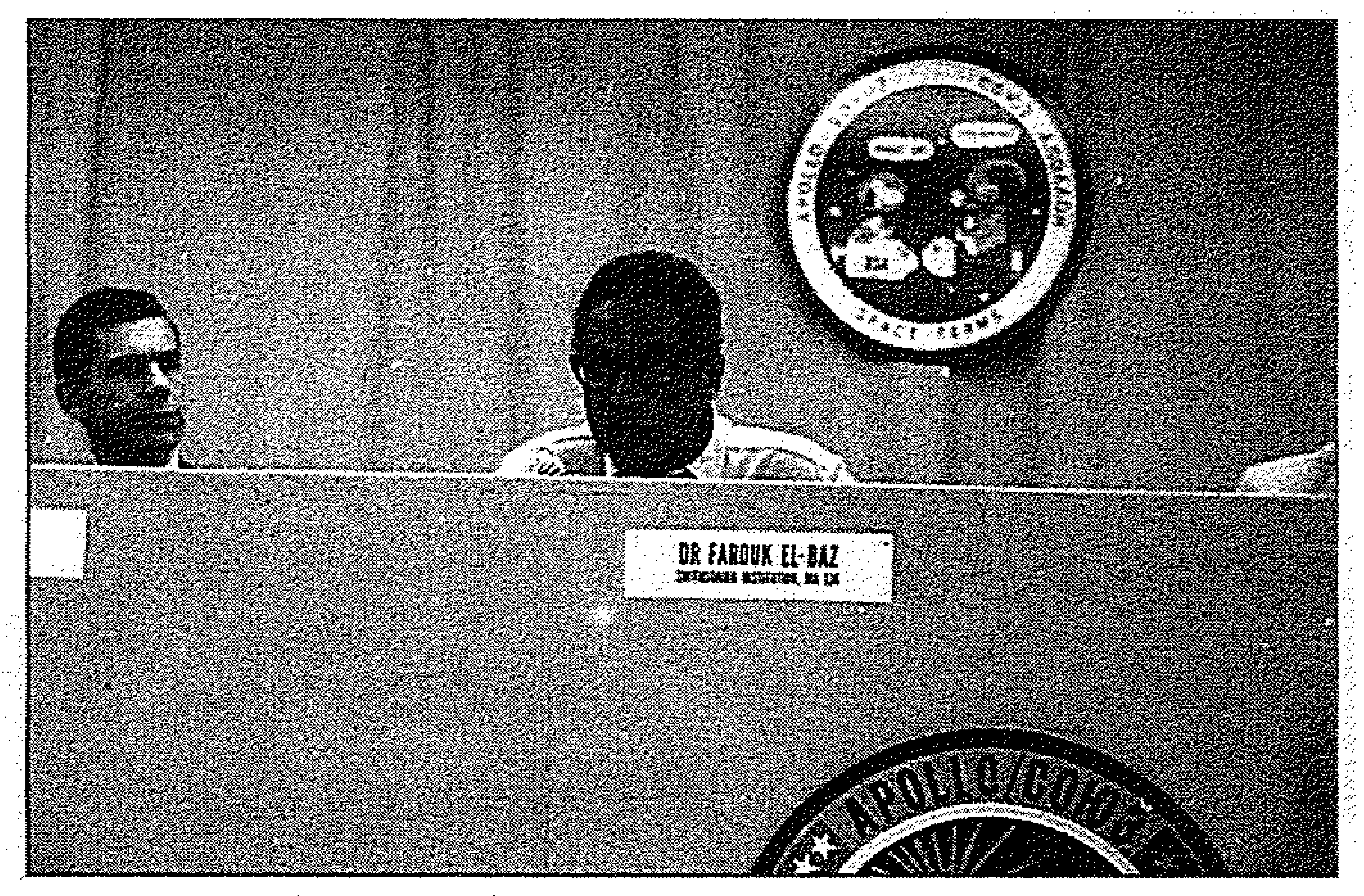
Together, we will journey into space to discover and understand the many wonders of our universe.

Dr. Edward J. Weiler
Associate Administrator
Office of Space Science

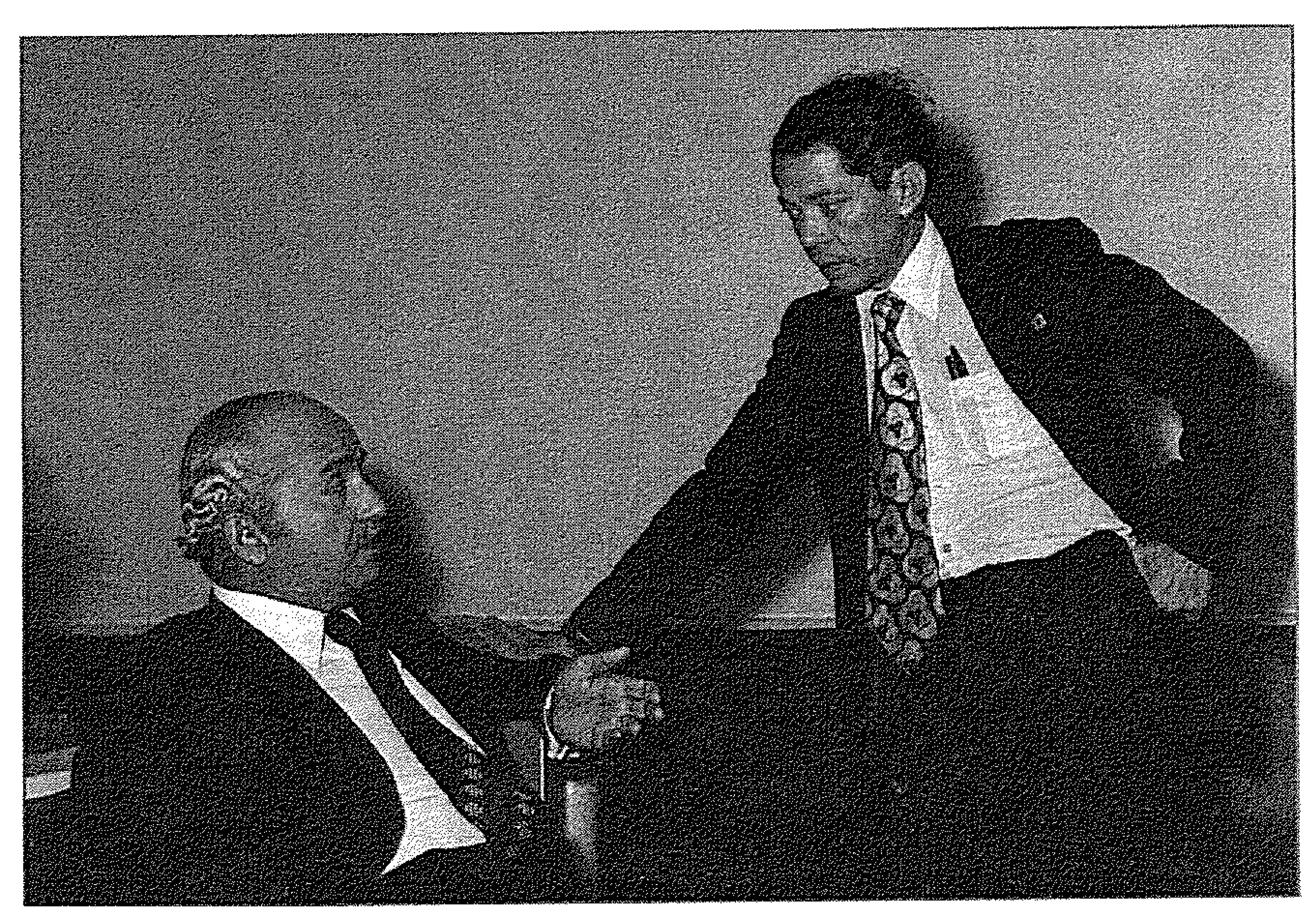


Certificate No. 9843

▲ شهادة مقدمة من مكتب علوم الفضاء بوكالة ناسا الأمريكية إلى السيدة زاهية أبو العطا حمودة - والدة المرحوم أسامة الباز - تذكارًا لزيارتها إلى وكالة أبحاث الفضاء ومشاركتها في إطلاق مكوك الفضاء (أوربيتر) و(روفر) إلى كوكب مارس عام 2001م.



▲ صورة للدكتور فاروق الباز في موقعه بمحطة المراقبة الأرضية لرحلة أبوللو.



▲ صورة للدكتور أسامة الباز مع السيد إسماعيل فهمي وزير الخارجية الأسبق.

وزارة الخارجيـــــة
غرفة العمليات

نوبتجية غرفة العمليات بوزارة الخارجية
في الفترة من ١٠/١٤ ـ ١٩٧٣/١٠/٢٠

التاريخ	٣ر٣٠ ـ ٨ر٣٠	٨ر٣٠ ـ ١٥ر٣٠	١٥ر٣٠ ـ ٢١ر٣٠	٢١ر٣٠ ـ ٣ر٣٠
			وزير مفوض عمران الشافعي • غرفة العمليات بصفة مستمرة •	ووزير مفوض عمر سري يتناوبان رئاسة
الاحد ١٠/١٤	احمد حجــاج		أسامة البــاز نبيل العرابــي	سامى دراز سيد المصرى
الاثنين ١٠/١٥	حسنى المجــيزى		محمود سليمــان محمد اسماعيــل	محمد أنيــس رضا فرحــات
الثلاثاء ١٠/١٦	أسامة البــاز		محمود مبــارك احمد حجــاج	حسنى المجيزى نبيل العرابى
الاربعاء ١٠/١٧	نبيل العرابــي		أسامة البــاز سيد المصــرى	سامى دراز محمود سليمان
الخميس ١٠/١٨	سامى دراز		محمد أنيــس رضا فرحــات	محمد اسماعيل محمود مبارك
الجمعة ١٠/١٩	سيد المصــرى		حسنى المجيزى أسامة البــاز	احمد حجــاج سامى دراز
السبت ١٠/٢٠	محمود سليمــان		نبيل العرابــي محمود سليمــان	سيد المصــرى محمد أنيــس

▲ جدول المناوبة بغرفة عمليات وزارة الخارجية أثناء حرب أكتوبر 1973م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أنور السادات

من أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية

إلى السيد أسامة السيد الباز ، وزير مفوض

بوزارة الخارجية .

تقديراً لحميد صفاتكم وجليل خدماتكم ، قد منحناكم

وسام الجمهورية من الطبقة الثانية .

وأمرنا بإصدار هذه البراءة إيذاناً بذلك .

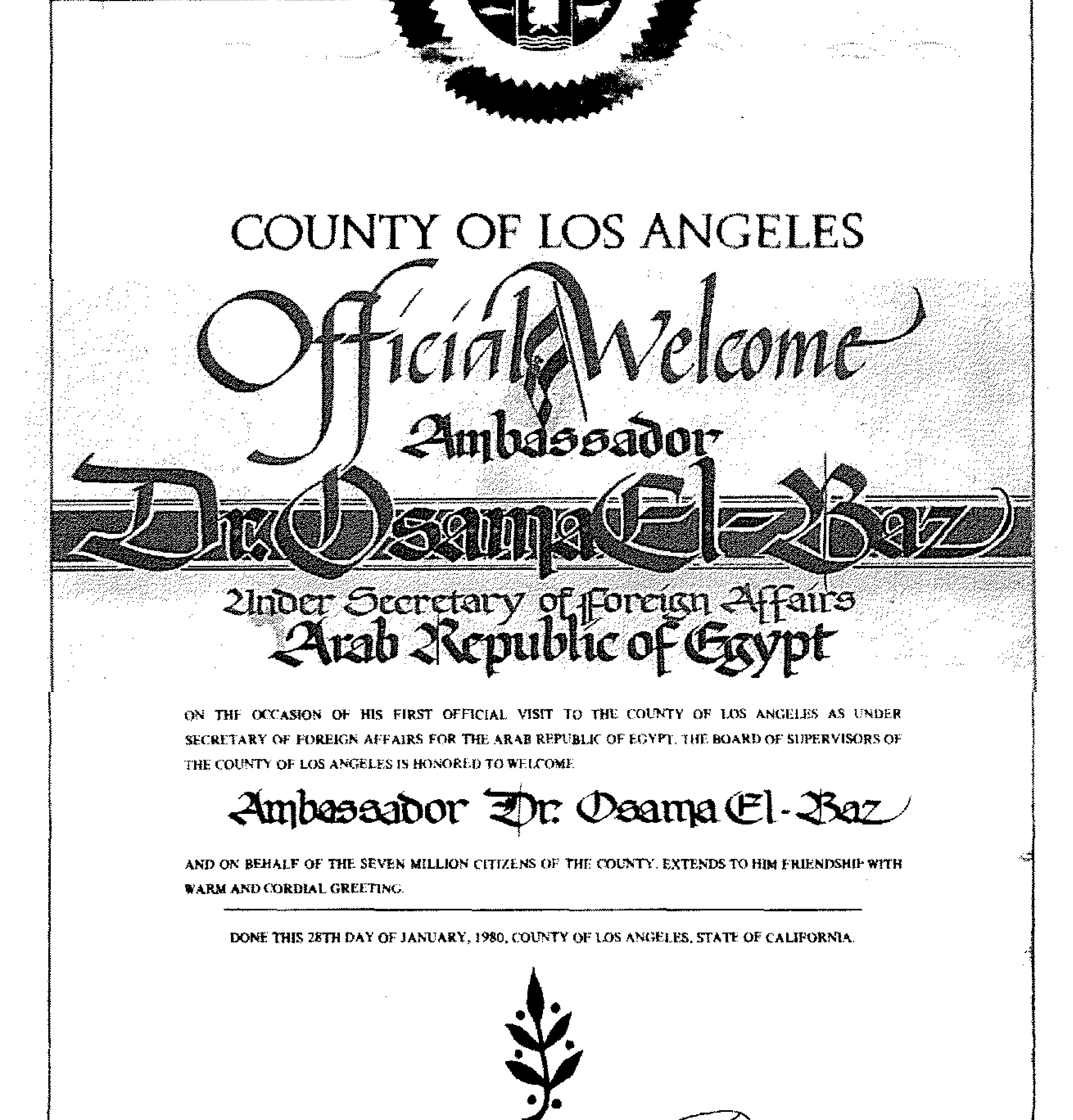
تحريراً بقصر الجمهورية بالقاهرة في اليوم السادس والعشرين من شهر شوال

لسنة ألف وثلاثمائة وأربع وتسعين من هجرة خاتم المرسلين

١٠ نوفمبر ١٩٧٤

رئيس ديوان رئيس الجمهورية

▲ براءة وسام الجمهورية من الطبقة الثانية الممنوح من الرئيس أنور السادات إلى الوزير المفوض أسامة الباز 1974م



COUNTY OF LOS ANGELES

Official Welcome

Ambassador

Dr. Osama El-Baz

Under Secretary of Foreign Affairs

Arab Republic of Egypt

ON THE OCCASION OF HIS FIRST OFFICIAL VISIT TO THE COUNTY OF LOS ANGELES AS UNDER SECRETARY OF FOREIGN AFFAIRS FOR THE ARAB REPUBLIC OF EGYPT, THE BOARD OF SUPERVISORS OF THE COUNTY OF LOS ANGELES IS HONORED TO WELCOME

Ambassador Dr. Osama El-Baz

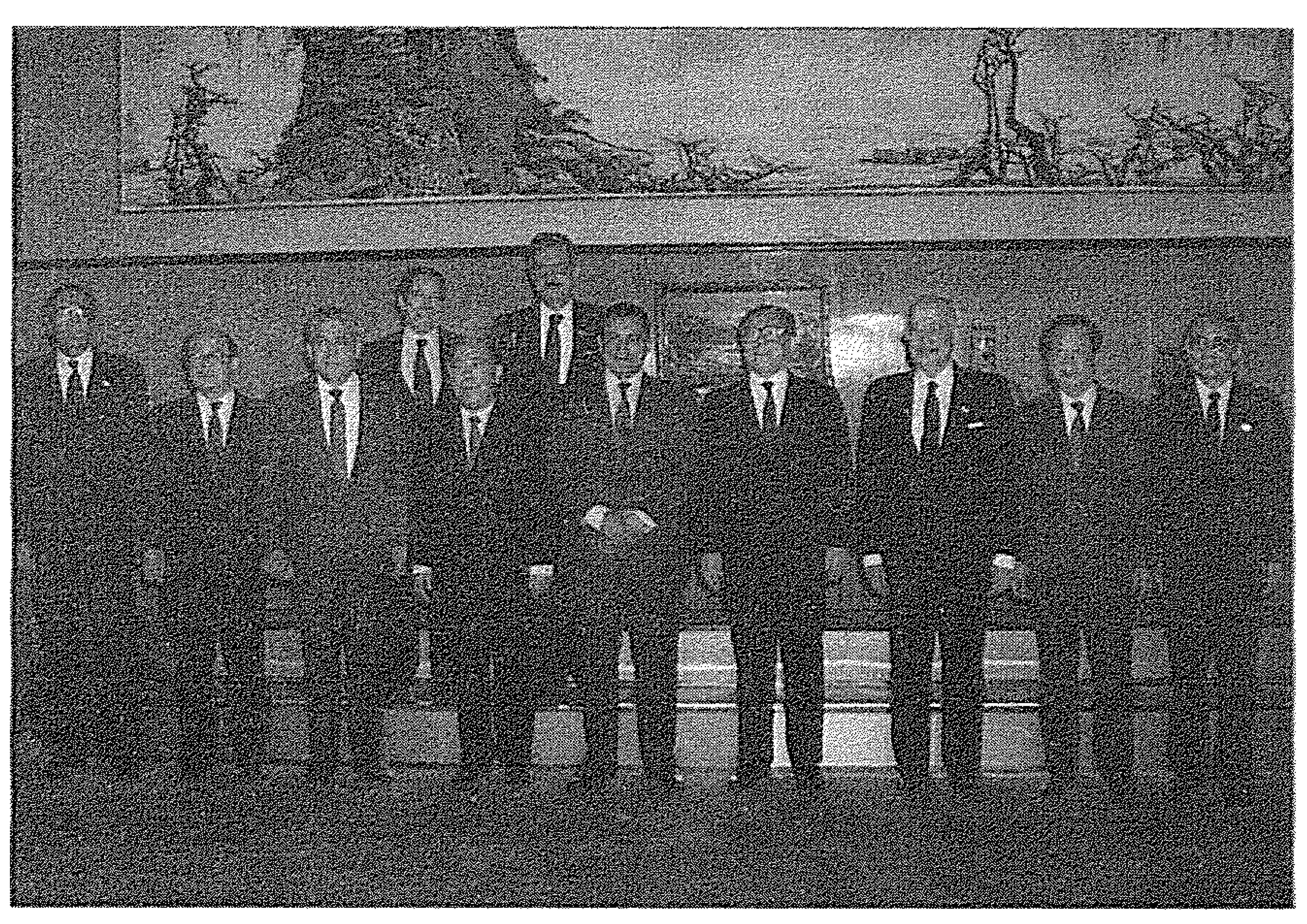
AND ON BEHALF OF THE SEVEN MILLION CITIZENS OF THE COUNTY, EXTENDS TO HIM FRIENDSHIP WITH WARM AND CORDIAL GREETING.

DONE THIS 28TH DAY OF JANUARY, 1980, COUNTY OF LOS ANGELES, STATE OF CALIFORNIA.

▲ شـهادة تذكارية من مجلس مدينة لوس أنجلوس الأمريكية بمناسبة زيارة الدكتور أسـامة البـاز إلى المدينة بصفته وكيلا لوزارة الخارجية المصرية «28 يناير 1980م».



▲ صورة للدكتور أسامة مع الرئيس الأسبق مبارك ووزير الخارجية الأمريكي سيروس ڤانس.



▲ صورة تذكارية للرئيس الأسبق حسني مبارك ورئيس الصين مع الوفد المصري الزائر في بكين عام 1988م.

«بسم الله الرحمن الرحيم»

نيودلهي في ١٧ نوفمبر ١٩٨١.

أخي الكبير د. أسامه..

تحياتي واحترامي وأطيب أمنياتي بالصحة والسعادة..

رأيت أن أكتب لكم من وقت لآخر ببعض تصوراتي في السياستين الداخلية والخارجية وقلت لنفسي إن تلك الخواطر إن لم تكن ذات فائدة لكم فلا أعتقد أنها ستكون ضارة فهي قبل كل شيء نبضات مواطن مصري..

أصبح أولاً أن أسجل تفاؤلي ومعي ملايين من المصريين وغير المصريين من لغة الإشارات السياسية لفترة حكم الرئيس مبارك إذ تؤكد كل الشواهد جديته ونزاهته وليبراليته.. وتعن لي بعض الاقتراحات أكتبها لسيادتك باعتباري أحد تلاميذك وممن ارتبطوا بشخصك حبا وإعجابا منذ سنوات.. وأبدأ بالشئون الداخلية فهي مركز اهتمام كما تعرف..

أولاً: الشئون الداخلية:

أ- رئاسة الحزب الوطني:

التخلي عن رئاسة الحزب الوطني

أعتقد أنه يجب أن يتخلى الرئيس عن هذا المنصب لأنه رئيس الدولة وهو الحكم بين الأحزاب ولا يجب أن يكون طرفاً مباشراً في الصراعات والمشاحنات ومثل هذه الخطوة تعطي الرئيس تقديراً أكثر لدى الجميع فهي تكريس حقيقي للديمقراطية وإشعار لكل المصريين مهما كانت انتماءاتهم - أن الرئيس للجميع حكومة ومعارضة يميناً أو يساراً.

ب- نائبين لرئيس الجمهورية:

أرى تعيين نائبين لرئيس الجمهورية بدلاً من نائب واحد مع تحديد أقدمية أحدهما على الآخر حتى لا يكون هناك مجال للتنازع أو الاستقطاب.. ويبقى السؤال هل سيكون النائبان من العناصر المدنية أو العسكرية؟ وتتردد أسماء كثيرة

▲ رسالة من السفير د. مصطفى الفقي إلى د. أسامة الباز (مُرسلة من الهند في 17/ 11/ 1981).

-٢-

مثل السادة: كمال حسن علي، الشيخ أبو غزالة، د. عبد العزيز حجازي، د. مصطفى خليل وأحيانًا أسماء مثل: فكري مكرم عبيد وممدوح سالم.. إلخ..

ولا شك أن اختيار نائب رئيس الجمهورية الآن تعد مسألة صعبة وسوف تكشف إلى حد كبير عن رؤى الرئيس الجديد للمستقبل ومدى مشاركة الجيش في مستقبل السياسة المصرية.

جـ - إعادة تنظيم مشيخة الأزهر:

الأزهر: تسيطر علي دائمًا فكرة ضرورة إعطاء الأزهر دورًا روحيًا أكثر فعالية داخل مصر وخارجها سوف يخدم على المدى الطويل سياسة مصر في العالمين الإسلامي والعربي ويكون ذلك بإعطاء مشيخة الأزهر درجة أكبر من الاستقلالية عن سيطرة الدولة بحيث يكون لها مركز أدبي وسلطة روحية أكبر واقترح أن يكون تعيين شيخ الأزهر بقرار جمهوري بعد انتخابه من مجمع البحوث الإسلامية (هيئة كبار العلماء سابقًا) وذلك حتى يتمكن الأزهر وشيخه من ممارسة دور أكثر فعالية في الدعوة الإسلامية الصحيحة والمؤثرة بدلاً من أن يكون موظفًا في الدولة لا يستجيب الناس لدعواه باعتباره ضرورة من أي نظام قائم، كما أن إعطاء منصب شيخ الأزهر بعض الإقدام والمهابة سوف يجعل للأزهر دورًا أكثر فعالية في الخارج خصوصًا وأن بعض الدعاة المصرية ذات مكانة عالية في الداخل والخارج ومن بينها الإمام "محمد متولي الشعراوي" بشعبيته الروحية الذائعة.

د - العناصر القيادية في الصحافة والجامعات:

الصحافة: يبدو ملحوظًا في السنوات الأخيرة هبوط مستوى القيادات الصحفية وبروز أسماء لا رصيد لها من الموهبة أو الكفاءة بعد أن سبب هجرة القيادات الصحفية هجرة اختيارية في الخارج أو هجرة زمانية في الداخل! والأمر في ظني يستوجب ضرورة دفع عناصر جديدة إلى المقدمة والاهتمام بالدوريات والصحافة الثقافية والأدبية فالفراغ الذي يدفع ببعض شبابنا إلى دائرة العنف والإرهاب مصدره خلو الساحة الفكرية من البدائل المقبولة. كما أن الجامعات مازالت مراكز للتأثير في الجيل الجديد ولا يعقل أن تكون رئاسة أكبر وأقدم جامعة مصرية لأستاذ حوكم تأديبيًا بإعطاء الدروس الخصوصية!!

▲ تابع: رسالة من السفير د. مصطفى الفقي إلى د. أسامة الباز (مُرسلة من الهند في 17/ 11/ 1981).

٣

وبهذه المناسبة يجب اعادة النظر في الاستثناءات الممنوحة لابناء اعضاء هيئة التدريس والعاملين بالجامعات وغيرهم إذ لا نظير لذلك في أي بلد آخر..

هـ - مقر دائم لرؤساء الجمهورية والوزارة:

يجب ان نتخذ قرارا جادا في هذه المسألة أسوة بكل الدول المتقدمة بحيث يكون هناك مقر ثابت لرؤساء الجمهورية للاقامة يتركونه بعد مدة الرئاسة وينتقل اليه من يخلفهم وكذلك الأمر بالنسبة للاقامة برؤساء الوزارات فذلك ادعى للاحترام ويؤكد التقاليد الشرعية وليست هذه بدعة فهي موجودة في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بل وفي بلد مثل الهند.

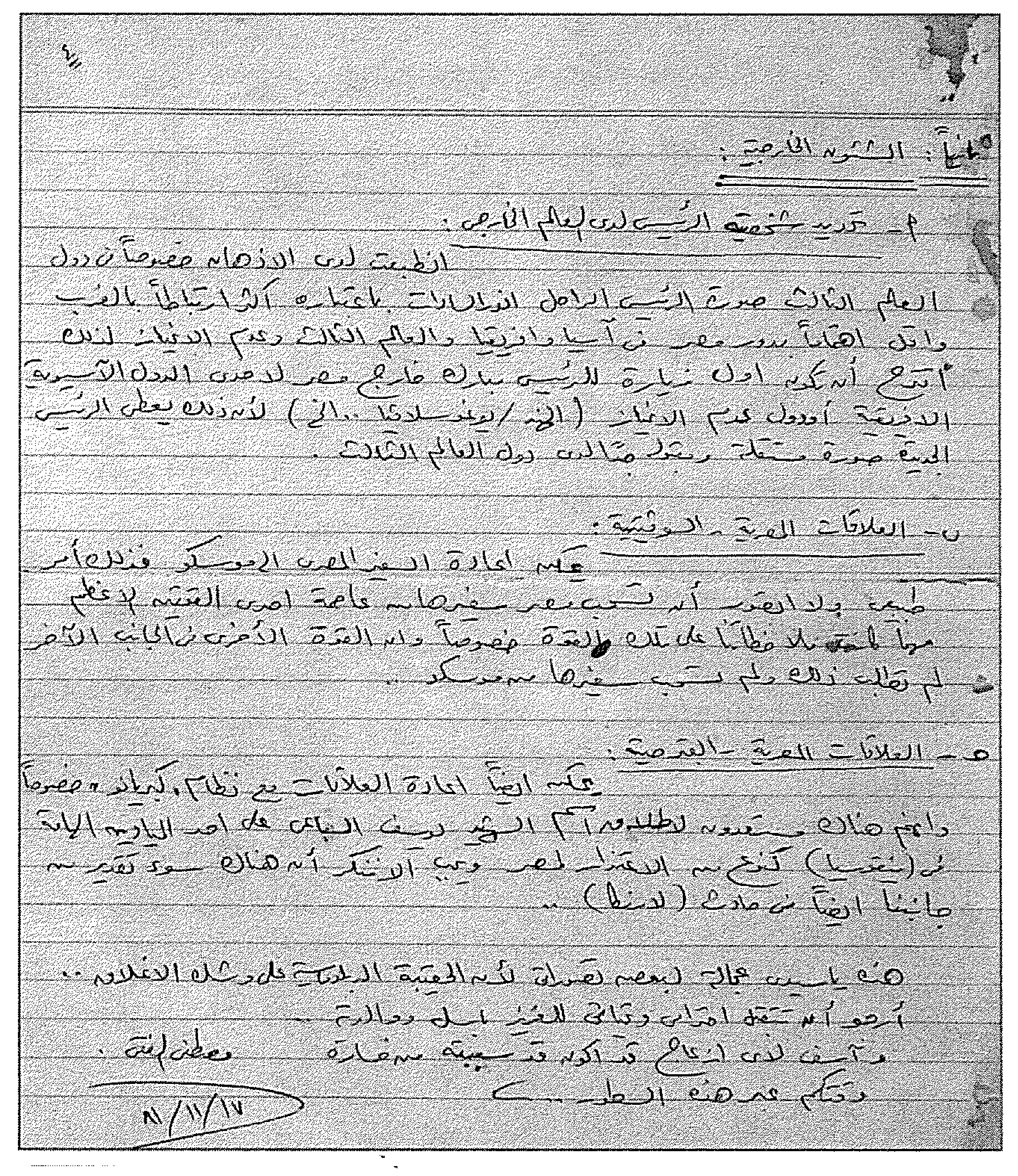
و - تقليص نفوذ العناصر المرفوضة شعبيا:

لقد استقبل الناس خبر استقالة السيد/ سيد مرعي بارتياح شديد وهم يتطلعون الى القضاء على اي دور سياسي للسيد م. عثمان احمد عثمان لأن الاختلاط بين السلطة والثروة من الأمور الاستفزازية للمواطن المصري عبر تاريخه الطويل فضلا عن أن "حاشية" اي حاكم هي التي تعد معيارا لشعبيته لدى الجماهير ومدى تقييمهم له..

ز - الوحدة الوطنية:

سوف تدخل مصر مرحلة من المصالحة الوطنية بين كل ابناء الوطن ولكن عهد الرئيس مبارك تحت شعار "مصر لكل ابنائها" يرفض التطرف ايا كانت اتجاهاته الدينية او العقائدية او الطبقية.. ولا شك ان الافراج عن البابا شنوده - بعد عدة شهور - بطلب شخصي من الرئيس وصدور قرار جمهوري بعد ذلك يلغي قرار عدم اعتراف الدولة بالبابا نتيجة لما اثاره الأمر عالميا من الحملة ومثيرا للنقد خصوصا لدى الغرب.. كما أن عودة شنوده - بشروط واضحة عليه - سوف تكون مؤشرا للمصالحة والتسامح والوحدة الوطنية..

▲ تابع: رسالة من السفير د. مصطفى الفقي إلى د. أسامة الباز (مُرسلة من الهند في 17/ 11/ 1981).



خامساً: الشئون الخارجية:

أ- تحديد شخصية الرئيس لدى العالم الخارجي:

انطبعت لدى الأذهان خصوصاً في دول العالم الثالث صورة الرئيس الراحل السادات باعتباره أكثر ارتباطاً بالغرب وأقل اهتماماً بدور مصر في آسيا وأفريقيا والعالم الثالث وعدم الانحياز لذلك أقترح أن تكون أول زيارة للرئيس مبارك خارج مصر لإحدى الدول الآسيوية الإفريقية أو دول عدم الانحياز (الهند / يوغوسلافيا ..الخ) لأن ذلك يعطي الرئيس الجديد صورة مستقلة ويتحول مثالاً لدى دول العالم الثالث.

ب- العلاقات المصرية - السوفيتية:

عكس إعادة السفير المصري لموسكو فذلك أمر طبيعي ولا أتصور أن تسحب مصر سفيرها خاصة أنني أعتقد أن أعظم مرة ماضية بلا ظلماً على تلك القمة خصوصاً وأن القمة الأخرى في الجانب الآخر لم تطالب ذلك ولم تسحب سفيرها من موسكو..

جـ- العلاقات المصرية - القبرصية:

يمكن أيضاً إعادة العلاقات مع نظام "كبريانو" خصوصاً وأنهم هناك مستعدون لمطلوبين بحكم السيد يوسف السباعي على أحد المتهمين الإيرانيين في (نيقوسيا) كنوع من الاعتذار لمصر ومن الأفضل أن هناك سوف تقدير من جانبنا أيضاً عن حادث (لارنكا)..

هذه يا سيدي مجرد بعض تصورات لأن الحقيبة الدبلوماسية على وشك الإغلاق..

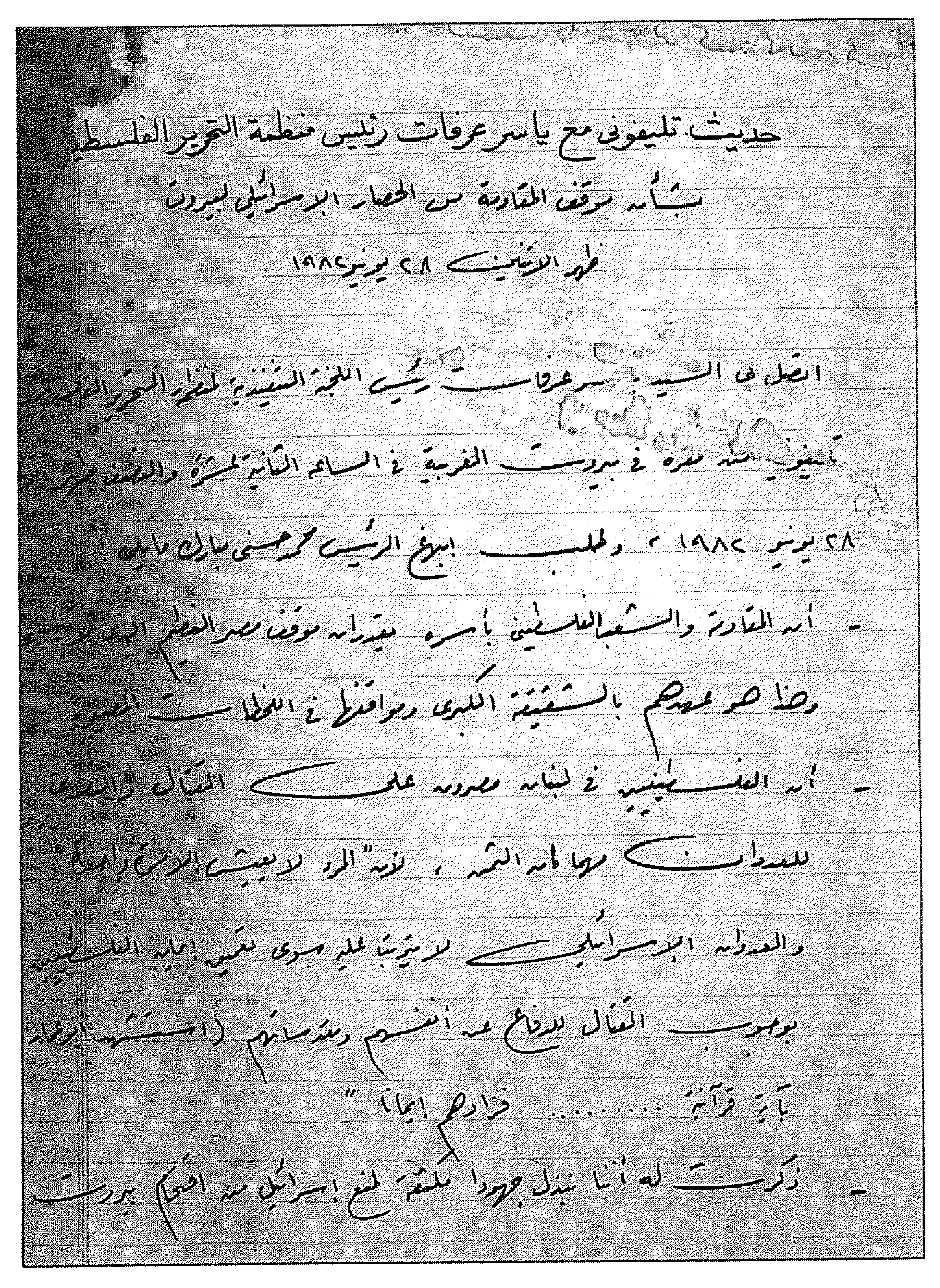
أرجو أن تتقبل امتناني وتحياتي للعزيزة أمل وعائلتك..

مع أسف لدى أشعر كأنكم قد تركت بعيدة من سفارة ونحكم عن هذه السطور..

مصطفى الفقي.

١٧/١١/٨١

▲ تابع: رسالة من السفير د. مصطفى الفقي إلى د. أسامة الباز (مُرسلة من الهند في 17/ 11/ 1981).



حديث تليفوني مع ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

بشأن موقف المقاومة من الحصار الإسرائيلي لبيروت

ظهر الاثنين ٢٨ يونيو ١٩٨٢

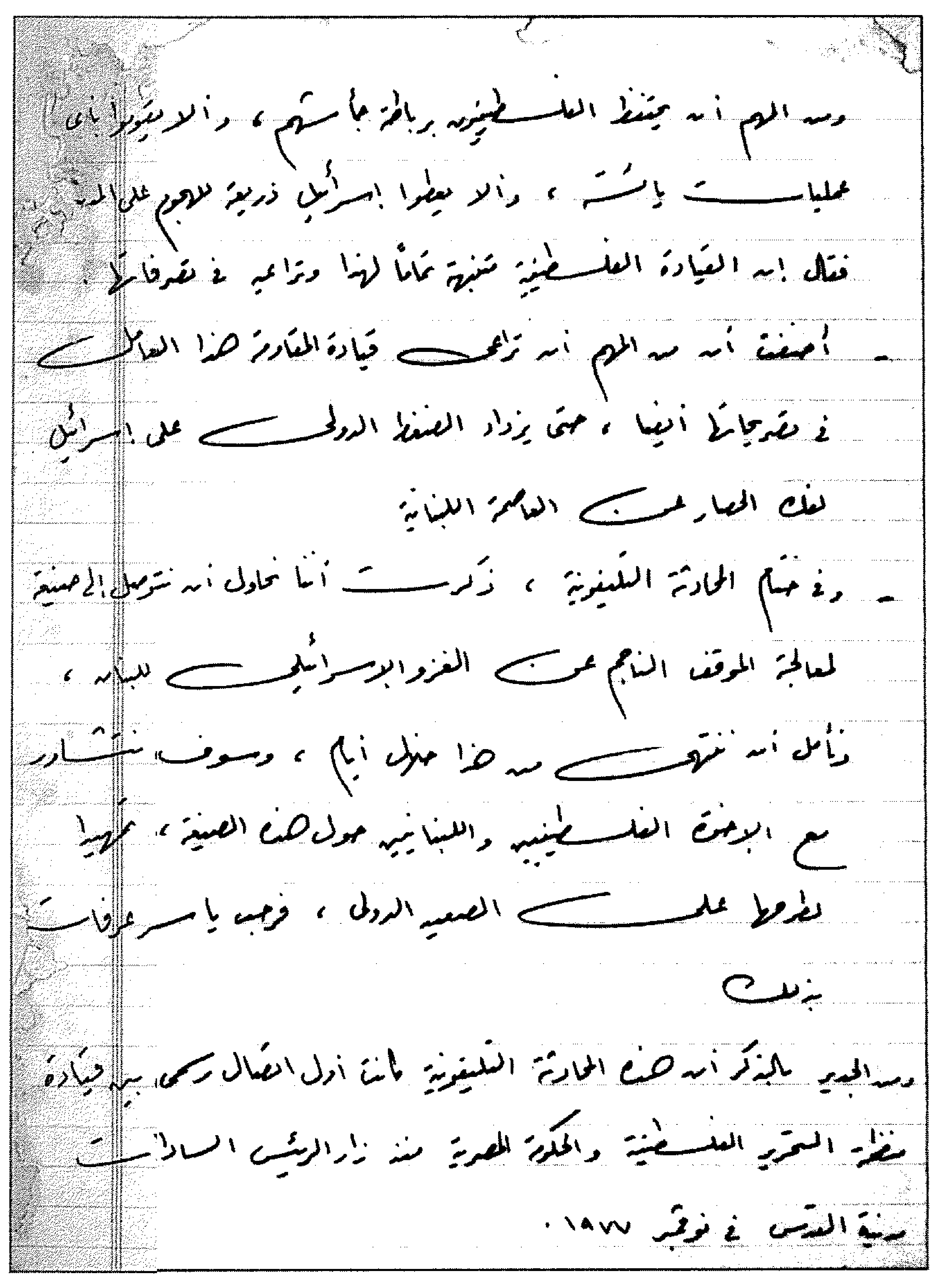
اتصل بي السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية تليفونيا من مقره في بيروت الغربية في الساعة الثانية عشرة والنصف ظهر [illegible] ٢٨ يونيو ١٩٨٢، وطلب ابلاغ الرئيس محمد حسني مبارك ما يلي:

- أن المقاومة والشعب الفلسطيني بأسره يقدران موقف مصر العظيم الذي [illegible] وهذا هو عهدهم بالشقيقة الكبرى ومواقفها في اللحظات المصيرية.

- أن الفلسطينيين في لبنان مصرون على القتال والتصدي للعدوان مهما كان الثمن، لأن "المرء لا يعيش إلا مرة واحدة" والعدوان الإسرائيلي لا يترتب عليه سوى تعميق إيمان الفلسطينيين بوجوب القتال للدفاع عن أنفسهم ومقدساتهم (استشهد أبو عمار بآية قرآنية .... فزادهم إيمانا")

- ذكرت له أننا نبذل جهودا مكثفة لمنع إسرائيل من اقتحام بيروت

▲ مخطوط يدوي بخط الدكتور أسامة عن مضمون حديث تليفوني مع السيد ياسر عرفات في 28/ 6/ 1982م.



ومن المهم أن يحتفظ الفلسطينيون برباطة جأشهم، وألا يقوموا بأي
عمليات يائسة، وألا يعطوا إسرائيل ذريعة للهجوم على المد
فقال إن القيادة الفلسطينية منتبهة تماماً لهذا وتراعيه في تصرفاتها.
- أضفت أن من المهم أن تراعي قيادة المقاومة هذا العامل
في تصريحاتها أيضاً، حتى يزداد الضغط الدولي على إسرائيل
لفك الحصار عن العاصمة اللبنانية
- وفي ختام المحادثة التليفونية، ذكرت أننا نحاول أن نتوصل إلى صيغة
لمعالجة الموقف الناجم عن الغزو الإسرائيلي للبنان،
ونأمل أن ننتهي من هذا خلال أيام، وسوف نتشاور
مع الإخوة الفلسطينيين واللبنانيين حول هذه الصيغة، تمهيداً
للضغط على الصعيد الدولي، فرحب ياسر عرفات
بذلك
ومن الجدير بالذكر أن هذه المحادثة التليفونية كانت أول اتصال رسمي بين قيادة
منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة المصرية منذ زار الرئيس السادات
مدينة القدس في نوفمبر ١٩٧٧.

▲ تابع: مخطوط يدوي بخط الدكتور أسامة عن مضمون حديث تليفوني مع السيد ياسر عرفات في 28/ 6/ 1982م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المواطنون

في الوقت الذي تبذل فيه مصر كل جهدها وتعبئ كافة قواها
من أجل البناء والتشييد في كل موقع ومواجهة الظروف
الاقتصادية الصعبة التي تمر بها دون أعباء جديدة على محدودي
الدخل رغم النقص في مواردها الأساسية، قامت قلة
منحرفة بأعمال عنف وشغب وحريق وتدمير، تعتبر
طعنة غادرة لمسيرة هذا الشعب الطامح في سبيل
غد نيّر ومستقبل.

ففي ساعة مبكرة من مساء أمس الثلاثاء
25 فبراير، سرت شائعات "مغرضة"
لا أساس لها من الصحة في أوساط المجندين الملحقين
بمعسكر قوات الأمن الجنوبي بأول طريق مصر الإسكندرية
الصحراوي، مفادها أنه تقرر مد فترة التجنيد
للأفراد الملحقين بقوات الشرطة لمدة عام واحد

▲ مشروع بيان لرئاسة الجمهورية عن أحداث الأمن المركزي (بخط يد د. أسامة الباز).

وقد استغلت بعض العناصر المخربة تلك الشائعات
الكاذبة لتحريض بعض الجنود في المعسكر وإثارة مشاعرهم،
مما أدى إلى خروج مجموعات كبيرة منهم إلى
الطريق العام، حيث قامت في أركانه كثير من
أعمال العنف والتدمير، أسفرت
عنه إتلاف عدد كبير من السيارات
وإشعال النار في بعض الفنادق والمنشآت
السياحية الواقعة بالقرب من المعسكر
المذكور.

وقد أدت هذه العناصر والشائعات
التي صاحبتها إلى امتداد الشغب إلى بعض معسكرات
الأمن في المواقع المجاورة، فانطلقت
مجموعات منها مسلحة بالأسلحة النارية
والعصي التي كانت في حوزتهم أثناء خروجهم من مواقع
خدمتهم، وانتشرت في عمليات التخريب
والاعتداء ضد المحال العامة والمنشآت السياحية
ووسائل النقل، وقتلت وأصابت بعض المواطنين
الأبرياء في بعض المواقع.

▲ تابع: مشروع بيان لرئاسة الجمهورية عن أحداث الأمن المركزي (بخط يد د. أسامة الباز).

٢

وفي الساعات الأولى من صباح اليوم، شهدت

بعض معسكرات الأمن

بمحافظات العاصمة والجيزة والقليوبية

وأسيوط وسوهاج والإسماعيلية أحداثاً تخريبية

مماثلة، تجمعاً على أثر أنباء بالغة [illegible]

منشآت فقد دمرت [illegible] كبرى وتحطيم

عدد كبير من سيارات المواطنين

وسيارات الأتوبيس وعربات

النقل ووحدات المرور، كما امتد التخريب

إلى مستودع لعشة الأرز في أسيوط، ومستودع آخر

في سوهاج، وافتعال [illegible] والمؤسسة [illegible] فيه.

وإزاء تلك الأعمال الإجرامية التي تمس

بأمن الوطن والمواطنين وتهدد مسيرة الجبهة الداخلية

التي هي أساس كل استقرار اجتماعي واقتصادي،

والركيزة التي لا غنى عنها لنجاح مسيرة

العمل الوطني، كان من المتعين أن تعرض

▲ تابع: مشروع بيان لرئاسة الجمهورية عن أحداث الأمن المركزي (بخط يد د. أسامة الباز).

٤

حظر التجول في محافظات القاهرة والجيزة
والقليوبية، وأنه تطلق وحدات خاصة من
القوات المسلحة بالسيطرة على المواقع
التي تتطلبها مثل هذه الأعمال الإجرامية، واتخاذ
كافة الإجراءات الكفيلة بالسيطرة على
الموقف وردع العناصر الإجرامية المخربة، وقد تم
هذا بالفعل، كما ضبط عدد كبير من العناصر
التي تزعمت الشغب والتخريب، وتم
وتباشر النيابة العامة التحقيق معهم،
كما تم نقل السياح الأجانب الموجودين
بمناطق الشغب إلى فنادق قريبة في مواقع آمنة،
ووضعت عليها حراسة مشددة، ولم يتعرض
حياة أي منهم للخطر.

الاجتماع [illegible] الأحزاب

أن الدولة لا يمكنها أن تتهاون مع
مدبري هذه الأعمال وأن كل من يسول
له نفسه [illegible] في حياة الوطن وأمنه.

▲ تابع: مشروع بيان لرئاسة الجمهورية عن أحداث الأمن المركزي (بخط يد د. أسامة الباز).

ولست أشك أننا جميعاً ندرك - ونحن نواجه هذا الموقف بثبات وحزم - أن مثل هذه العمليات الإجرامية قد استغلت وأذكى نارها مناخ الإثارة الذي أحدثته بعض الدوائر غير المسؤولة في أعقاب دورة [illegible] الكراسي [illegible] العليا وسائر أبناء [illegible] ومؤسساته.

وسوف نتابع في الأيام القليلة القادمة التحقيق في كافة الملابسات والظروف التي صاحبت وقوع هذه الحوادث وأدت إلى انتشارها وتصاعدها على هذا النحو.

وأود أن أطمئن كل مواطن ومواطنة إلى أن مثل هذه الحوادث - مهما بلغت حدتها - لا يمكن أن تنجح في أن تمس تماسك جبهتنا الداخلية لأن شعبنا [illegible] ووعي الجماهير قادر على سحق هذه الأعمال والتصدي لها بكل قوة وحسم.

حمى الله مصر الحبيبة ووفق مسعانا [illegible] والمطالب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

▲ تابع: مشروع بيان لرئاسة الجمهورية عن أحداث الأمن المركزي (بخط يد د. أسامة الباز).

عزيزي أسامة

أطيب تحياتي ووالله واحشني وواحشانا
قعدتنا في مكتبك رغم إلحاح السيد تامر .
نوعية نسمع شيء من الوقت ما نتابع به "الرحلة"
الإسلامية التي نقوم بها انطلاقا من قلعتنا الحصينة
في نيويورك ، فإن لم تكن قد تابعتها ، فإني أرسل إليك
نص المقال الذي نشرته لي النيويورك تايمز يوم ٢٦
مارس ، كما أرسل لك مقال كراوثهامر في
الواشنطن بوست يعلق فيه in part
على ما ذكرته في مقالي .

كنت أسمع سايروس فانس ويرد عليه
اليوم ، والحمد لله يعرفني إني هو next door
من قبيل "البلطجة" والتسلية .

ومن هنا تشعر بشيء ولما قرأ المقال
فإنه موزون سياسيا ولكن به adjectives كثيرة
وطبعا مطلع النقاط الخفيفة كالعادة ، وقد ظللت
آخذه من رد فعله واتذكرك .

مع تحياتي وإلى اللقاء
عمرو
٢ ٢٠.

▲ رسالة من السيد عمرو موسى مستشار وفد مصر الدائم لدى الأمم المتحدة بنيويورك مرفقًا بها مقاله المنشور في صحيفة نيويورك تايمز في 26 مارس 1990م.

Israeli Excuses and Paralysis . . .

By Amre M. Moussa

Now that the Likud-Labor coalition has collapsed over the proposed Israeli-Palestinian talks, what's next? What does this ominous development imply for the peace process?

Whatever the outcome of Israel's internal wrangling and divisions, the next Labor or Likud government — or a new coalition of both parties — will face pretty much the same problem Israel has faced before: how to proceed toward convening Israeli-Palestinian talks.

The main issues won't disappear: peace or stalemate; accommodation based on mutual recognition, mutual acceptance and mutual security arrangements — or an untenable status quo.

Israel's political paralysis should impel its friends to come forward with constructive advice. Short of interfering in Israel's internal politics, they should encourage and prod recalcitrant elements, pointing out the rewards of peace, and warn them about the risks of extremism.

The Palestinians, who unilaterally have made all the bold moves to break the cycle of belligerence by reaching out to Israelis, should be encouraged to hold out and not lose faith.

Israeli hardliners who advocate a "big Israel" and the resettlement of Soviet immigrants in the occupied West Bank, including Arab Jerusalem, are not contributing to the current efforts to bring about Israeli-Palestinian peace. They are fanning fires of confrontation and regional instability, aggravating the situation in the occupied territories and reinforcing Israel's paralysis.

Some Arab commentators wonder if the breakup of Israel's coalition was a crafty conspiracy to block the proposed talks in Cairo. They wonder if it is a delaying maneuver until the Soviet immigrants flooding in are housed in the occupied territories. If it is not such a maneuver, why the blackout on settlement news?

This cynicism may be exaggerated, but it does underline growing suspicions over the lack of progress toward Israeli-Palestinian peace.

The resurgence of atavistic attitudes in certain segments of the Israeli body politic promises to reverse the substantial gains toward regional reconciliation and stability.

Before the breakup of the Likud-Labor coalition, it seemed for a fleeting moment that peace between the Palestinians and Israelis was approaching a critical mass. A combination of factors led to this conclusion.

First, the Palestine National Council endorsed the right of all parties in the conflict — including Israel — to exist in peace and security, and Yasir Arafat, chairman of the Palestine Liberation Organization, later reaffirmed that right.

Second, the almost three-year intifada in the West Bank and Gaza has convinced many Israelis that the Palestinians are determined to attain nationhood; that they are engaged in a legitimate struggle for dignity, liberty and self-determination and that no amount of harsh measures or repression will deflect them from realizing their goal.

Third, the involvement of Egypt and the U.S. in the efforts to bring Israel and the Palestinians to the negotiating table was about to bear fruit — until the extremists fired their torpedos at the peace process.

Fourth, the growing influence of Jewish peace movements in Israel and in the U.S. Jewish community promises to to make a difference.

Finally, the Palestinian people share in the irreversible waves of freedom and democracy sweeping the world.

There is little sympathy for the stagnation and immobility that characterize Israeli politics. There is no sympathy for Israeli extremists' grandiose and demented dreams, because these extremists deny the Palestinians' national and human rights. Such a denial can only breed hatred and continued instability.

The foundation that has sustained Israel's 23-year occupation of Palestinian territory has crumbled. Israelis used to complain, "There is no one to talk to." That complaint is now invalid. There is a Palestinian partner willing to talk. □

. . . Will earn sympathy no more.

Amre M. Moussa is Egypt's permanent representative to the United Nations.

N.Y. Times

26 Mar. 90

▲ تابع: رسالة من السيد عمرو موسى مستشار وفد مصر الدائم لدى الأمم المتحدة بنيويورك مرفقًا بها مقاله المنشور في صحيفة نيويورك تايمز في 26 مارس 1990م.

Charles Krauthammer

The Real West Bank Story

Few Jews are going.

"Israelis Recruiting Immigrants for West Bank; Newcomers From J.S.S.R. Are Helping to Settle Occupied Territory."

—headline, The Washington Post, Jan. 27, 1990

"Many Soviet Jews have made no ecret of their 'Mission to Settle' in he occupied territories . . ."

—Edward Said, March 6, 1990

"Settling scores of thousands of these ews in the West Bank, Gaza Strip, Golan Ieights, and southern Lebanon [is a] langer threatening the Arab nation's existence. . . . The danger of this state of ffairs will first be reflected on the citiens of the occupied Arab territories, and his will force them to flee."

—Marwan al-Qasim, foreign minister of Jordan

"Some Arab commentators wonder if he breakup of Israel's coalition was a rafty conspiracy . . . a delaying maneuer until the Soviet immigrants flooding n are housed in the occupied territories."

—Amre M. Moussa, Egypt's permanent representative to the United Nations

The "flooding" of the West Bank with oviet Jews and the resulting displacenent of Palestinians is big news. It is also big lie. Just this week in India, Yasser rafat said that 300,000 Soviet Jews had ettled on the West Bank. Actually, the umber is 68. Or if you take the highest merican estimate (from The New York 'imes), last year a grand total of 300 oviet Jews settled there.

There are 1,750,000 Arabs living in e occupied territories. That means at if last year's flood of Soviet Jewish nmigrants into the West Bank and Gaza ontinues unabated, they will match the urrent Arab population of the occupied rritories in about, oh, 5,800 years. If ou insist on including East Jerusalem as ccupied territory" from which Jewish ettlers ought to be barred as well, then e number of Jewish interlopers will pproach the current Arab population in mere 1,350 years. Multiply the rate of oviet emigration tenfold and it is still 35 years till D-Day.

There are three facts to remember about the "flood" of Soviet Jews in the West Bank.

1. They aren't going there. Less than one percent of the Soviet Jewish immigrants choose the West Bank.

2. They don't want to go there. Soviet Jews are running away from antisemitism. They are looking for escape. For people fleeing trouble in the Soviet Union it holds no attraction to seek refuge in the troubled West Bank. Which is why almost all choose life in the big cities of Israel's coastal plain.

3. They are not being made to go there. Yitzhak Shamir and other fantasists may wish for a Soviet West Bank, but even in the Middle East observers are obliged to distinguish between fantasy and reality. The Israeli government has no program for settling Soviet immigrants on the West Bank. The Jewish Agency, which builds new housing for immigrants, has no plans to build any for Soviet immigrants on the West Bank. It even denies its usual first-year living subsidy to immigrants who choose to live on the West Bank.

Yet the Arab campaign against this phantom invasion of the West Bank grows increasingly hysterical. Bassam Abu-Sharif, Arafat's token moderate and ambassador to "Nightline," calls Soviet Jewish immigration to the occupied territories "an act of war."

This is a canard, but like all canards it has a purpose. What disturbs the Arabs is not Jews settling on the West Bank, but Jews settling in Israel. Last August, Arafat's Fatah organization established a committee "to oppose Zionist immigration to our homeland." In PLO-speak, that means to all of Palestine, including, of course, pre-1967 Israel.

The whole point of this Arab campaign against Soviet immigrants is to prevent Jews from coming not to Nablus but to Tel Aviv. They oppose Jewish immigration, first, because taking in persecuted Jews reminds the world of and reinforces the raison d'etre of Zionism. And, second, because the very presence of these new immigrants strengthens Israel, gives it confidence in its future and its permanence.

That permanence does not sit well with Arafat. But he knows that a campaign to deny persecuted Jews a haven in Israel would find little sympathy in the West. So Arafat reaches for the all-purpose hot button. He starts shouting "West Bank!" as cover for the campaign against the real flood of Soviet Jews—those going to Israel proper.

For the truth on this issue we must defer to President Saddam Hussein of Iraq, butcher of Baghdad, hangman of journalists, but no hypocrite. "It is not enough for us to argue that [immigrants] must not be housed in Arab land occupied since 1967," he declares. "Immigrants, wherever they settle, represent added strength to Israeli society."

The Arab campaign is against immigration to Israel, not the West Bank. It is part of the 40-year campaign to prevent anything that will "add strength to Israeli society," because a strong Israel is that much harder to destroy.

That is why the Arabs are so upset by Soviet Jewish immigrants. That is why terrorist threats from Lebanon have shut down the flights from Moscow through Budapest to Israel. (And why the United States must insist that the Jackson-Vanik trade sanctions against the Soviets not be lifted until they permit truly free emigration, meaning direct flights from Moscow to Israel.) That is why Arafat has come up with a novel solution to the problem of persecuted Soviet Jews: Send them to Canada, "which is empty." Canada has yet to reply.

▲ تابع: رسالة من السيد عمرو موسى مستشار وفد مصر الدائم لدى الأمم المتحدة بنيويورك مرفقًا بها مقاله المنشور في صحيفة نيويورك تايمز في 26 مارس 1990م.

زاد الأهمية الحيوية لنا جميعا

صرح مصدر مسؤول بما يلي:

تتابع الدولة [illegible] الموقف في منطقة الخليج، ورغبة

في تهدئة الأجواء [illegible] لتخفيف حدة التوتر

والقضاء على [illegible] أسباب النزاع والخلاف،

تناشد جمهورية مصر العربية جميع القوى الدولية أن تمتنع

عن القيام بأي عمل أو نشاط من شأنه تعقيد

الموقف [illegible] وزيادة التوتر، وإقحام

عوامل جديدة فيه، [illegible] تضيف إليه أبعادا [illegible]

سلبية)، وتضع العقبات أمام تسوية الخلافات دون مبرر

والتوصل إلى اتفاق بين الأطراف المعنية بشأن النزاع.

وعلى القوى المهتمة باستقرار الأوضاع في الخليج [illegible]

أن تترك المجال للجهود التي تبذلها دول المنطقة لاحتواء

الموقف، وتطويق الخلاف وعدم توسيع نطاقه.

▲ مسودة مشروع بيان أعده د. أسامة عن تطورات الموقف في منطقة الخليج عام 1990م.

المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية بعد حياة
حافلة، كرسها لخدمة الشعب المغربي الشقيق، والدفاع عن الحقوق
العربية والإسلامية.

إن رحيل العاهل المغربي الكريم في هذا المنعطف الدقيق
يشكل خسارة فادحة لشعبه وأمته،
ويضيع على العالم [illegible] لعطاء متصل طوال توليه المسؤولية،
وحقق لبلاده الشقيقة إنجازات مهمة، واكتسب
تقدير العالم واحترامه.

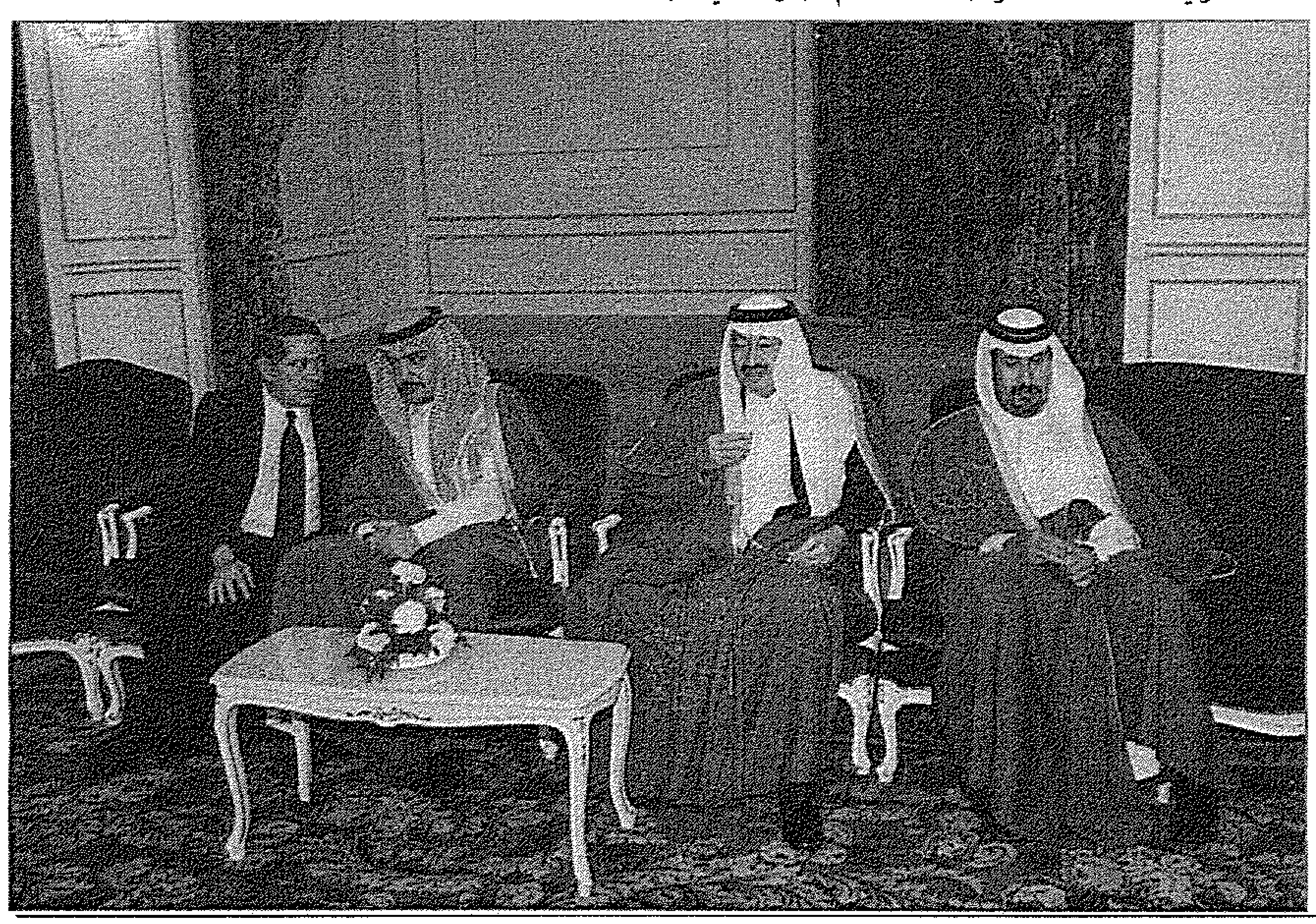
ويشعر الرئيس محمد حسني مبارك بخسارة جسيمة لفقدانه
صديقا عزيزا وأخا شقيقا، ورفيقا على درب النضال
في سبيل القضايا العربية والإسلامية، كان له إسهام ملموس
ودور بارز في العمل العربي المشترك، [illegible] المؤتمر
الإسلامي الذي كان يتولى رئاسة لجنة القدس
المنبثقة عنه، فكان يؤدي رسالته بكل
إيمان بالقضية وشعور بالمسؤولية.

وسوف يذكر الشعب المصري على الدوام
أن المغفور له الملك الحسن الثاني كان في طليعة
رجال الدولة العظام الذين حرصوا على تعزيز التعاون
والتضامن مع مصر، وجعلوا العلاقات
الحميمة بين الشعبين نموذجا حيا ومثالا مشرقا لما يجب أن تكون عليه
الروابط بين الدول الشقيقة التي تربطها
وحدة الهدف والمصير

▲ تابع: مسودة مشروع بيان أعده د. أسامة عن تطورات الموقف في منطقة الخليج عام 1990م.



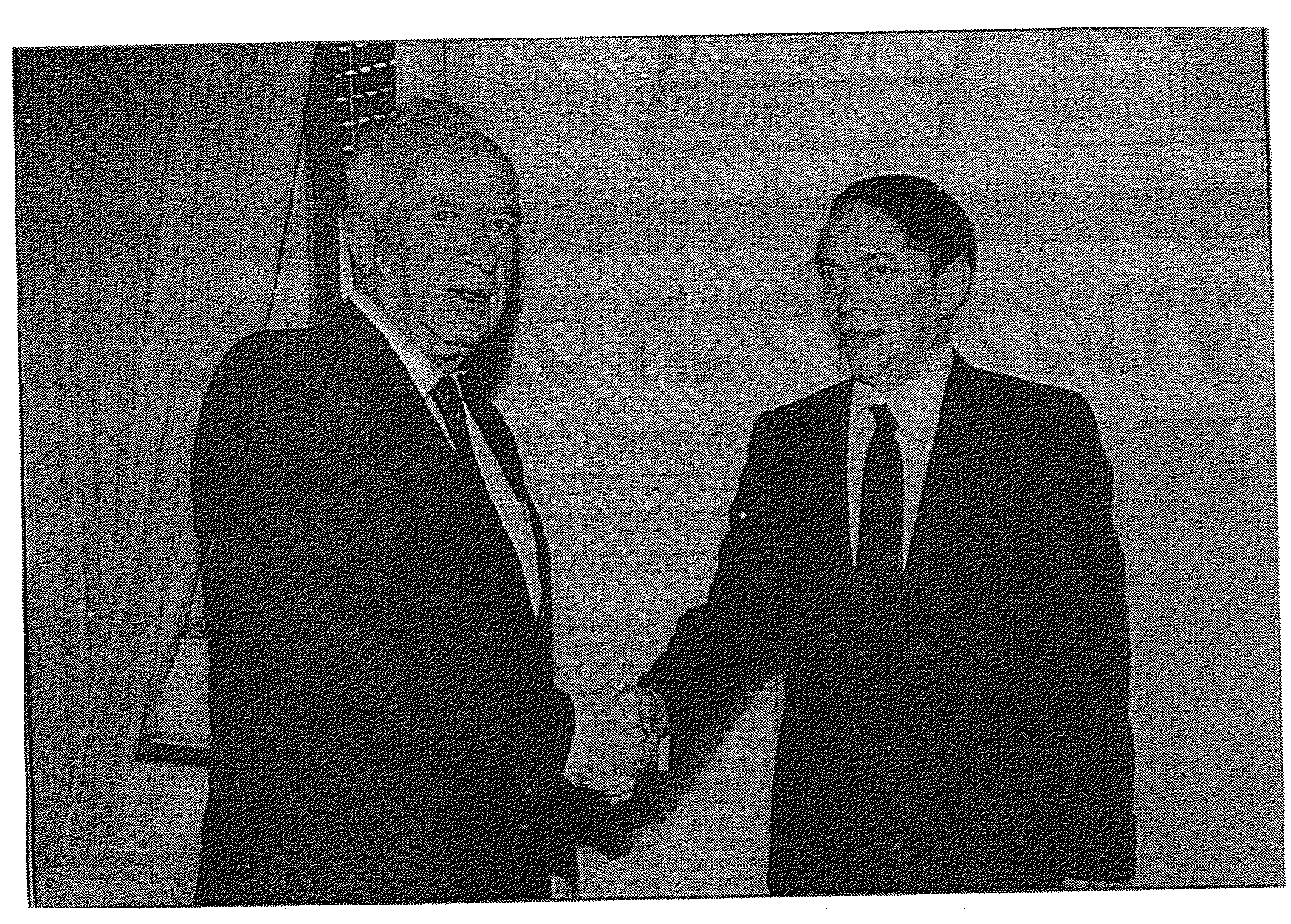
▲ صورة للرئيس الأسبق مبارك والدكتور عصمت عبدالمجيد والدكتور بطرس غالي والدكتور أسامة الباز أعضاء الوفد المصري أثناء رئاسة مصر لإحدى القمم الإفريقية في الثمانينيات.



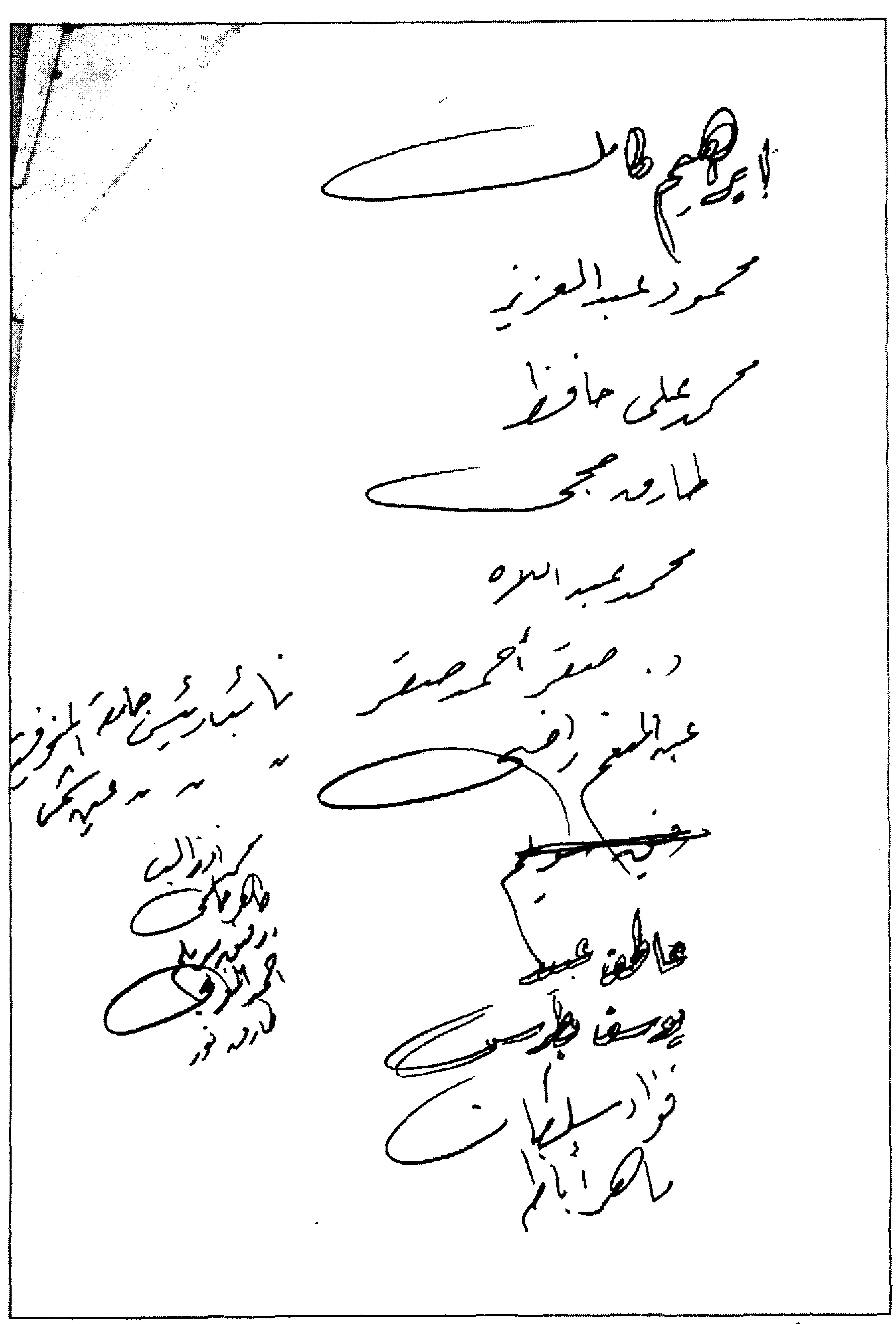
▲ الدكتور أسامة الباز في إحدى لقاءاته العربية ويبدو فيها أنها تمت في «الدوحة» بقطر في منتصف التسعينيات حيث يظهر في الصورة مع الأمير تميم والشيخ حمد بن جاسم نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية القطري.



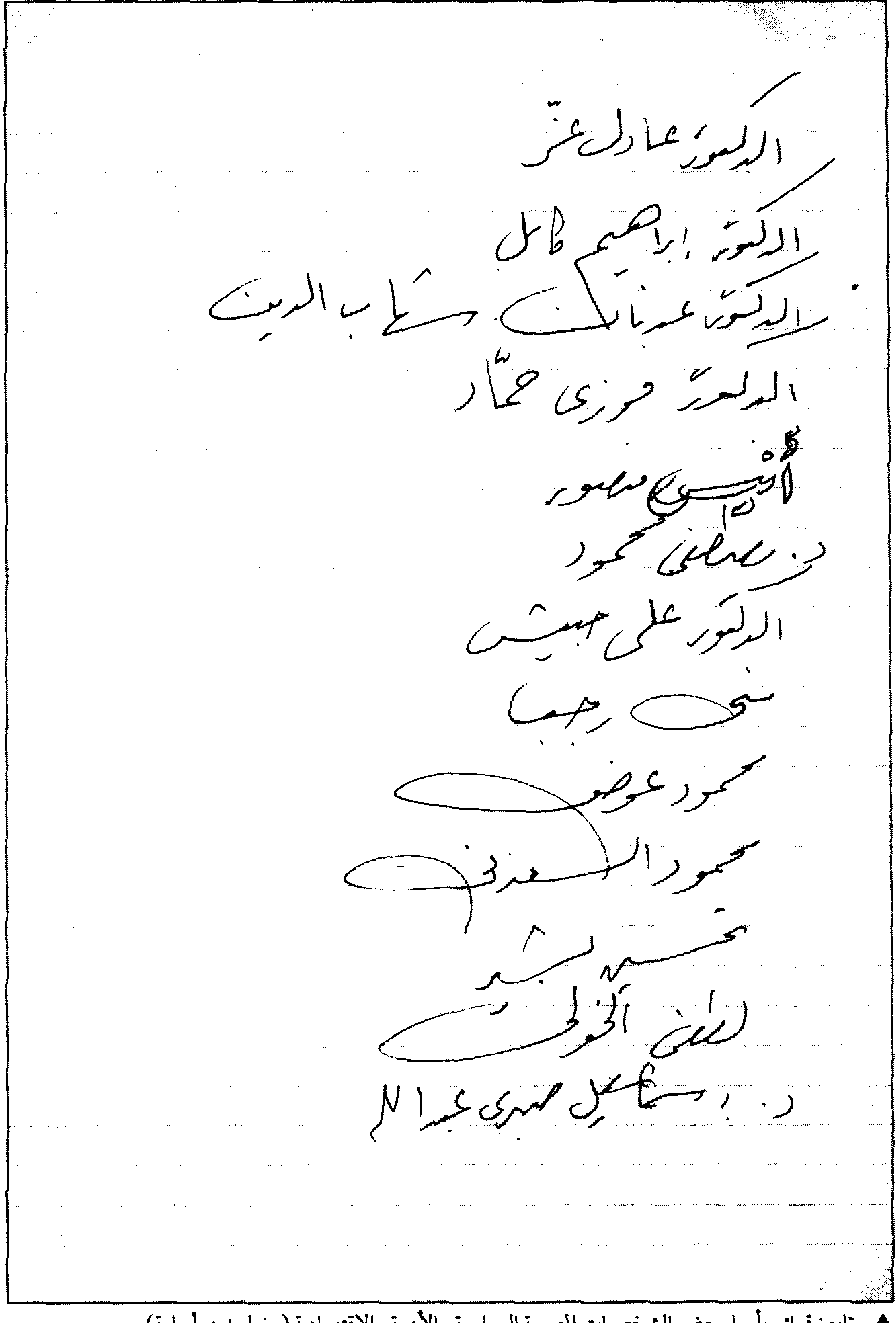
▲ صورة للدكتور أسامة الباز في إحدى ندوات التجمع الدستوري الديمقراطي في تونس عام 1989م.



▲ رئيس الوزراء إسحق رابين يستقبل د. أسامة الباز.. دافار 23/ 4/ 1993م



▲ قوائم بأسماء بعض الشخصيات المصرية التي وجدت ضمن أوراق المرحوم أسامة الباز ـ وقد تكرر وجود مثل هذه القوائم في أوراقه على فترات متباعدة دون أن يسجل عليها التاريخ أو الغرض من القائمة.



الدكتور عادل عز

الدكتور إبراهيم كامل

الدكتور [illegible] شهاب الدين

الدكتور فوزي حماد

أنيس منصور

د. [illegible] محمود

الدكتور علي حبيش

منى رجب

محمود عوض

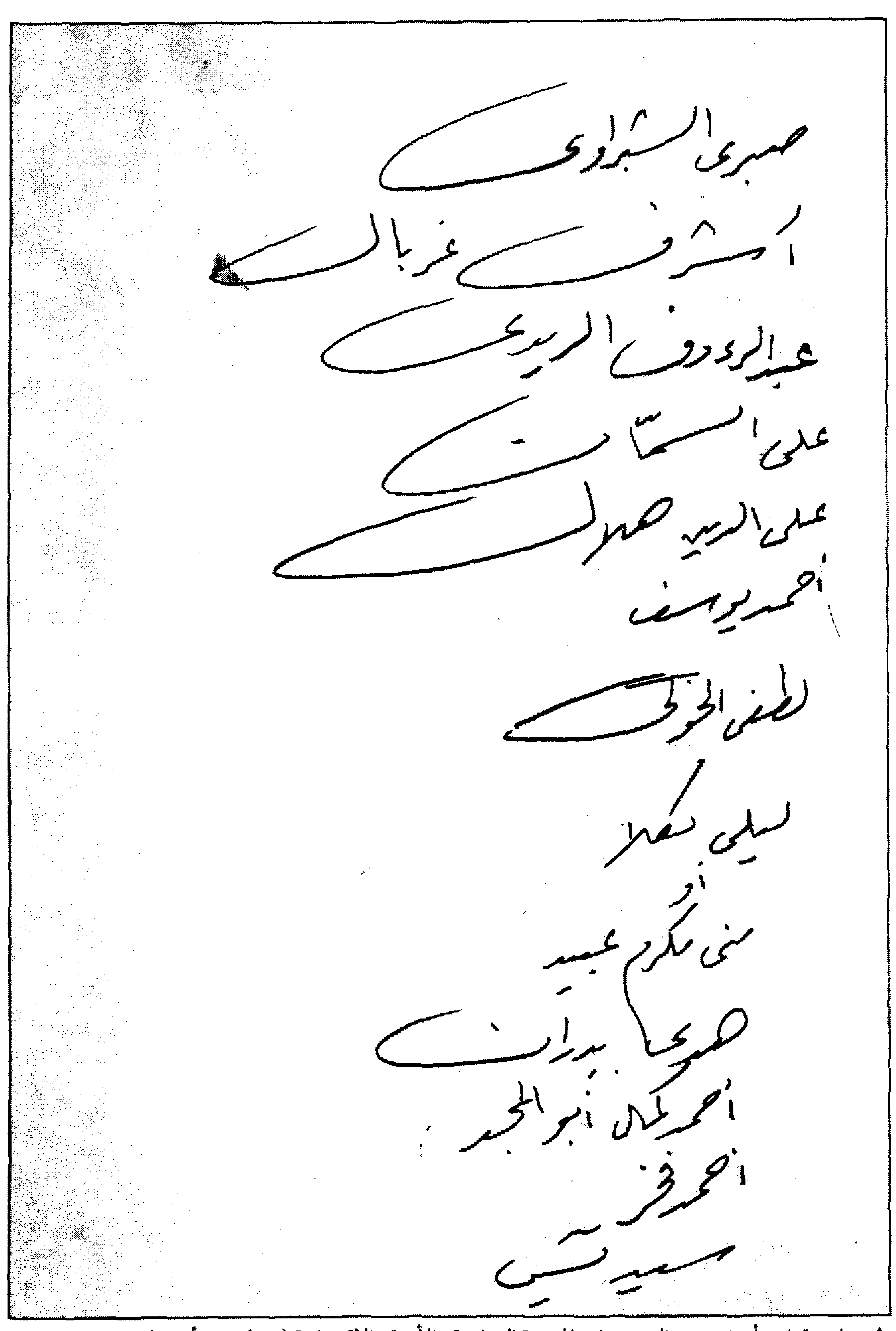
محمود السعدني

[illegible]

لطفي الخولي

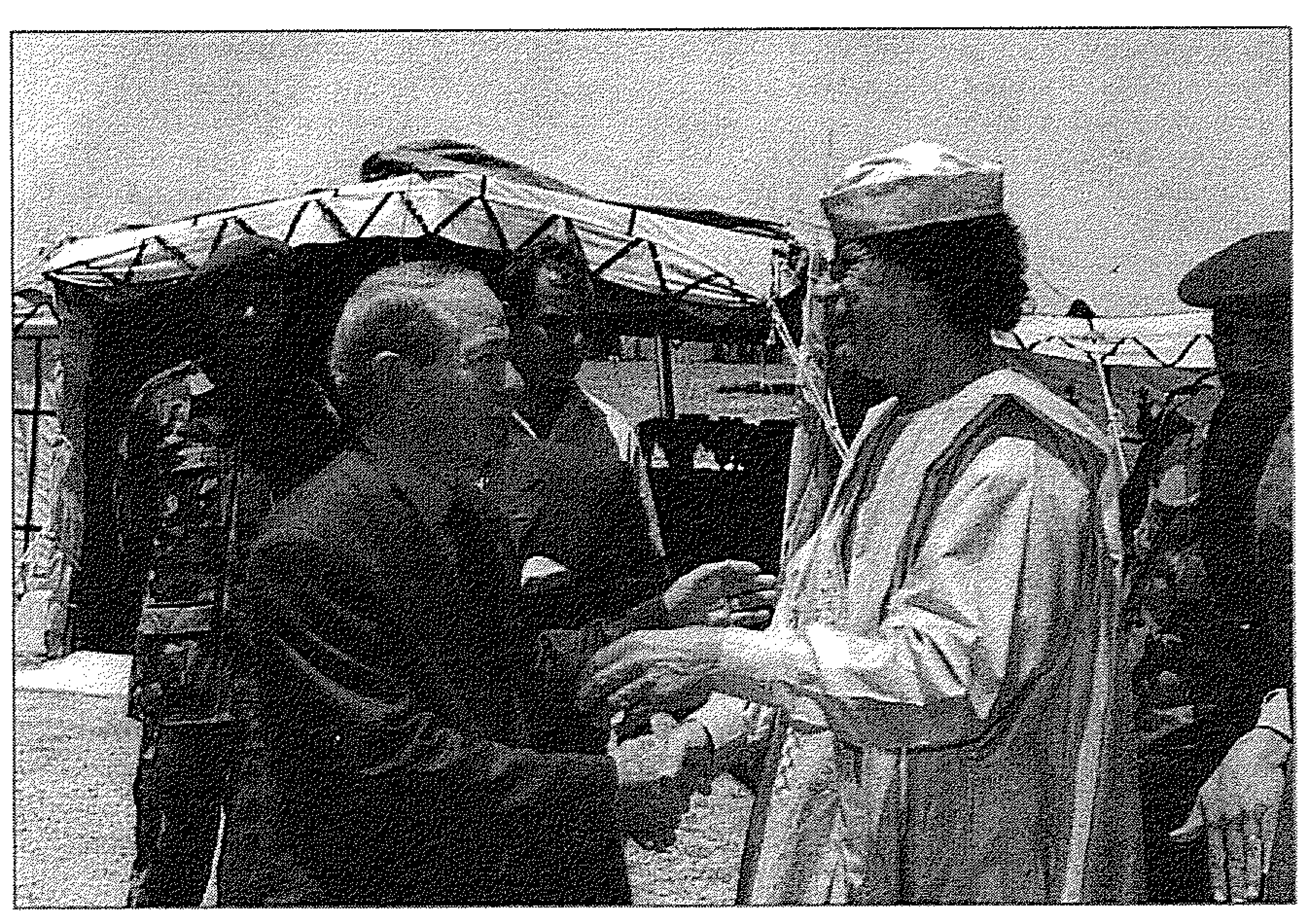
د. إسماعيل صبري عبد الله

▲ تابع: قوائم بأسماء بعض الشخصيات المصرية السياسية والأدبية والاقتصادية (بخط يد د. أسامة).

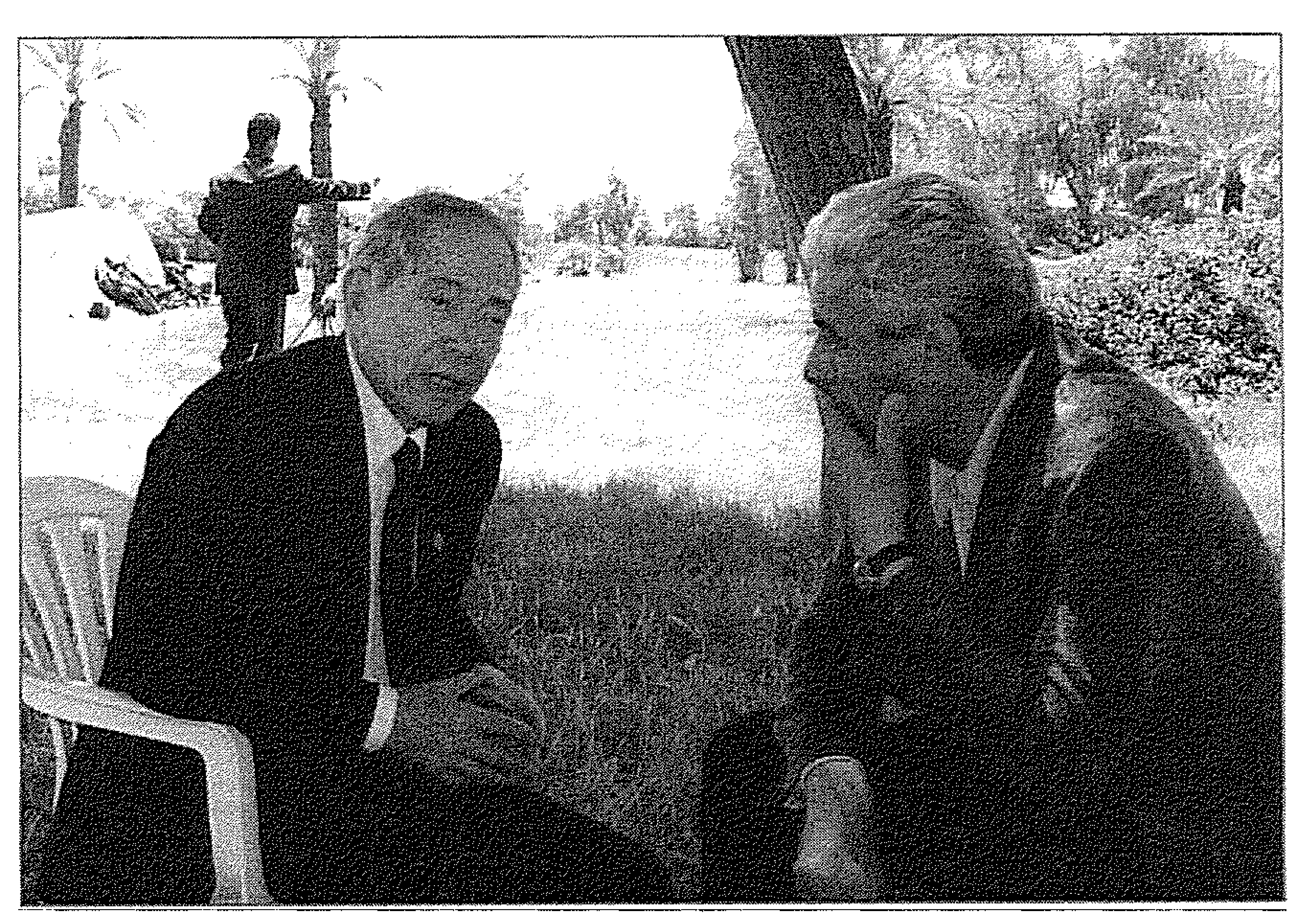


صبري الشبراوي
أشرف غربال
عبد الرؤوف الريدي
علي السمان
علي الدين هلال
أحمد يوسف
لطفي الخولي
ليلى تكلا
أو
منى مكرم عبيد
[illegible] بدران
أحمد كمال أبو المجد
أحمد فخر
سعيد [illegible]

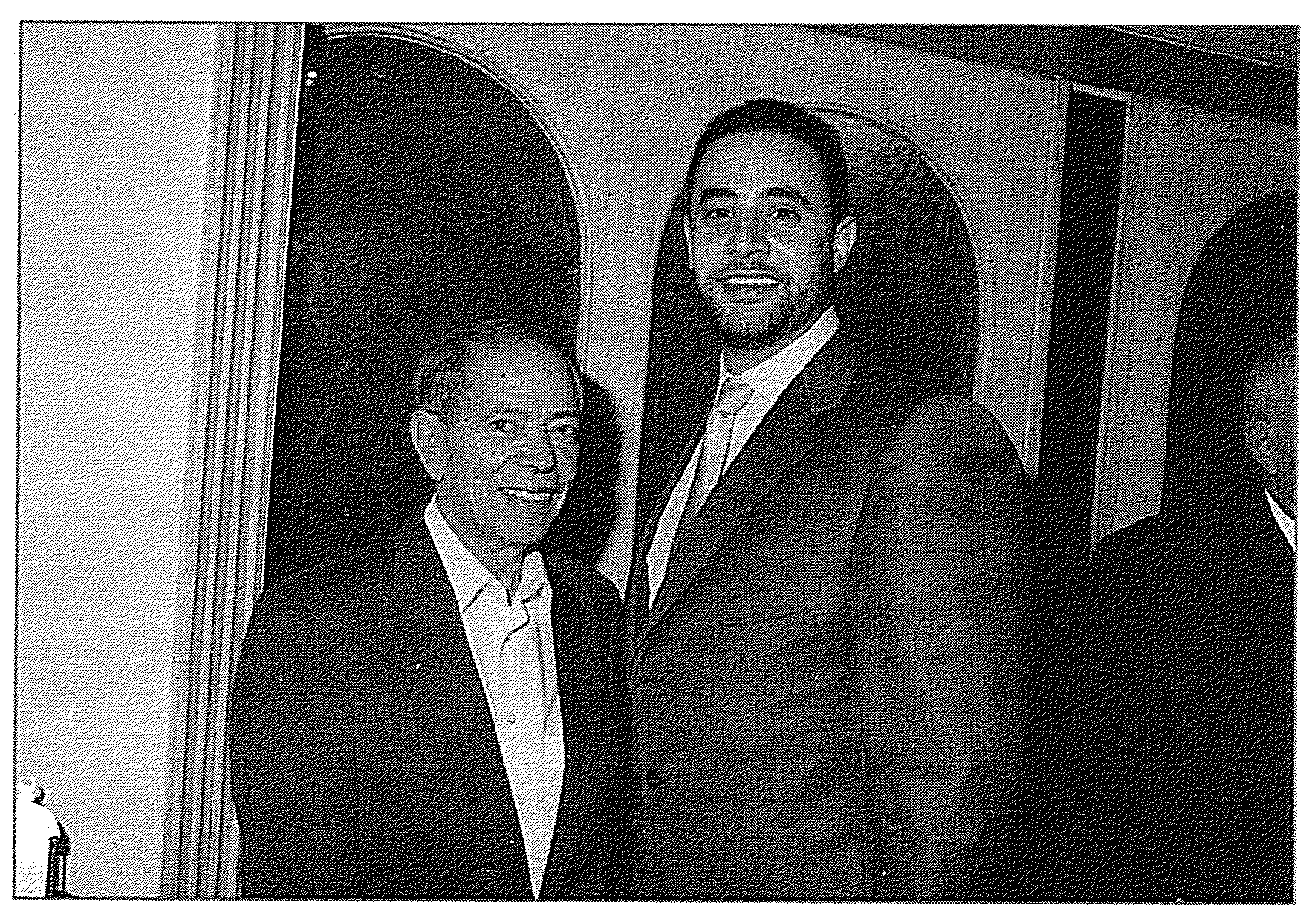
▲ تابع: قوائم بأسماء بعض الشخصيات المصرية السياسية والأدبية والاقتصادية (بخط يد د. أسامة).



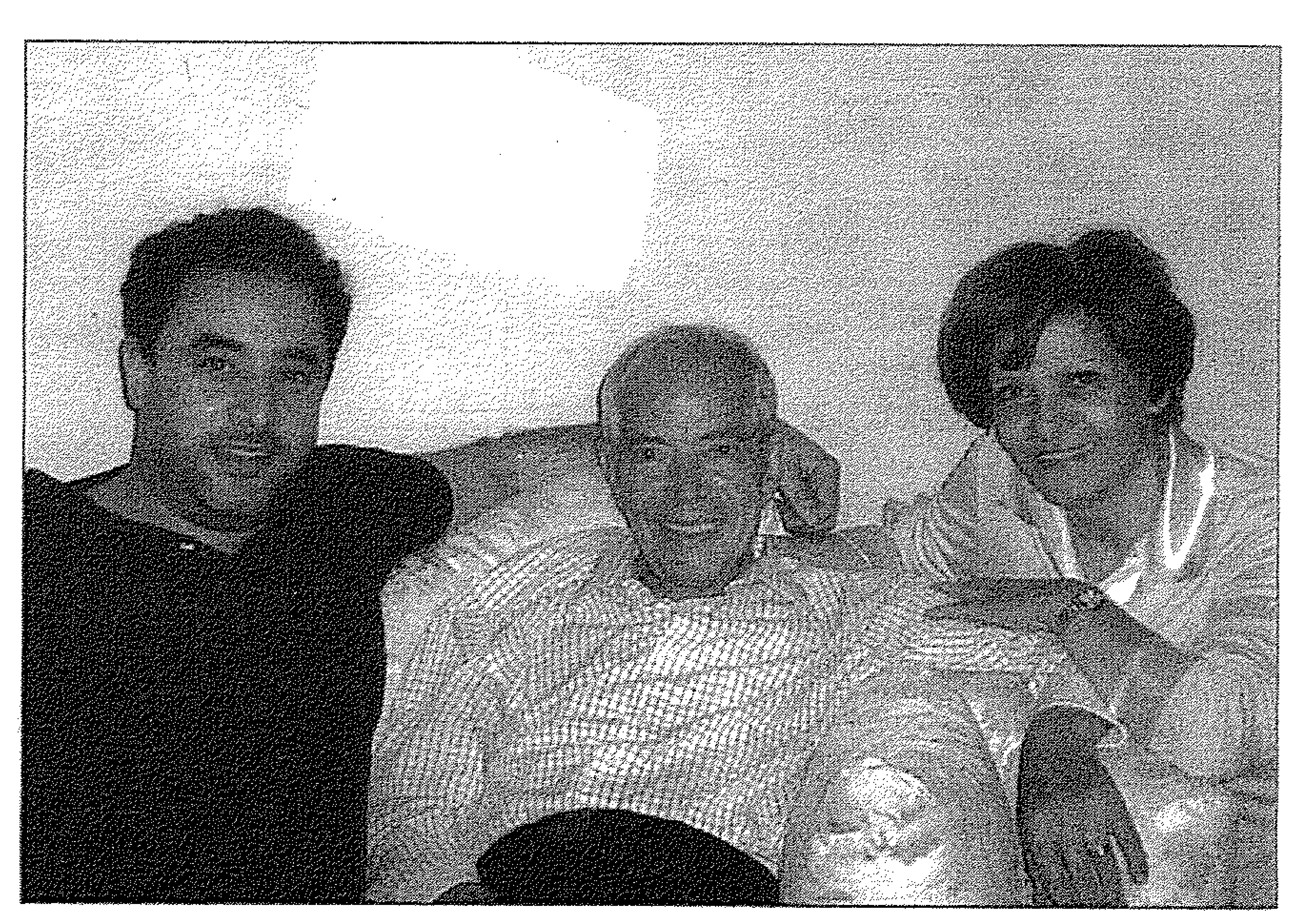
▲ صورة للعقيد معمر القذافي أثناء استقباله للدكتور أسامة في إحدى زيارات الأخير إلى ليبيا عام 2003م.



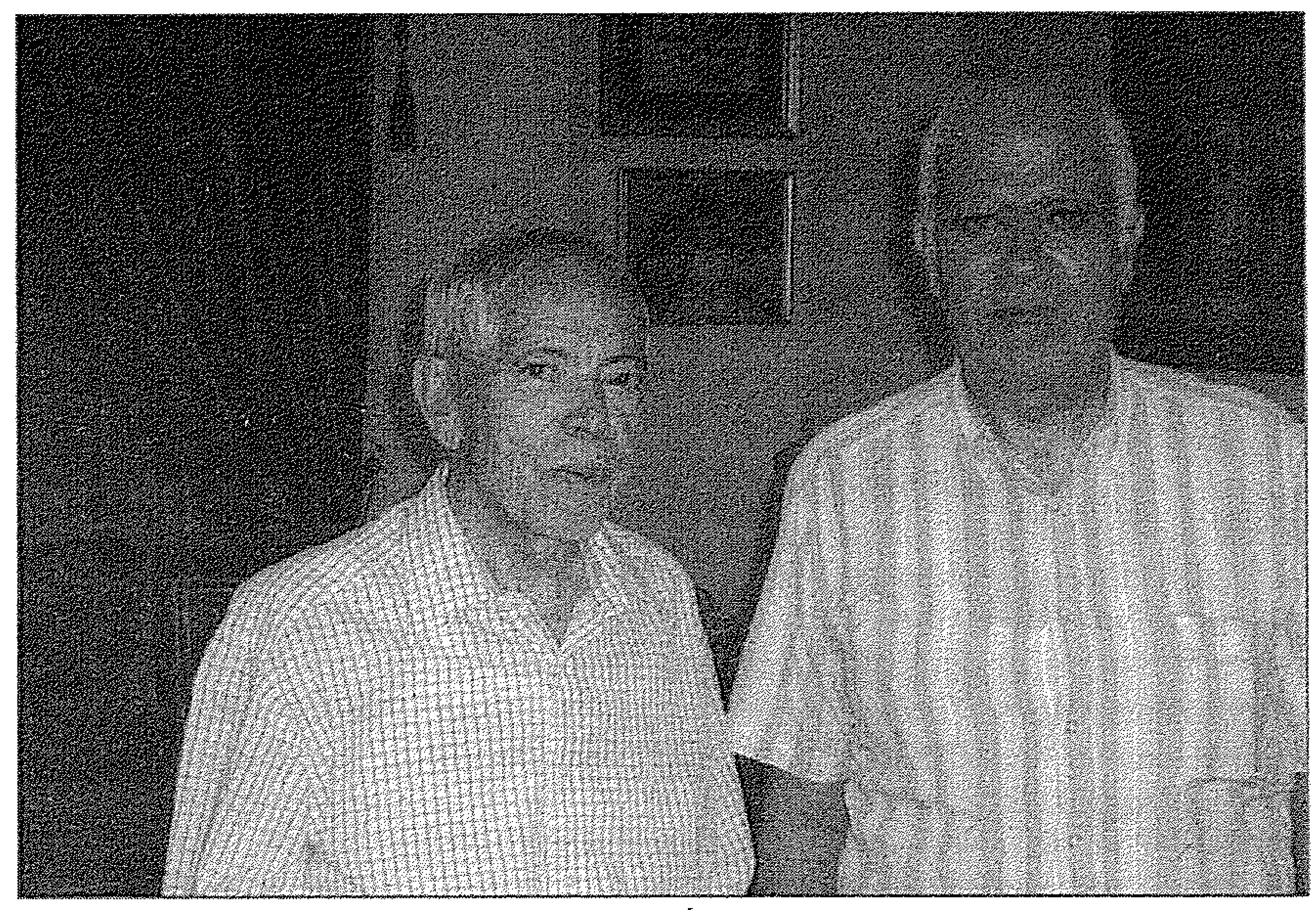
▲ صورة لقاء جانبي بين الدكتور الباز والسيد موسى كوسة رئيس جهاز الأمن الخارجي بالجماهيرية الليبية ـ على هامش إحدى زيارات الرئيس الأسبق مبارك إلى طرابلس عام 2003م.



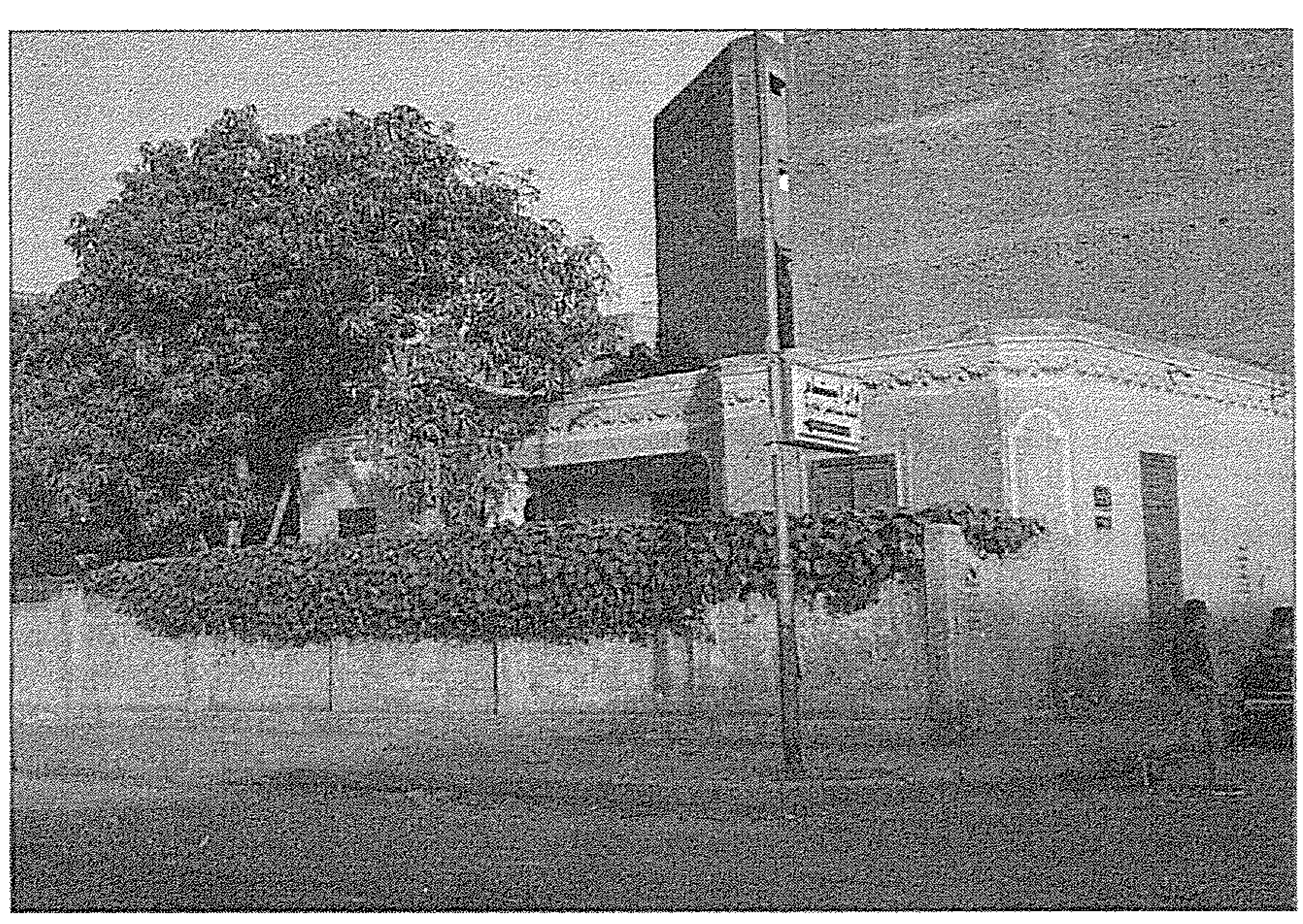
▲ صورة للدكتور أسامة مع نجله باسل الباز عام 2006م.



▲ صورة للدكتور أسامة مع نجله باسل وشقيقته الصغرى د. صفاء.



▲ صورة تجمع المؤلف هاني خلاف مع صهره الدكتور أسامة الباز عام 2012م.



▲ صورة لمنزل الأسرة في 56 شارع المحطة ـ بحمامات القبة ـ القاهرة، قبل إعادته لمالكه بعد وفاة د. أسامة.



الأربعاء ٢/٨/٢٠٠٦

عودة الروح
وعلى الباغي تدور الدوائر

شهدت الأسابيع الأخيرة أحداثاً متلاحقة مفاجئة ظن البعض - ومنهم حكومة إسرائيل - أنها سوف تتيح لهم أن يأخذوا زمام المفاجأة، بحيث يعثون في الأرض فساداً دون حسيب أو رقيب، وأن العنصر الحاسم إن لم يكن الوحيد هو قدرتهم على استخدام القوة المسلحة - على الأرض وفي الجو والبحر - دون مقاومة أو تصد - بحيث تستطيع هذه الدولة الصغيرة أن تفرض على الأمة العربية - بل على العالم - أمراً واقعاً في كل فترة زمنية - لا تدخل في تحديدها سوى قدرة إسرائيل على استخدام السلاح الذي ينهال عليها من مصادر معينة بلا ضابط أو معيار موضوعي ودون قيد سوى المدى الذي يمكن أن تبلغه تلك الأسلحة القتالية التي تشكل آخر ما تنتجه الآلة الحربية لحفنة من الدول التي التزمت بدعمها إذا أحسنت أو أساءت على السواء.

بقلم: د. أسامة الباز

وبذلك ظن قادتها أنهم قادرون على أن يفرضوا الأمر الواقع على الأمة العربية، التي ظنوا - عن جهل وغرور - أنها قد أصبحت كياناً أجوف بلا روح أو قدرة، ولم يكن من الممكن أن ينظر مراقب منزه عن الهوى والغرض إلى الموقف دون أن يتروى قليلاً حتى يرى الصورة بموضوعية أو من مختلف أبعادها، وهو يرى إسرائيل - التي استخدمت الحجج والمعاذير التي تبيح لها ألا تتعامل مع الحكومة الفلسطينية الجديدة وتمكنت بالقوة والجبروت من أن تفرض واقعاً مأساوياً على الشعب الفلسطيني، وخاصة في قطاع غزة، ولم تمض أشهر قليلة حتى أخذت تبحث عن ضحية جديدة، أو هدف هش تستطيع أن تصوب إليه زناد بنادقها ومدفعيتها وصواريخها.

وهداها تفكيرها العقيم إلى البحث عن هدف آخر في لبنان الشقيق، التي عرفت عن شعبها الاعتدال والبعد عن الغلو والتطرف والعنف، وظنت أنها تستطيع أن تجعل منه ضحية أخرى وتقدمها على مذبح الجبروت والقوة الغاشمة التي لا يحدها حد، ولا تلتزم فيها بالناموس القانوني الذي تعارف عليه المجتمع الدولي في حالة الحرب، وكان طبيعياً - بعد أن وجدت إسرائيل دعماً سياسياً ودبلوماسياً وعملياً دون أي قيد - أن تنتقل من مرحلة إلى أخرى بلا حساب أو رقيب، وأن تخالف ما تعارف عليه المجتمع الدولي من قيود وضوابط تحكم العمليات العسكرية، دون أن تخشى اعتراض المجتمع العربي والدولي، فقد اعتبرت نفسها فوق القانون وخارج نطاق المحاسبة.

ولسنا هنا في حاجة إلى أن ندخل في تفاصيل المجازر والمذابح التي ارتكبتها في لبنان الشقيق، الذي عرف عنه دوماً أنه شعب بعيد عن العدوان والتطرف، محب للحياة وما تتيحه من منافع وفرص في شتى جوانب المعيشة، ويكفي أن نشير إلى الفظائع التي ارتكبتها في يوم واحد مثل مجزرة مروحين التي أودت بأرواح ١٩ مواطناً في ساعات معدودة ثم مجازر أخرى يوم ١٩ يوليو ٢٠٠٦ في صور نتجت عنها عمليات إزهاق أرواح بلغت ٢٧ قتيلاً في ليلة واحدة إضافة إلى ٢٠ جريحاً، وهدم أكثر من عشرة منازل، إضافة إلى مبنى البقاع الغربي، ثم مجزرة "معروب" في البقاع الغربي، ومجزرة النبطية الأولى والمجازر العديدة التي تعرضت لها عيترون وبنت جبيل وصور مرات أخرى متعددة كما لو كانت قد أصبحت ساحة يومية لسفك الدماء وإزهاق الأرواح ثم إنها استخدمت في هذه المذابح وغيرها كافة الوسائل الحربية المتاحة المشروع منها وغير المشروع من طائرات وسفن حربية وصواريخ وأخذت تستهدف المدنيين قبل المسلحين، لكي تلقي الرعب في القلوب، وتشعر جميع أفراد الشعب اللبناني بأنهم ليسوا بمنأى عن آلتها العسكرية الجبارة.

ويبدو أن الحكومة الإسرائيلية التي ارتكبت هذه الجرائم النكراء الغاشمة التي لم تستثن منها ملاجئ الأطفال والمدارس والمستشفيات، بصورة لم تدع مجالاً للشك في أنها تعاقب الشعب اللبناني كله وليس حزب الله وحده خاصة وقد وقفت جميع القيادات - المسيحية قبل الإسلامية - في صف حزب الله الذي كان يحمل لواء الدفاع الجماعي للنظم، وإن كان الأفراد العاديون من اللبنانيين قد انخرطوا في لواء المقاومة بصورة أكسبت هذا الشعب احترام العالم وتقديره.

وأغرت الهجمات الأولى إسرائيل، التي تخطى بلا رقيب أو حسيب، بتدمير البنية التحتية الأساسية في كثير من المواقع دون أدنى اعتبار للخدمات التي تقدمها والفئات المستفيدة منها، حتى تلك المخصصة للأطفال والمعاقين، كما لو كانت تريد أن تثبت أن في مقدورها أن تعاقب الشعب اللبناني بكل فئاته وفعالياته، سياسية كانت أم حزبية، وأن تحمله على قبول هذا المصير المهين.

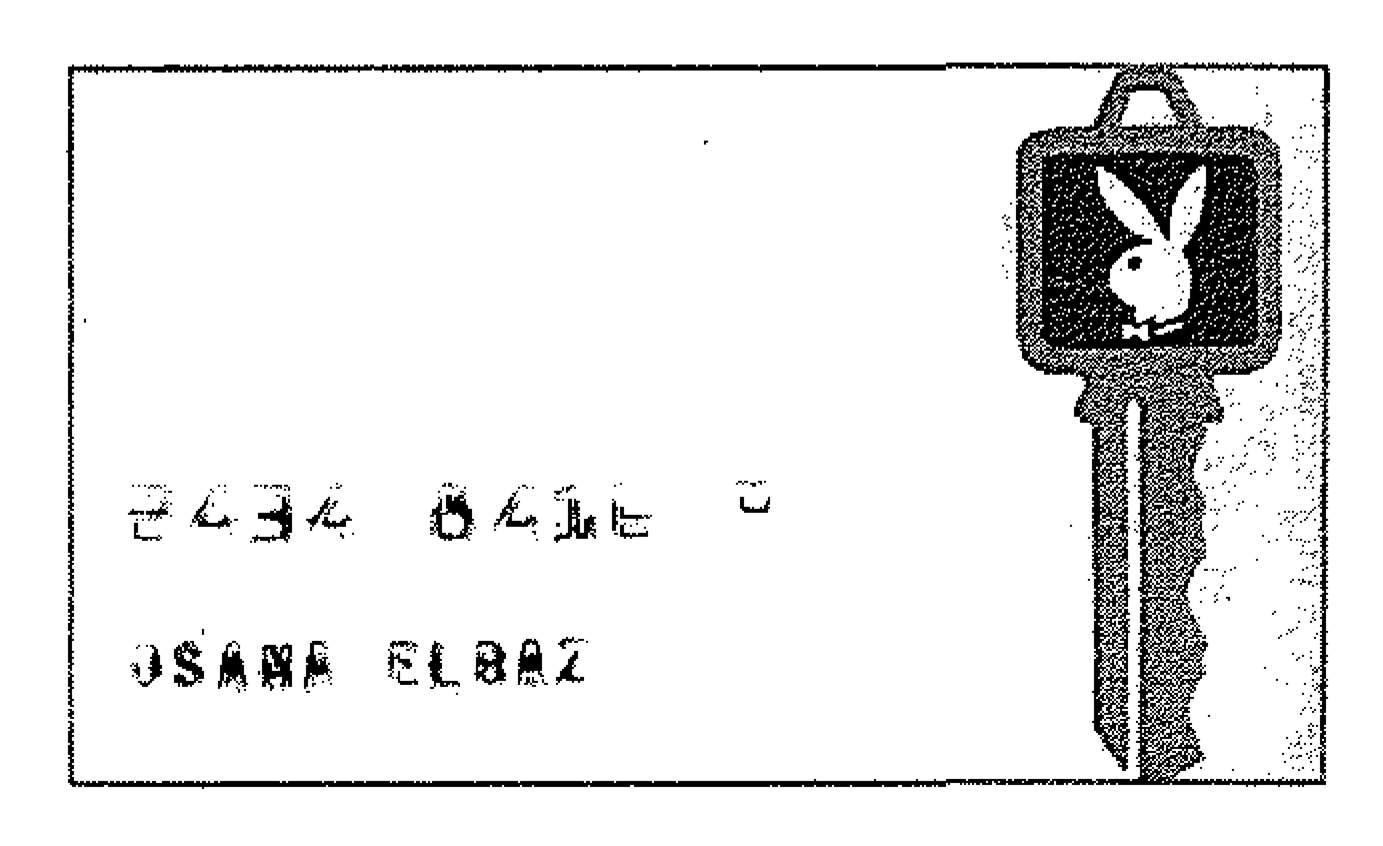
وبقدر صلابة المقاومة وثبات عزيمتها، كان التصعيد في الأساليب التي استخدمتها إسرائيل لكسر إرادة هذا الشعب، وزرع الوقيعة بين أبنائه على أسس دينية أو طائفية أو مذهبية، كما لو كانت تقصد تحرير لبنان - شعباً وحكومة - من تسلط فئة صغيرة تقامر بمصلحة هذا الشعب ولا تكترث بمصيره ومعاناته، غير أن هذا الشعب الذي عرف دوماً بأنه مسالم يتعلق بالحياة ولا ينخرط في الحرب إلا إذا فرضت عليه، وأنه شعب مبدع في شتى نواحي الحياة، ولم يعرف عنه أنه شعب يسعى إلى المغامرات العسكرية والعدوان على الغير.

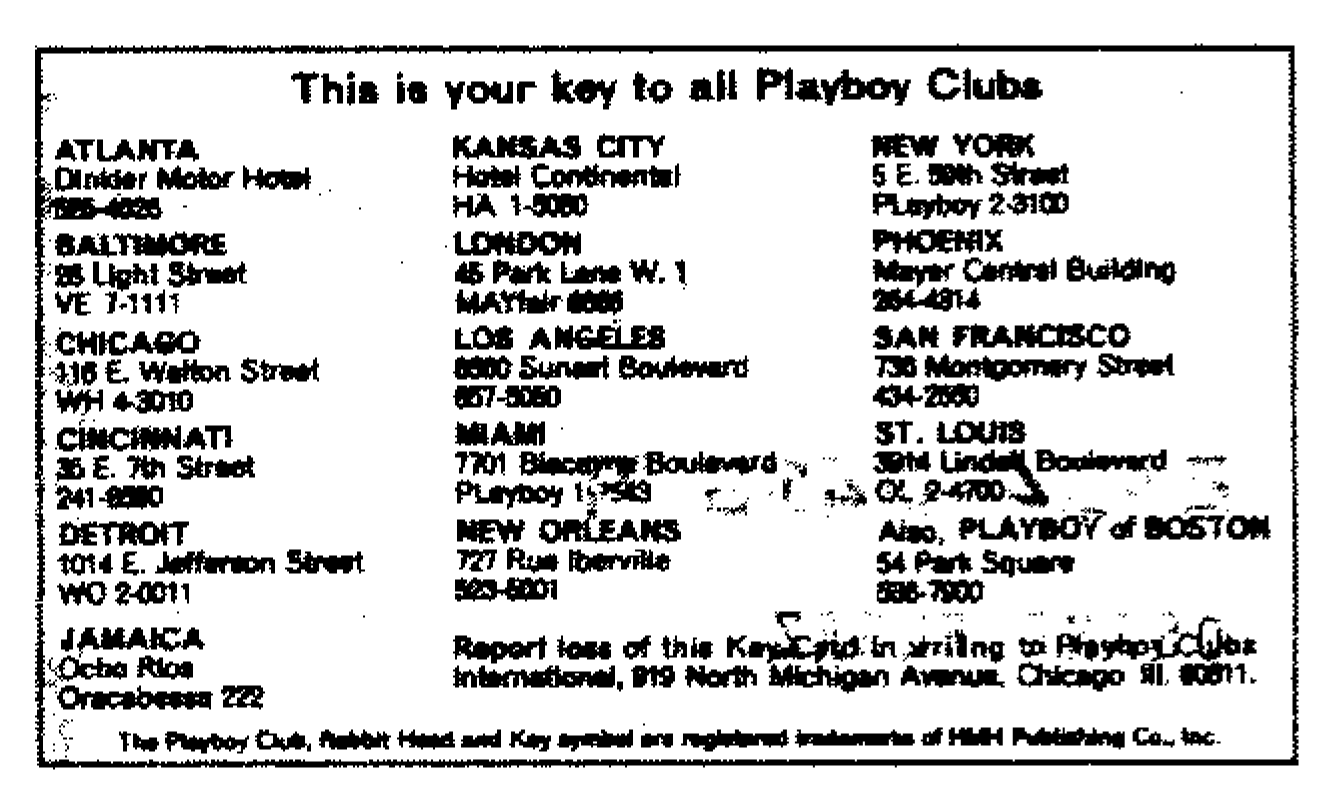
ويبدو أن إسرائيل ارتكبت أخطاء جسيمة في حساباتها للفرص للكسب والخسارة ومدى قدرتها على الاستفادة من تنوع المذهبية والطائفية بين أبناء الشعب، ولذا فقد بدت عاجزة عن فهم سبب التفاف الشعب - بكل طوائفه وأحزابه - وراء أهداف واحدة، ثم إنها أساءت التقدير حين ظنت أن الدعم السياسي الدبلوماسي الأمريكي كفيل بحمايتها من أي تحرك دولي غير موات، لأن مثل هذه الأمور لا تتم اليوم مجاملة لهذه الدولة أو تلك، وإنما تتم وفق حسابات معقدة متعددة، تأخذ بعين الاعتبار قضايا متعددة بالغة التعقيد، ومن هنا فقد أصبحت إسرائيل عاجزة عن صيانة موقفها وتسويقه استناداً إلى دعم دولة أو مجموعة صغيرة من الدول، لأن المجتمع الدولي لا يمكن خداعه واستدراجه إلى مواقف غير موضوعية ولا أخلاقية، وهكذا وجدت إسرائيل نفسها مكشوفة للعالم كله، حتى في دول كانت تعتبرها صديقة وموالية، ولم تدرك أن هذه الاعتبارات يمكن أن تدخل في الحسبان ولكن في غير تلك الأحوال التي يكون الحلال فيها بيناً والحرام بيناً، والتي يسهل فيها التمييز بين الخطأ والصواب، لأن المجتمع الدولي - إذا عجز عن حماية الحق والعدل - يكون قد وضع اللبنة الأولى في انهياره وسقوطه كما حدث لمجتمعات سابقة، استسلمت فيها للقوة قبل العدل، والمصلحة قبل الذاتية، قبل القانون، والحق قبل الضغوط التي تمارس ممن يملكون القوة والقدرة.

ويهمنا في المقام الأول أن نشير إلى الموقف المسئول الذي وقفته مصر قيادة وشعباً، وأثبتت به أنها تؤمن بالسلام القائم على الحق والعدل، وترفض الظلم والاستبداء والمجاملة، وسوف تظل لهذا السبب القوة الفاعلة الحاسمة في تقرير مستقبل المنطقة، والسير بها على طريق السلام والحياة الآمنة ضد نوازع البغي والعدوان.

صلاح الدين حافظ يعتذر عن عدم كتابة مقاله الأسبوعي وسوف يستأنف الكتابة قريبا بإذن الله

▲ مقال بقلم د. أسامة الباز بعنوان «وعلى الباغي تدور الدوائر» منشور بالأهرام في 2/ 8/ 2006م.





This is your key to all Playboy Clubs

ATLANTA
Dinkler Motor Hotel
[illegible]

BALTIMORE
28 Light Street
VE 7-1111

CHICAGO
116 E. Walton Street
WH 4-3010

CINCINNATI
35 E. 7th Street
241-[illegible]

DETROIT
1014 E. Jefferson Street
WO 2-0011

JAMAICA
Ocho Rios
Oracabessa 222

KANSAS CITY
Hotel Continental
HA 1-5080

LONDON
45 Park Lane W. 1
MAYfair [illegible]

LOS ANGELES
8560 Sunset Boulevard
657-5050

MIAMI
7701 Biscayne Boulevard
PLayboy 1-7543

NEW ORLEANS
727 Rue Iberville
523-6001

NEW YORK
5 E. 59th Street
PLayboy 2-3100

PHOENIX
Mayer Central Building
264-4314

SAN FRANCISCO
736 Montgomery Street
434-2550

ST. LOUIS
3914 Lindell Boulevard
OL 2-4700

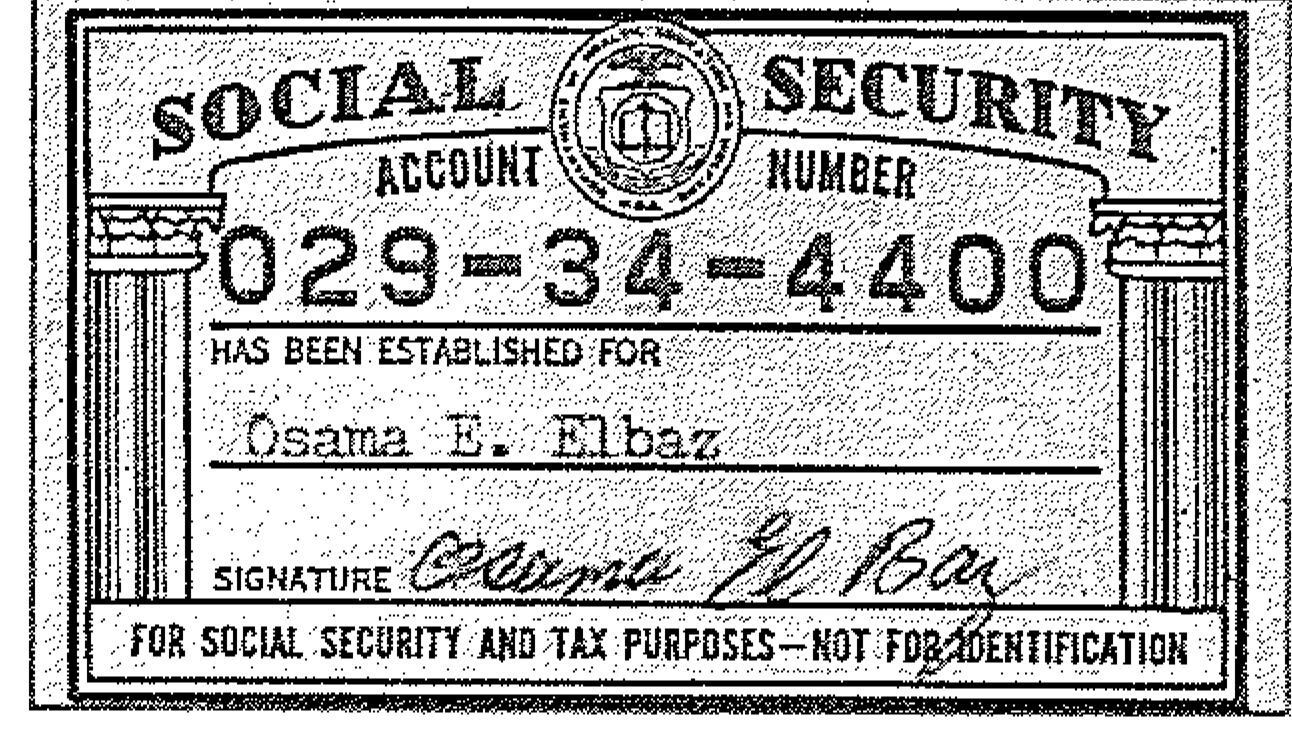
Also, PLAYBOY of BOSTON
54 Park Square
536-7900

Report loss of this Key Card in writing to Playboy Clubs International, 919 North Michigan Avenue, Chicago Ill. 60611.

The Playboy Club, Rabbit Head and Key symbol are registered trademarks of HMH Publishing Co., Inc.

IDENTIFICATION

MY NAME IS OSAMA ELBAZ
STREET NO. 56 B BOYLSTON ST.
CITY AND STATE CAMBRIDGE, MASS.
IN CASE OF ACCIDENT OR SERIOUS ILLNESS NOTIFY
M. EGYPTIAN EMBASSY, WASH.
ADDRESS 2310 DECATUR PL. WASH, D.C.
SOCIAL SECURITY NO. 029-34-4400



SOCIAL SECURITY
ACCOUNT NUMBER
029-34-4400
HAS BEEN ESTABLISHED FOR
Osama E. Elbaz
SIGNATURE Osama El Baz
FOR SOCIAL SECURITY AND TAX PURPOSES—NOT FOR IDENTIFICATION

Form OA-702 Rev. (9-61)

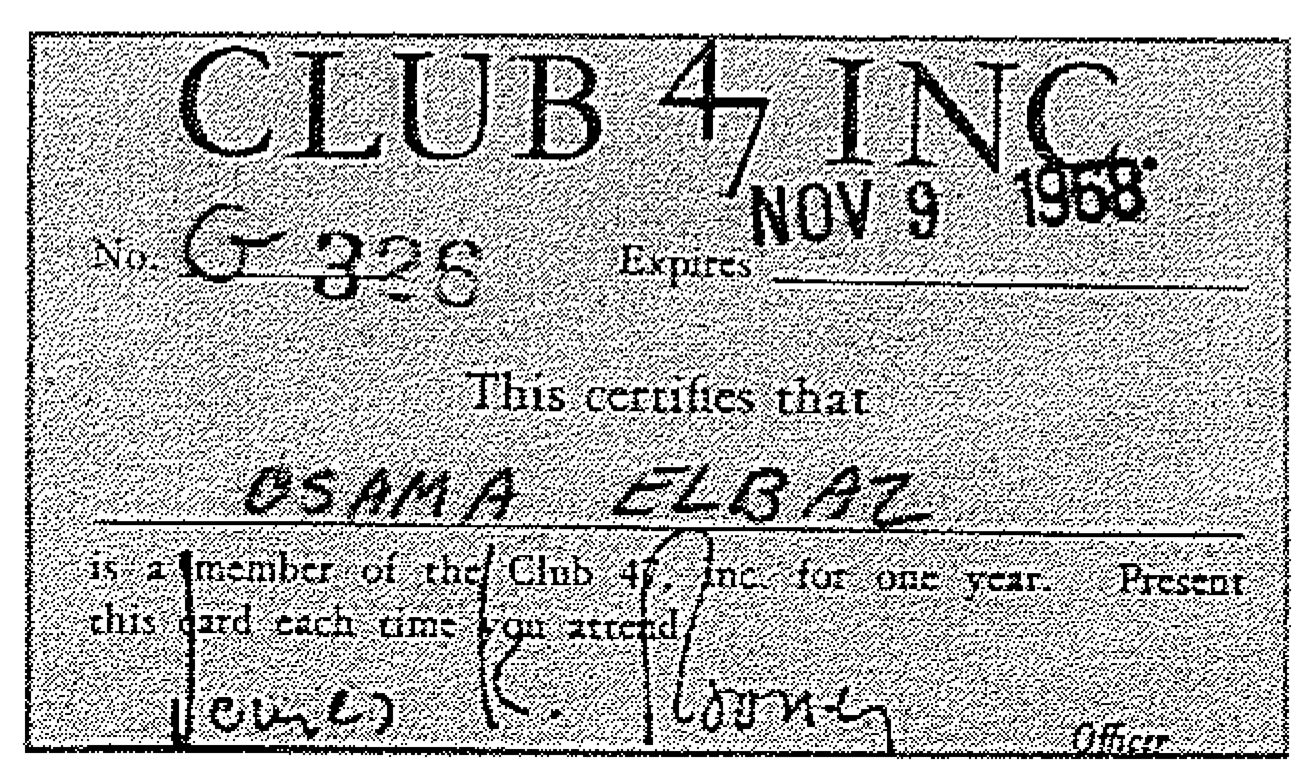
KEEP this card. SIGN it immediately. SHOW it to your employer. Mention the number in all letters about your account. If you lose this card apply for a duplicate, not a new number.

Once a year you can get a statement of wages credited to your account. Get a form for this purpose from any Social Security Administration District Office.

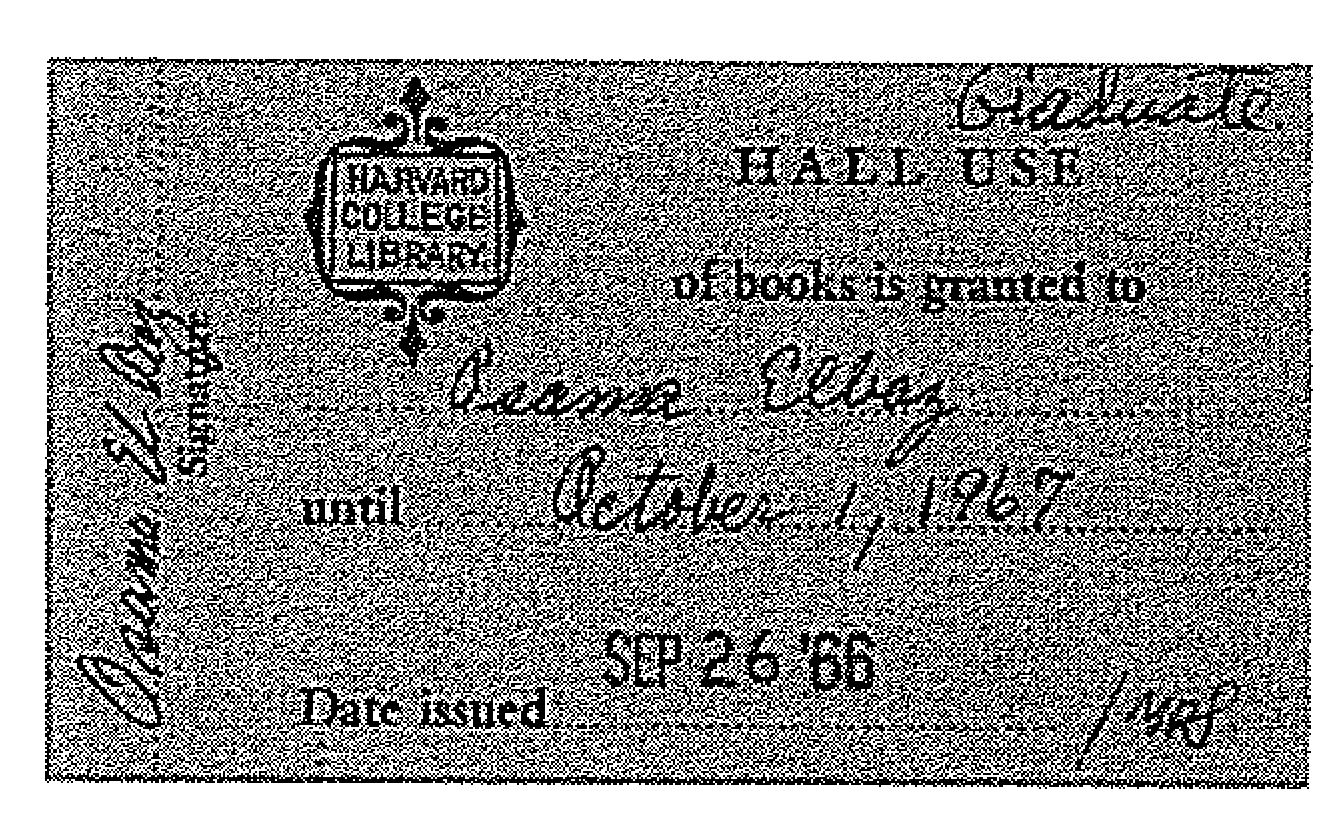
If you change your name notify the nearest Social Security Administration District Office immediately.

TELL YOUR FAMILY TO NOTIFY THE NEAREST SOCIAL SECURITY OFFICE IN THE EVENT OF YOUR DEATH. IT IS ADVISABLE TO GET IN TOUCH WITH A SOCIAL SECURITY OFFICE WHEN YOU REACH RETIREMENT AGE OR IF YOU BECOME SEVERELY DISABLED.

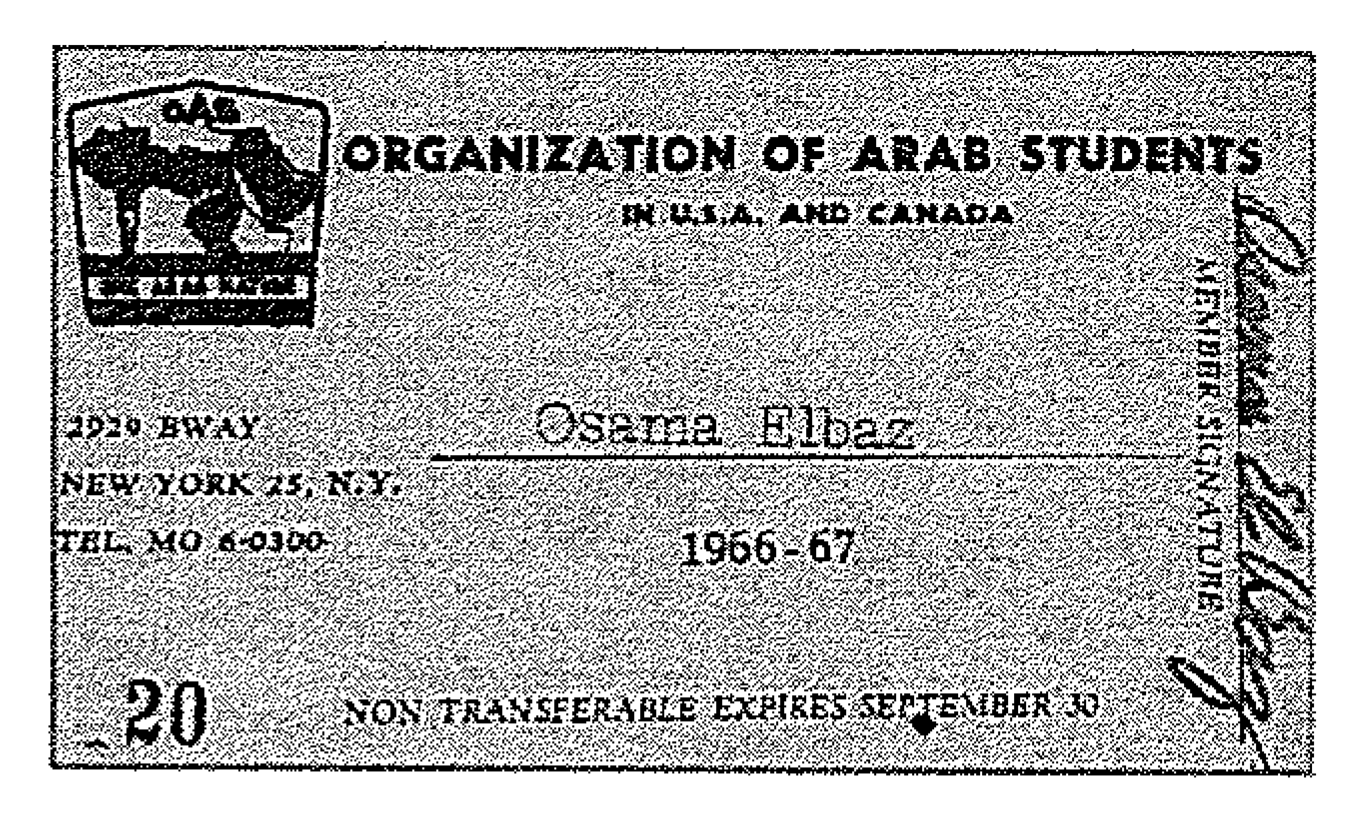
DEPARTMENT OF HEALTH, EDUCATION, AND WELFARE
SOCIAL SECURITY ADMINISTRATION



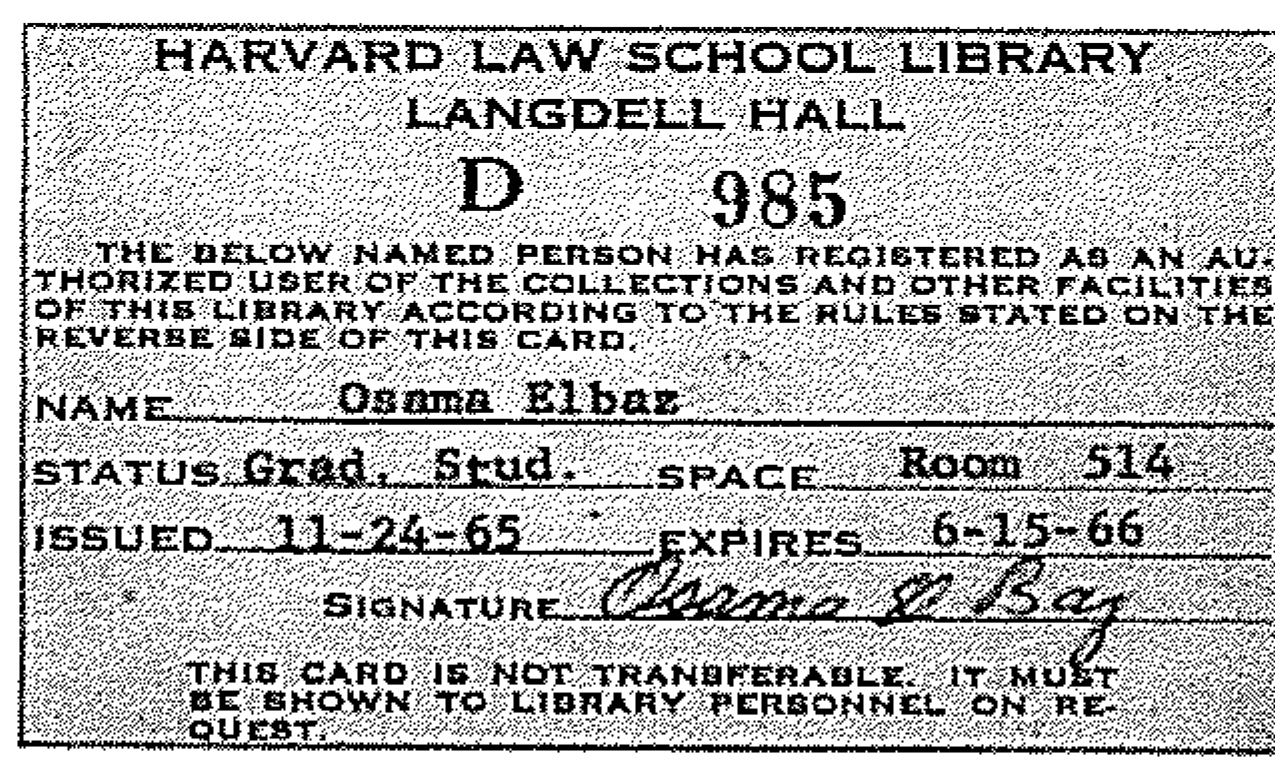
CLUB 47 INC.
No. G 326 Expires NOV 9 1968
This certifies that
OSAMA ELBAZ
is a member of the Club 47, Inc. for one year. Present this card each time you attend.
Officer



HARVARD COLLEGE LIBRARY
Graduate
HALL USE
of books is granted to
Osama Elbaz
until October 1, 1967
Date issued SEP 26 '66
Signature Osama El Baz



ORGANIZATION OF ARAB STUDENTS
IN U.S.A. AND CANADA
2929 BWAY
NEW YORK 25, N.Y.
TEL. MO 6-0300
Osama Elbaz
1966-67
20
NON TRANSFERABLE EXPIRES SEPTEMBER 30
MEMBER SIGNATURE



HARVARD LAW SCHOOL LIBRARY
LANGDELL HALL
D 985
THE BELOW NAMED PERSON HAS REGISTERED AS AN AUTHORIZED USER OF THE COLLECTIONS AND OTHER FACILITIES OF THIS LIBRARY ACCORDING TO THE RULES STATED ON THE REVERSE SIDE OF THIS CARD.
NAME Osama Elbaz
STATUS Grad. Stud. SPACE Room 514
ISSUED 11-24-65 EXPIRES 6-15-66
SIGNATURE Osama El Baz
THIS CARD IS NOT TRANSFERABLE. IT MUST BE SHOWN TO LIBRARY PERSONNEL ON REQUEST.

1. THIS LIBRARY PRIVILEGE CARD DOES NOT ENTITLE THE HOLDER TO BE IN LIBRARY AREAS BEYOND THE REGULAR LIBRARY HOURS.
2. RESERVE BOOKS AND BOOKS IN THE READING ROOMS ARE NOT TO BE TAKEN FROM THE READING ROOMS.
3. BOOKS IN THE STACK ROOMS MAY BE USED IN THOSE AREAS OR AT ASSIGNED SPACES BUT ARE NOT TO BE TAKEN OUT OF THE LIBRARY.
4. ALL BOOKS IN USE MUST BE PROPERLY CHARGED AT THE CIRCULATION DESKS.
5. THE MARKING AND MUTILATING OF BOOKS IS PROHIBITED.

EARL C. BORGESON
LIBRARIAN

▲ صور من مجموعة كارنيهات خاصة بالمرحوم الدكتور أسامة الباز.

HARVARD TRUST COMPANY
Main Office: Harvard Square, Cambridge, Mass.

CAMBRIDGE	BELMONT
Harvard Square	Belmont Center
Central Square	Cushing Square
Kendall Square	Waverley
Porter Square	**CONCORD**
West Cambridge	Concord Center
ARLINGTON	**LITTLETON**
Arlington Center	Littleton Common

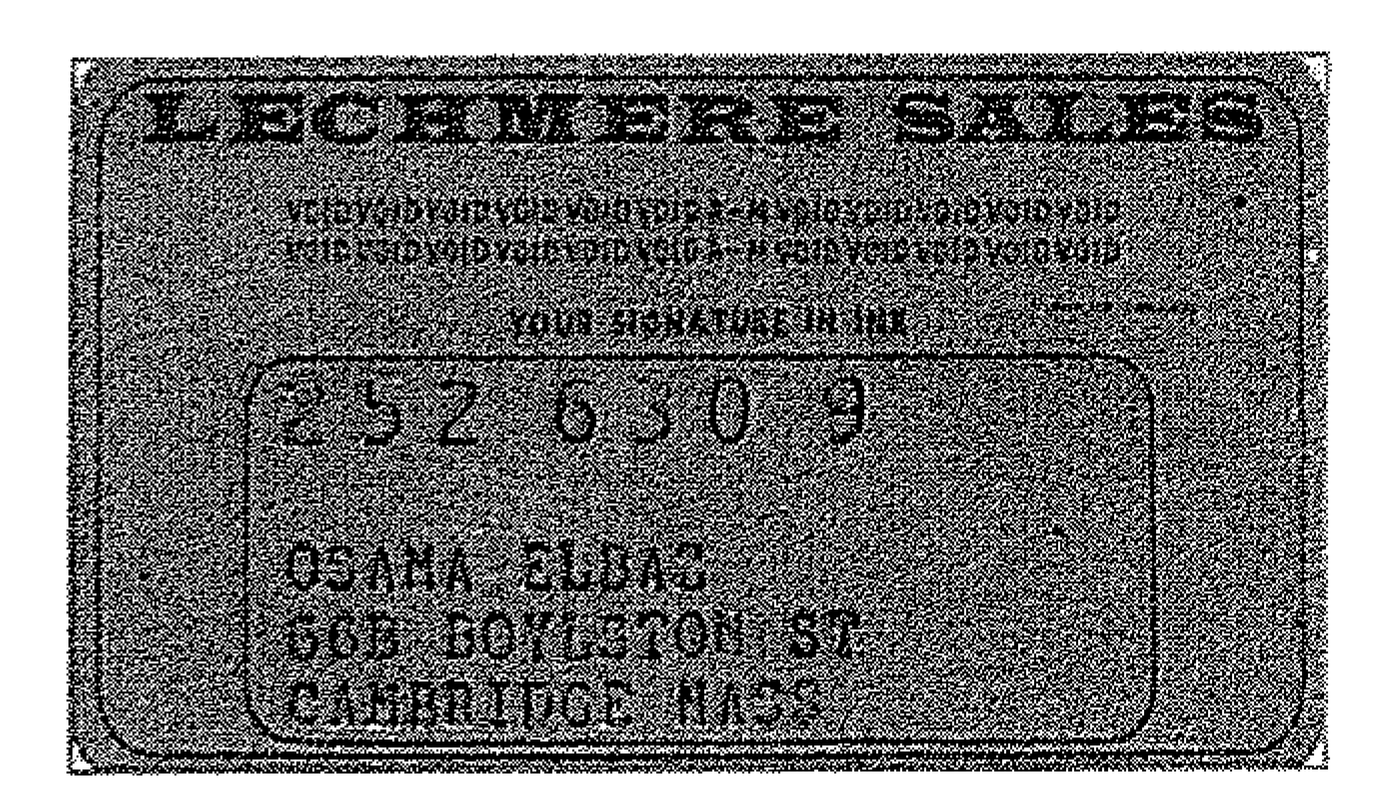
HARVARD TRUST COMPANY

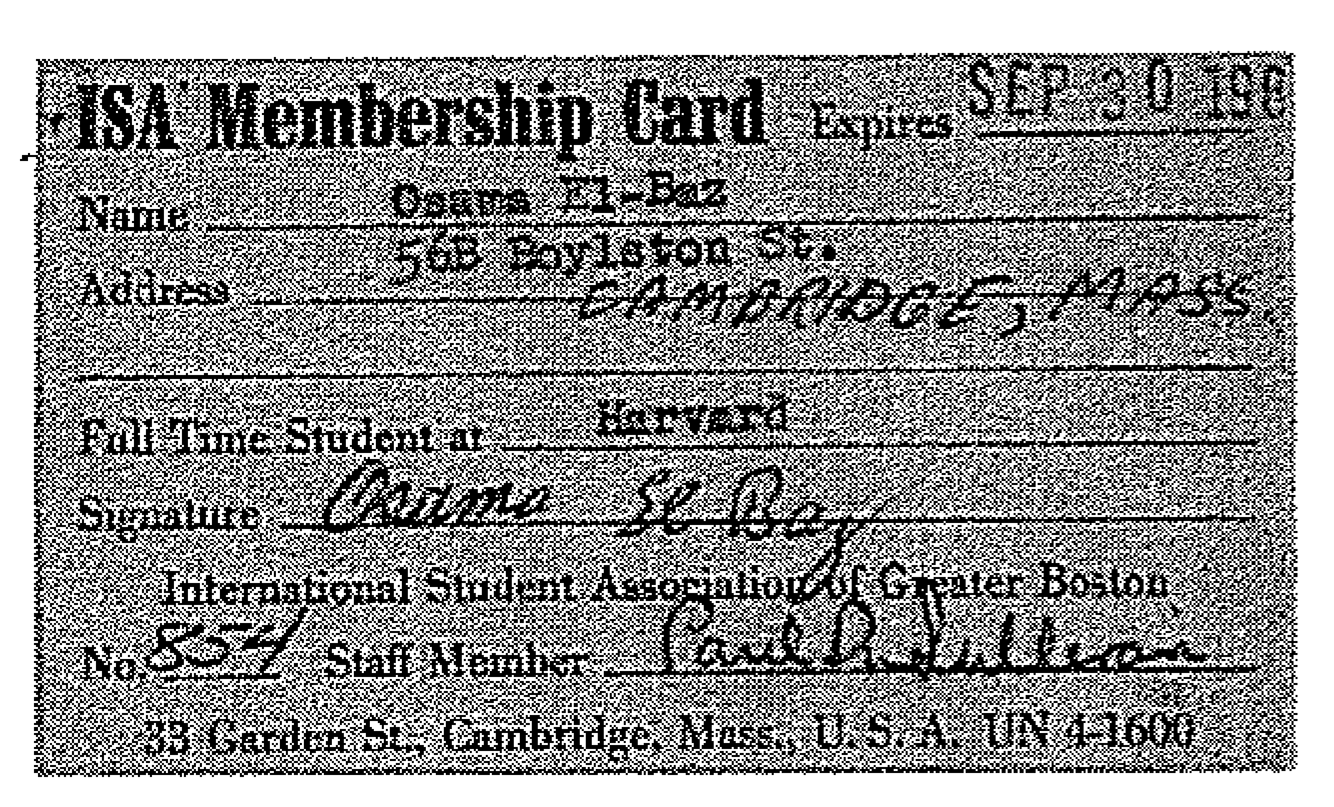
ACCOUNT NUMBER: 759-86-20-8

Osama ElBaz



Deposit tickets and checks should always be identified by your account number







▲ تابع: صور من مجموعة كارنيهات خاصة بالمرحوم الدكتور أسامة الباز.

والدة «الإسلامبولي» من على كرسي متحرك بالميدان: «ارحل يا مبارك»

أسامة الباز يظهر بعد غياب وسط متظاهري «التحرير» ويقول: «طول عمري موجود وسط الناس»

كتب: محمد عبدالقادر ومحمد طه ومحمد طلعت داوود ومحمد غريب:

بعد طول غياب عن الساحة السياسية والأحداث العامة، ظهر أمس الدكتور أسامة الباز، المستشار السياسي لرئيس الجمهورية، وكانت المفاجأة أن هذا الظهور كان في ميدان التحرير حيث يرابط المتظاهرون المناهضون للرئيس مبارك، ووسط كردون أمني أحاط بالرجل، الذي كان في وقت سابق بمثابة الظل لرئيس الدولة. قال «الباز» لـ«المصري اليوم»: «أنا طول عمري موجود وسط الناس»، دون أن يدلي برأيه صراحة في مطالب المتظاهرين، وأولها إسقاط نظام الحكم ورأس السلطة.

والتف المعتصمون بالميدان حول الباز - الذي رافقته ابنته وحفيده «١٠ سنوات» - وراحوا يتشملون الصور معه، وهم يهتفون: «يسقط مبارك.. يسقط النظام.. واطلع بره».

في سياق متصل، شهد ميدان التحرير أمس ظهور والدة خالد الإسلامبولي، الذي تم إعدامه في قضية مقتل الرئيس الراحل أنور السادات، وحظيت السيدة - التي حضرت على كرسي متحرك - بهتافات وتصفيق شديد من المتظاهرين، كما رفعوها على الأكتاف.

وأعلن أحد المتظاهرين عبر الميكروفون عن حضور والدة خالد، وبعد رفعها على الأكتاف قالت: «أعيش منذ فترة كبيرة في ظلم شديد خلال عصر الرئيس مبارك وما حدث في ثورة الشباب جعلني أحضر إلى هنا و[illegible] وأقول بعلو صوتي (اكره حسني مبارك)، وردت هتافات (ارحل ارحل يا مبارك)».

كما ظهر في الميدان كل من الناقد الرياضي علاء صادق والكاتبة سكينة فؤاد والدكتور محمد غنيم والسياسي مجدي حسين.

وطالب «صادق» بتنظيم جنازة عسكرية لكل الشهداء الذين قتلوا في أحداث الثورة، مشيراً إلى أن دم الشهداء «تاج على رأس كل مصري».

من ناحية أخرى أعلن شباب الثورة أنه سيتم اليوم الثلاثاء تنظيم مسيرة للأطفال تنطلق من مسجد عمر مكرم وتطوف أركان الميدان [illegible]

أسامة الباز وسط المتظاهرين في التحرير أمس — تصوير: محمد كمال

▲ صورة الدكتور أسـامة الباز وسـط جموع المواطنين في ميدان التحرير - منشـورة بصحيفة المصري اليوم بتاريخ 8 فبراير 2011م.


دار نهضة مصر
للنشر

أسامة الباز

مسيرة حياة

من أسرة عشقت العلم وورثته جاء للحياة... أب أزهري يكرمه الرئيس جمال عبد الناصر، وأم ربما تكون الريفية الوحيدة التي دخلت وكالة ناسا فيمنحونها شهادة تقدير لاهتمامها بالفضاء، وأخ كان وما زال أحد هامات العلم المصرية في الخارج. هكذا وفرت الحياة لأسامة الباز بيئة حاضنة للفهم والعلم و التعلم. وهكذا عاش حياته سياسيًّا في قلب الأحداث معلمًا وناصحًا ومستشارًا مؤثرًا الصمت حتى النهاية التي جاءت في العام 2013. ولكن شاءت الأقدار أن يجد من يكتب عنه معرفًا به عبر وثائق وصور وحكايات.

من هنا يقدم لنا السفير هاني خلاف - زوج شقيقة الراحل دكتور أسامة الباز- هذا الكتاب شارحًا فيه مسيرة الرجل السياسية والإنسانية؛ لنتعرف عن قرب إلى المستشار السياسي للرئيس المصري الأسبق محمد حسني مبارك، وشقيق عالم الجيولوجيا الدكتور فاروق الباز. فندرك من خلال سطور الكتاب أحد أعمدة الدبلوماسية المصرية في السنوات الماضية.





